الدكتور عزت السيد أحمد

انهيار النظام العربي

مقالات سياسية

دار الأفكار
2014

الدكتور عزت السيد أحمد

انهيار النظام العربي

1

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور عزت السيد أحمد

انهيار النظام العربي

دار النهار
2014

دار أنهار للدراسات والترجمة والنشر

كل الحقوق محفوظة

تمنع طباعة هذا الكتاب أو بعضَه بأيِّ وسيلةٍ من وسائل الطِّباعةِ والنَّشر والإعلام من دون موافقةٍ خطيَّة من الناشر أو المؤلِّف

تطلب النسخة الورقية أو الإلكترونية من الناشر على البريد التالي

Sameah3@gmail.com

بيروت

٢٠١٤م

انهيار النظام العربي

الدكتور عزت السيد أحمد

٢٤٦ صفحة

الإهداء

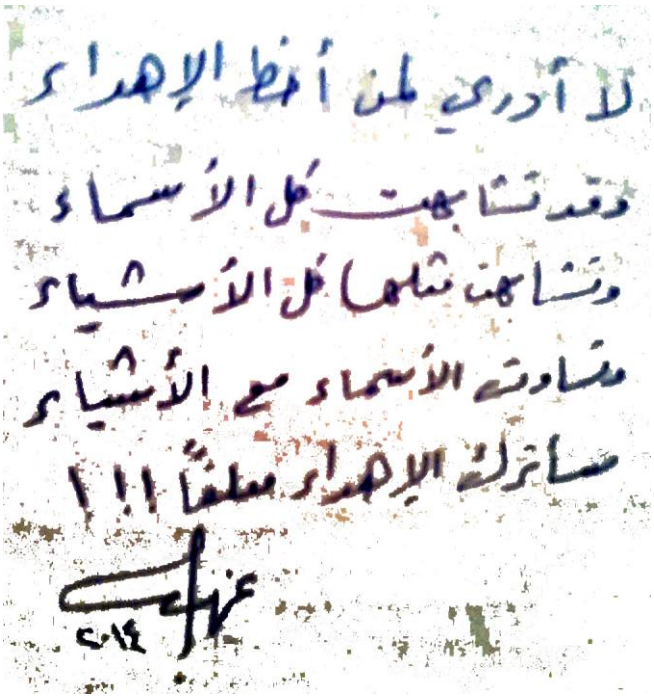
لا أدري لمن أنظم الإهداء
وقد تشابهت كل الأسماء
وتشابهت شاكلها كل الأشياء
فتساوت الأسماء مع الأشياء
فسأترك الإهداء معلقاً !!!

من الظلم الكبير والحيف الهائل القول إنَّ الثورة السورية هي القشة التي قصمت ظهر البعير. البعير مقصوم الظهر قبل الثورة السورية، والثورة السورية ليست قشَّة أبداً. إنها الزلزال الذي غرب الأرض تحت الجميع فكشفت عوار الجميع، فضحت الجميع، وانكسرت كل المكتكآت التي كانت تتكئ عليها الأنظمة العربيَّة فانهار السقف علىٰ راكام بعدما كانت تحمله دعامات ورقية أكلها العت.

من الظلم الكبير والحيف الهائل القول إنَّ الثورة السورية هي القشة التي قصمت ظهر البعير. البعير مقصوم الظهر قبل الثورة السورية، والثورة السورية ليست قشَّة أبداً. إنها الزلزال الذي غرب الأرض تحت الجميع فكشفت عوار الجميع، فضحت الجميع، وانكسرت كل المكتكآت التي كانت تتكئ عليها الأنظمة العربيَّة فانهار السقف علىٰ راكام بعدما كانت تحمله دعامات ورقية أكلها العت.

النظام العربي متهالك متآكل منذ عشرات السنين، علىٰ ألقل منذ نحو ربع القرن. سقطت أوراق التوت منذ نحو ربع القرن بوضوح صارخ. وشيئاً فشيئاً بدأ النظام العربي يتصرف بجنون غير المبالي بعدما انكشف وانفضح، بدا لبعض أنَّهُ

تائه، وبدا لغيرهم أنَّهُ ضائع، وبدا لغيرهم أنَّهُ متشتت... ولٰكنَّهُ في الحقيقة أدرك أنَّهُ بات بلا سقف ولا غطاء ولذٰلك راح يتصرف جهراً بما يدل علىٰ معاداته الأمة ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، لا يقوم إلا بعكس ما هو مطلوب منه وعكس ما يجب عليه.

هٰذا الكتاب الذي يحمل هٰذا العنوان ليس كتابي الأول في الموضوع، ثَمَّة قبله عدد من الكتب التي تناولت حقيقة النِّظام العربي من أبرزها: العرب أعداء أنفسهم(١)، العرب جثة تنهشها الكلاب(٢)، بشرية عمياء عوجاء(٣)، رئيس وأربعة فراعين(٤)... ولذٰلك لن يجد القارئ هنا القراءة الشاملة للموضوع، ولٰكنَّهَا كافية لتغطية العنوان وإيفاءه حقه من المعلومات والتحليلات والأدلة. الكتب السابقة غطَّت الموضوع من أكثر من جانب، وفي هٰذا الكتاب استكمال للموضوع من جانب آخر، إلىٰ جانب الكتب السياسة الأُخْرَىٰ التي تنظر في السياسية العالمية عامة والغربية علىٰ نحو الخصوص التي تتناول التهديدات الخارجية والاختراقات الخارجيَّة للأمة(٥) في حين أنَّ الأنظمة نائمة إن لم تكن منتشية من ذٰلكَ، من هٰذه الكتب ما قد صدر منذ سنين كثيرة ومنها ما هو قيد الصدور قريبا.

---

(١) . الدكتور عزت السيد أحمد: **العرب أعداء أنفسهم** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.

(٢) . الدكتور عزت السيد أحمد: **العرب جثة تنهشها الكلاب** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

(٣) . الدكتور عزت السيد أحمد: **بشرية عمياء عوجاء** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

(٤) . الدكتور عزت السيد أحمد: **رئيس وأربعة فراعين** . دار انهار . بيروت . ٢٠١٤م.

(٥) . يمكن الرجوع إلىٰ ثبت كتب المؤلف الأُخْرَىٰ في نهاية الكتاب.

علىٰ الرَّغْمِ من ذَلكَ، بقناعتي، علىٰ النِّظام العربي جملةً وتفاصيلاً أن يتنحَّى ويجلس وحده في متحف التَّقاليد البالية قبل أن يقال بالقوَّة ويحدث ما حدث في بعض دول الربيع العربيِّ. عندها لن يجد له أيَّ مكانٍ في أيِّ نوعٍ من أنواع المتاحف. هٰذه القناعة ليست قناعةً شخصيَّة، وليست وليدة اليوم. منذ نحو ثلث القرن وأنا أكتب في ذَلكَ بمختلف الصِّيغ والتعابير، وقد أعلنت ذَلكَ بوضوح صريحٍ في لقاء لي علىٰ قناة المنار عام ٢٠٠٠م في لقاء مفتوحٍ عن الانتفاضة الفلسطينية. قلت حينها: «أمام الأنظمة العَربيَّة فرصة تاريخيَّة لتصحيح الوضع الذي تعيشه منذ نشأتها... الفرصة قائمة الآن، ولٰكنَّهَا لن تكون متاحة بعد فترة».

فرصة التَّصحيح لم تعد موجودة أبداً فليس أمام الأنظمة العَربيَّة إلا خيار واحد هو التَّنحِّي طواعية والدُّخول طواعيةً إلىٰ المتحف. وإذا لم تستثمر الأنظمة العَربيَّة هٰذه الفرصة فإنَّها لن تجدها قريباً وقريباً جدًّا. قريباً جدًّا سيكون مصير القذافي هو مصير الجميع. هٰذه حقيقة لا مراء فيها ولا مبالغة.

المسألة ليست مسألة رغبةٍ شخصيَّة، فالموضوع ليس موضوع قناعةٍ شخصيَّةٍ، القناعة قناعة منطقيَّة علميَّة تاريخيَّة. وفوق ذَلكَ كلِّه إنها سنَّة الله في أرضه وخلقه. هٰذه السنة الإلٰهية هي التي لا يؤمن بها الحكام العرب ولا يصدقونها ولا يقتنعون بها، ولذَلك هم يظنُّون أنفسهم خالدين إلىٰ الأبد. دعك من كونها سنة إلٰهيَّة: هل في تاريخ البشريَّة حاكمٌ أو نظامٌ دام إلىٰ الأبد؟ فرعون والفراعنة بنوا الأهرامات علىٰ أمل أن يعودوا!! من عاد منهم؟

حسناً، دعونا ننظر إلىٰ الأمر من زاوية أُخْرَىٰ. النِّظام العربي جملة، والأنظمة العَربيَّة تفصيلاً، تحكم العالم العربي منذ ستين سنة في الحدِّ الأدنى. أقصر الأنظمة العَربيَّة تاريخاً موجودة علىٰ رأس السُّلطة منذ نحو ستين سنة، وبعضها يرجع إلىٰ سبعين وثمانين سنة في الحدِّ الأعلى.

سأفترض كذباً وخداعاً ونفاقاً وتضليلاً أن هٰذه الأنظمة العَربيَّة جيِّدة وقد خدمت بلدانها ولم تكن خائنةً ولا مستبدَّةً ولا راعيةً للفساد ولا تنهب خيرات البلاد والعباد. هل هناك أفضل من ذٰلكَ؟ علىٰ افتراض ذٰلكَ كلِّه فإنَّهُ من الأفن القبول بأنَّ نظاماً يستمر سبعين سنةً سيكون خيراً للوطن بعد هٰذه السنين. منطقيًّا وعقليًّا ونفسيًّا سيكون النِّظام قد أفلس إداريًّا، قد أفلس تنظيميًّا، قد أفلس تخطيطيًّا لأنَّهُ سيكون قد استهلك كلَّ ما لديه من احتمالاتٍ في كلِّ تلك المجالات، وهٰذا يعني أنَّ استمرار بقائه هو إعادة إنتاج للذَّات، اجترار لما تَمَّ استهلاكه ولما تَمَّ اجتراره أيضاً. وهٰذا يعني البدء بالهدر والخسارة والتراجع.

أرجو أن لا يعترض أحدٌ بأنَّ الأشخاص يتغيرون. هٰذا اعتراضٌ سخيفٌ. سخيفٌ لسببين علىٰ الأقل أوَّلهما أنَّ كلَّ زعيمٍ يبقى في الحكم ثلاثين سنة أقل أو أكثر، ثانيهما تغير الزَّعماء لا يغيِّر من الحقيقة شيئاً فمصر منذ ثورة عبد النَّاصر إلىٰ الثَّورة علىٰ حسني مبارك خطٌّ واحدٌ لم يتغيَّر قيد أنملة، وبعد الثَّورة حدث انقلابٌ علىٰ الثَّورة بسبب النِّظام العميق العميق الذي تجذَّر في كلِّ بنى الدَّولة. وقيسوا عليها كلِّ الدول العَربيَّة بالطريقة ذاتها.

كما حذَّرنا منذ عقود نعود إلىٰ التَّحذير الآن: الفرصة الوحيدة الممكنة للنَّجاة وتجنيب الوطن الخراب علىٰ غرار ما صار في سوريا هو التَّنحِّي والدُّخول إلىٰ المتحف تلقائيًّا، وإلا فإنَّ البركان سيتفجر ولا يعرف أحد ماذا سيحدث إذا انفجر البركان.

وبعد كل هٰذا الكلام، ماذا سيحدث؟

لن يعترف السلاطين والأنظمة بأيِّ خطأ، ولن يستسلموا أبداً، وسيصرون علىٰ حد تعبيرهم علىٰ قيادة السَّفينة وسط هٰذه الظُّروف العاصفة والتَّحدِّيات العصيبة التي تمرُّ بها أمَّتنا العَربيَّة الماجدة، وسينفجر البركان، البركان قادم!

٢٠١٤/١١/٢٢م

الفصل الأول

ملة الاستبداد واحدة

مقدمة

ملة الاستبداد واحدة

الشعب كله مخابرات

زعماء العرب لا يعرفون الهزيمة

خاتمة

قياساً علىٰ ملّة الكفر واحدة، نقول: ملّة الاستبداد واحدةٌ. وخرافة المستبد العادل لا توجد إلا في روؤس المرضى النفسانيين. لا يوجد مستبد عادل. العادل هو الذي يطبق القانون علىٰ الجميع علىٰ حدٍّ سواء، وتطبيق القانون ليس استبداداً.

لم يعرف التاريخ مستبداً ارتقى بشعبه، لم يعرف التاريخ مستبداً أدى إلىٰ تطور وطنه... بل لم يعرف التاريخ مستبداً لم يزر بشعبه ووطنه ويذيقهم الولايات. إن وجد استثناء فاسمه استثناء، واحتمال الاستثناء وارد، ولكننا لم نجد هنا في هٰذا الإطار استثناءً.

لم يعرف التاريخ العربي المعاصر إلا المستبدين من الحكام. ولا واحد منهم يقترب من أن يوصف بأنه مستبد عادل علىٰ افتراض إمكان ذٰلكَ منطقيًّا. والحكام العادلون الذين عرفهم التاريخ العربي المعاصر أزاحتهم الأنظمة العربية الأُخْرَىٰ وأسقطتهم حَتَّىٰ لا يظهرون نشازاً، وحَتَّىٰ لا يفتحوا عيون الشُّعوب علىٰ عدلهم. وهم قلّةٌ استثنائيَّة علىٰ أيِّ حالٍ.

ملة الاستبداد واحدة[٦]

ملَّةُ الاستبداد واحدةٌ والشَّعبُ بألوانه هو الذي يدفع الثَّمن. أوكرانيا دولةٌ أوروبيَّةٌ كاملة المواصفات سوى أنَّ فيها نظام حكمٍ ديكتاتوريٍّ عميلٍ مثل سائر

(٦) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/١/٢٤م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

الأنظمة في العالم الثَّالث والعربيِّ ضمناً. ولذلك يعيد النِّظام الاستبدادي الأوكراني سيرة الاستبداد في دول الرَّبيع العربيِّ حذو الحافر بالحافر: مؤامرةٌ خارجيَّة، مندسين أجانب...

في بداية الثَّورة بمصر ألقي القبض علىٰ فلسطينيين وأجانب تجنيًّا ليقولوا إنَّ هؤلاء الأجانب هم الذين يفسدون الحياة ويثيرون الفتنة والخراب. عندما بدأت الثَّورة في ليبيا أعاد نظام القذافي الكرَّة ذاتها بالتَّفاصيل، وعندما بدأت الثَّورة في سوريا ألقي القبض علىٰ فلسطينيين، وعلىٰ مصريٍّ أمريكي وقُدِّم لوسائل الإعلام تحت التَّعذيب علىٰ أنَّهُ عميلٌ للموساد وأمريكا ومدسوس لإثارة الفتنة في سوريا...

اليوم قوَّات النِّظام الأوكراني تقتل شخصاً أسمر بلحيةٍ وتقول إنَّهُ عربيٌّ إرهابيٌّ يؤجِّج الفتنة في أوكرانيا. وعندما تبين أنَّهُ مسيحيٌّ قالوا: إنَّ إرهابيي الناتو هم الذين قتلوه ليشعلوا الفتنة في أوكرانيا...

يا أخي كلُّهم يقرأون من كتاب واحد ويطبقونه بالحرف من دون أيِّ تعديل. والحقيقة أنَّهم لا يعدلون أيَّ كلمةٍ من هٰذا الكتاب المشترك لأحد أربعة أسباب علىٰ الأقل، أو لبعضها أو كلها معاً:

أولاً: إما لأنَّهُم أغبياء إلىٰ الحدِّ الذي يعجزهم عن اختراع بديلٍ، مثل الببغاء يكرِّرون النَّصَّ حرفاً حرفاً، ويقعون في الخطأ ذاته غير قادرين علىٰ الاستفادة من أخطاء السَّابقين ذاتها...

ثانياً: أو لأنَّ أيَّ ذريعةٍ في مواجهة حركة الشَّعب غير هٰذه الاتهامات ستدين النِّظام وتجعله يعترف بنفسه بتهافته ويقود نفسه إلىٰ السُّقوط. وهٰذا يعني

أنَّهُ لا حلَّ آخر أمامهم لمواجهة الحق السَّاطع الناصع إلا بهذا الفجور الاستفزازي الغبي...

ثالثاً: أو لأنَّ المستبدين يظنون أنفسهم أذكى الخلق وكلَّ الخلق أغبياء إلىٰ الحدِّ الذي يجعلهم يصدقون صريح الكذب.

رابعاً: أو لأنَّ المستبدِّين علىٰ درجةٍ من الطُّغيان والجبروت تجعلهم يفرضون ترَّهاتهم التي لا يصدِّقها أحدٌ علىٰ الشَّعب شاء أم أبى إمعاناً في الإذلال والاستعباد...

لك الله أيُّها الشَّعب

ولٰكن، أليس الشَّعب هو المسؤول عن طغيان هؤلاء الطُّغاة؟

ألم يقولوا: لا تسأل الطُّغاة لماذا طغوا بل اسأل النَّاس لماذا ركعوا؟

إنَّ الإعلام الذي يستغبي النَّاس بهٰذه الطَّريقة المستفزَّة التي تدعو إلىٰ التقيؤ... ليس إعلاماً غبيًّا، ولٰكنَّهُ واثقٌ من وجود جماهير تنقاد للاستغباء بكلِّ سرور وامتنان.

لا أريد أن أستحضر التَّاريخ والجغرافيا. ولٰكن لا بُدَّ من القول: عندما يكون الشَّعب أهلا للحريَّة فإنَّهُ لن يسمح للمستبد أن يوجد، وعندما لا يكون الشَّعب أهلا للحرية فإنَّ الحاكم الملاك يصبح شيطاناً.

انظروا إلىٰ الشَّعب الأوروبي الذي إذا رأى وزيراً أو رئيساً يركب سيَّارة الدَّولة بعد الدَّوام الرَّسمي أقام الدنيا ولم يقعدها... وإذا ارتكبت السُّلطة خطيئةً تمس كرامة المواطن كيف تقوم الدنيا ولا تقعد؟؟!!

هٰذه صورة الحكاية.

الشعب كله مخابرات[٧]

منذ زمن غير قريب وصلت إلىٰ قناعة بأنَّ أكثر من ثلاثة أرباع الشَّعب في أيِّ دولةٍ عربيَّة هم مخابرات عند الأنظمة وعزمت علىٰ كتابة رواية في ذٰلكَ بدأتها منذ نحو عشرين سنة ولم أكملها.

يبدو أنِّي لم أكن مخطئاً في هٰذه القناعة فما حدث في الجزائر وفي مصر وسوريا واليمن ...يؤكِّد هٰذه الحقيقة، وليست الدُّول العربيَّة الأُخْرَىٰ أقلَّ نسبةً علىٰ الإطلاق ولا أحسن حالاً.

أقلُّ من ربع عدد سكان أيِّ دولةٍ عربيَّة هو الشَّعب، هو الشَّعب الذي يعمل مثل الحمير لتأمين رواتب ثلاثة أرباع عدد السُّكان من المخبرين عليهم والمتربصين بهم.

عندما أقول ثلاثة أرباع الشعب مخابرات فأنا أعني ذٰلكَ تماماً، ولا أبالغ في النسبة. الغالبية العظمى من هٰؤلاء بعمل رسمي ومهمات رسمية محددة، ورواتب من أجهزة الدولة علىٰ هٰذا العمل. ولٰكنَّ المشكلة الحقيقة التي يجب أن ندركها جيِّداً ليست في أنَّ ثلاثة أرباع الشعب مخابرات، فرُبَّما يوجد من يوجد تخريجة لذٰلك تجعل الوطن والشعب عظماء الولاء والانتماء للوطن. المشكلة هي أنَّ عملهم ليس حماية أمن الوطن من الأعداء أو الأغراب أو المعتدين علىٰ الإطلاق، وإنَّمَا مهمتهم التَّجسس علىٰ المواطنين وعلىٰ بعضهم بعضاً، أي مهمتهم حماية الأنظمة من شعوبها.

---

(٧) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/٤/٢٠م.

الحقيقة الأساسية ورُبَّما الوحيدة التي تنتج عن هٰذه الحقيقة هي أنَّ أنظمة الاستبداد لا ترى لها عدوًّا غير شعوبها. في نظر أنظمة الاستبداد لا يوجد أعداء خارجيين لهم، لا أحد يريد أن يهددهم أو يزعجهم أو يعتدي عليهم. إنهم يخافون فقط من شعوبهم، ويرون شعوبهم فقط هي العدو. ولذلك لا عمل لأجهزة الأمن والجيش سوى محاصرة الشعب وتتبعه علىٰ الحرف، وإحصاء أنفاسه عليه.

كيف تنهض أمة هٰذه قيادتها؟

لا يمكن ذٰلكَ أبداً، والعالم العربي كله من هٰذه الطبيعة، فلا أمل إذن في الأمَّة العربيَّة. لا تنتظروا لأنَّكم ستضيعون العمر انتظاراً.

زعماء العرب لا يعرفون الهزيمة[٨]

الزُّعماء العرب عامَّةً، ومعظم الشَّعب العربيِّ للأسف بهٰذه العقليَّة لا يختلفون عنهم أبداً من هٰذه النَّاحية علىٰ الأقل، لا ينهزمون، مهما حدث لا ينهزمون، مستعدُّون لدمار أوطناهم كلِّها من دون أن يشعروا بالهزيمة ناهيكم عن عدم الاعتراف بها، بل تسويق الهزيمة علىٰ أنَّها انتصار.

الزُّعماء العرب لا يشعرون أنفسهم إلا آلهة، لا تستغربوا أن لا يستغربوا أنَّ النَّاس تؤلههم، لأنَّهُم يستغربون أن لا تؤلههم النَّاس. ولذلك لا يقبلون الهزيمة، ولأنَّهُم لا يقبلون الهزيمة خيارهم هو خيار شمشون أنا أو لا أحد، الأسد أو لا أحد، القذافي أو لا أحد، السيسي أو لا أحد... هٰذا قرارهم في أيِّ لحظةٍ هو مواجهة الشَّعب، الشعب هو العدو الوحيد للزَّعماء العرب وليس أيَّ عدوانٍ

(٨) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٣/٩/١١م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

خارجيٍّ، ولذلك مثلاً عندما ملَّ القذافي من عدم السَّفر سلَّم أمن ليبيا القومي (مشروع التسليح) إلىٰ أمريكا، سلَّم صمَّام أمان الوطن للعدو بضميرٍ مرتاح من أجل أن يفك عنه الحصار ويسوح بَيْنَ الأقطار، وبشار الأسد سلَّم عنصر الرَّدع إلىٰ الأعداء لأنَّهُ قادر علىٰ ردع الشَّعب بالأسلحة المتبقية، أمَّا العدو الخارجيُّ فلا وجود له في عقل الزَّعيم العربي.

الزَّعيم العربيُّ إذن لا يقبل الهزيمة فقط أمام الشَّعب، أمَّا ذله أمام غير الشَّعب فهو نصرٌ له وافتخار طالما بقي زعيماً علىٰ الشَّعب، الزعيم العربي لا يشعر بالهزيمة ولا ذل الهزيمة، حَتَّىٰ وهو يسحق تحت النعال يرى أنَّهُ منتصر وأنه يداس بالنِّعال بكرامةٍ وعزة نفس...

إسرائيل احتلت سيناء وكبدت مصر من الشهداء والدمار ما يبكي الحجر ... وفجأة طلع علينا عبد النَّاصر ينطُّ فرحاناً بالنصر!!!

نصر!!!

أيُّ نصر؟!

قال هو نصرٌ علىٰ إسرائيل لأنَّ إسرائيل شنت الحرب من أجل إسقاط عبد الناصر وعبد الناصر لم يسقط، ولذلك هو من انتصر علىٰ إسرائيل ومرغ أنفها بالتراب... وليست إسرائيل من انتصر... المعادلة سهلةٌ وليست كيمياء ذرية.

في سوريا القصة نفسها، وفي الوقت ذاته أيضاً إسرائيل احتلت الجولان والقنيطرة وكادت تسقط دمشق... وفي اليوم التَّالي طلع النظام ينط علىٰ الميكروفونات يغني للنصر..!!

أيُّ نصرٍ هٰذا؟!

قال هو نصر، لأنَّ إسرائيل لا تريد احتلال الجولان ولا القنيطرة، إسرائيل تريد إسقاط النظام التَّقدُّمي الاشتراكي المعادي للإمبريالية، ولم تستطع إسقاطه، ولذلك فإنَّ النظام هو من انتصر علىٰ إسرائيل.!!!

عدم القبول بالهزيمة هٰذا ليس عزَّةَ نفسٍ ولا ثقةٍ، إنَّهُ مرضٌ نفسيٌّ، هستريا التمسك بالكرسي، لأنَّهُ لولا الكرسي لا يساوي رجل الكرسي، فكيف يترك الكرسي مهما كلفة من ثمن، ومهما كلَّف الوطن من ثمن؟!

ولذلك عندما خرج النَّاس علىٰ القذافي لم تمض أيام حَتَّىٰ هاجمهم بالصواريخ، ولولا التدخل الدولي لفعل القذافي في ليبيا مثلما فعل بشار في سوريا، وبشار حَتَّىٰ الآن يرى أنَّهُ لا يوجد شيء في سوريا، وأنَّ الشعب يحبه، والشعب يريده، والشعب متمسِّكٌ به، لا يوجد سوى بضعة إرهابيين وافدين. ولٰكنَّهُ هو ذاته بعلمه وإرادته دمر أكثر من نصف عمران سوريا وتاريخها وتراثها، وقتل مئات الألوف، واعتقل مئات الألوف، وشرَّد أكثر من نصف سكان سوريا، أي أكثر من اثني عشر مليون سوري..!!! وبعد كلِّ ذٰلكَ ومعه ما زال يقول بشار الأسد لا يوجد شيءٌ في سوريا!!!

لا تظنُّوا أنَّ علي عبد الله صالح أحسن حالاً، الظُّروف لم تساعده، وكذلك التونسي، والمصري والبقية الباقية نسخةٌ ممهورةٌ بختم: طبق الأصل.

خاتمة

أي دولة يقودها مثل هٰؤلاء القادة لا يمكن أن تكون إلا في ذيل الأمم، لا يمكن أن تكون إلا ممسحة لأوساخ الأمم، لا يمكن أن تكون إلا مستعبدة شعوبها، قاتلة الكرامة فيها، قاتلة العزة فيها، قاتلة الحرية فيها.

مثل هٰذه الأنظمة علىٰ عكس ما يتوقع الكثيرون تعيش طويلاً، ولٰكنَّهَا تتراكم أخطاؤها رويداً رويداً حَتَّىٰ تصل إلىٰ مرحلة التآكل التام الذي لا يجدي معه إصلاح ولا تصليح ولا ترقيع ولا ترميم ويكون انهيارها تامًّا. بل لا يصلح معها إلا أن تنهار انهياراً تامًّا.

يتحدثون عن النظام العميق. هٰذا صحيح. مع طول الزمن الذي تعيشه الأنظمة الاستبدادية تتأصل في أركان الدولة أذرع الفساد والخلل والتسلق واللصوصية حَتَّىٰ يصعب فعلاً القضاء علىٰ النظام القديم. السلطة تناهر بسهولة ولٰكنَّ بنية النظام تظل متجذرة في بنى الدولة والمجتمع، وإذا لم تعمل الثوارت علىٰ استئصال هٰذه الأذرع استئصالاً تامًّا فإن النظام القديم سيعيد استنبات ذاته والعودة إلىٰ السُّلطة بأشخاص جدد. السلطة القديمة تنهار ولٰكنَّ بنية النظام هي التي ستعود.

ولذٰلك فإنَّ الثورات العربية التي ستجهز علىٰ هٰذه الأنظمة ستكون أمام تحديات كبرى. وقعت كل ثورات الموجة الأولى في هٰذا الخلل وانقلبت الأنظمة العميقة عليها لأنَّها لم تمتلك ما يكفي من الوعي والإدراك والمعرفة للانقضاض علىٰ النِّظام القديم. فهل سيستمر الحال كذٰلكَ؟ لا أرجو ذٰلكَ.

الفصل الثاني

انهيار النظام العربي

مقدمة

انـهيار النـظام العربـي

وهم جلد الذات

سلاطين العرب ومأساة السوريين

سلاطين العرب يكافئون روسيا

حقوق الأمة ليست ملك أشخاص

خاتمة

لا نقول إنَّ الثَّورة السُّوريَّة هي سبب انهيار النِّظام العربي. ولا نقول إنَّها القشَّة التي قصمت ظهر البعير؛ النِّظام العربيُّ بعيرٌ ولٰكنَّ الثَّورة السُّوريَّة ليست قشَّةً أبداً. النِّظام العربيُّ في حقيقة الأمر في حالة تداعٍ منذ عشرات السِّنين القليلة المنصرمة. ولٰكنَّ الثَّورة السُّوريَّة كشفت عوار الجميع، فضحت الجميع، وانكسرت كل المكتكآت التي كانت تتكئ عليها الأنظمة العربيَّة فانهار السقف علىٰ راكام بعدما كانت تحمله دعامات ورقية أكلها العت.

المادة الأساسية لهٰذا الفصل هي مقال حمل العنوان ذاته، وأردفته بمقالات أو تعليقات صغيرة نشرتها في تواريخها المرقومة في حواشيها شواهد علىٰ بنية النظام العربي الضائع التائه الذي يسير عكس الواجب، عكس ما هو مطلوب منه.

للتوضيح أشير أنَّ هٰذا الكتاب الذي يحمل هٰذا العنوان ليس كتابي الأول في الموضوع، ثَمَّة قبله عدد من الكتب التي تناولت حقيقة النِّظام العربي من أبرزها: العرب أعداء أنفسهم[٩]، العرب جثة تنهشها

(٩) . الدكتور عزت السيد أحمد: **العرب أعداء أنفسهم** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.

الكلاب[١٠]، بشرية عمياء عوجاء[١١]، رئيس وأربعة فراعين[١٢]... ولذلك لن يجد القارئ هنا القراءة الشاملة للموضوع، ولكنَّهَا كافية لتغطية العنوان وإيفاءه حقه من المعلومات والتحليلات والأدلة. الكتب السابقة غطَّت الموضوع من أكثر من جانب، وفي هٰذا الكتاب استكمال للموضوع من جانب آخر، إلىٰ جانب الكتب السياسة الأُخْرَىٰ التي تنظر في السِّياسية العالمية عامَّةً والغربيَّة علىٰ نحو الخصوص التي تتناول التَّهديدات الخارجيَّة والاختراقات الخارجيَّة للأمَّة[١٣] في حين أنَّ الأنظمة نائمةٌ إن لم تكن منتشيةً من ذَلكَ، من هٰذه الكتب ما قد صدر منذ سنين كثيرة ومنها ما هو قيد الصدور قريباً.

انهيار النظام العربي[١٤]

علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ الشَّعب العربيَّ فضَّل الاستمتاع بمشاهدة فرصته التَّاريخيَّة وهي تضيع، هٰذه الفرصة التي أتيحت لا تتكرَّر ولا يمكن تعويضها بل من شبه الممتنع تعويضها. علىٰ الرَّغْمِ من ذَلكَ، بقناعتي، علىٰ النِّظام العربي جملةً وتفاصيلاً أن يتنحَّى ويجلس وحده في متحف التَّقاليد البالية قبل أن يقال بالقوَّة ويحدث ما حدث في بعض دول الربيع العربيِّ. عندها لن يجد له أيَّ مكانٍ في أيِّ نوعٍ من أنواع المتاحف.

---

(١٠) . الدكتور عزت السيد أحمد: **العرب جثة تنهشها الكلاب** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

(١١) . الدكتور عزت السيد أحمد: **بشرية عمياء عوجاء** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

(١٢) . الدكتور عزت السيد أحمد: **رئيس وأربعة فراعين** . دار انهار . بيروت . ٢٠١٤م.

(١٣) . يمكن الرجوع إلىٰ ثبت كتب المؤلف الأُخْرَىٰ في نهاية الكتاب.

(١٤) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/٩/٩م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

هٰذه القناعة ليست قناعةً شخصيَّة، وليست وليدة اليوم. منذ نحو ثلث القرن وأنا أكتب في ذٰلكَ بمختلف الصِّيغ والتعابير، وقد أعلنت ذٰلكَ بوضوح صريحٍ في لقاء لي علىٰ قناة المنار عام ٢٠٠٠م في لقاء مفتوحٍ عن الانتفاضة الفلسطينية. قلت حينها: «أمام الأنظمة العَربيَّة فرصة تاريخيَّة لتصحيح الوضع الذي تعيشه منذ نشأتها... الفرصة قائمة الآن، ولٰكنَّهَا لن تكون متاحة بعد فترة».

فرصة التَّصحيح لم تعد موجودة أبداً فليس أمام الأنظمة العَربيَّة إلا خيار واحد هو التَّنحِّي طواعية والدُّخول طواعيةً إلىٰ المتحف. وإذا لم تستثمر الأنظمة العَربيَّة هٰذه الفرصة فإنَّها لن تجدها قريباً وقريباً جدًّا. قريباً جدًّا سيكون مصير القذافي هو مصير الجميع. هٰذه حقيقة لا مراء فيها ولا مبالغة.

المسألة ليست مسألة رغبةٍ شخصيَّة، فالموضوع ليس موضوع قناعةٍ شخصيَّةٍ، القناعة قناعة منطقيَّة علميَّة تاريخيَّة. وفوق ذٰلكَ كلِّه إنها سنَّة الله في أرضه وخلقه. هٰذه السنة الإلٰهية هي التي لا يؤمن بها الحكام العرب ولا يصدقونها ولا يقتنعون بها، ولذٰلك هم يظنُّون أنفسهم خالدين إلىٰ الأبد. دعك من كونها سنة إلٰهيَّة: هل في تاريخ البشريَّة حاكمٌ أو نظامٌ دام إلىٰ الأبد؟ فرعون والفراعنة بنوا الأهرامات علىٰ أمل أن يعودوا!! من عاد منهم؟

لا هم يصدقون سنَّة الله في أرضه ولا هم يقتنعون بما لا يمكن دحضه من مطعيات الواقع والتاريخ!!

حسناً، دعونا ننظر إلىٰ الأمر من زاوية أُخْرَىٰ. النِّظام العربي جملة، والأنظمة العَربيَّة تفصيلاً، تحكم العالم العربي منذ ستين سنة في الحدِّ الأدنى.

أقصر الأنظمة العَربيَّة تاريخاً موجودة علىٰ رأس السُّلطة منذ نحو ستين سنة، وبعضها يرجع إلىٰ سبعين وثمانين سنة في الحدِّ الأعلى.

سأفترض كذباً وخداعاً ونفاقاً وتضليلاً أن هٰذه الأنظمة العَربيَّة جيِّدة وقد خدمت بلدانها ولم تكن خائنةً ولا مستبدَّةً ولا راعيةً للفساد ولا تنهب خيرات البلاد والعباد. هل هناك أفضل من ذٰلكَ؟ علىٰ افتراض ذٰلكَ كلِّه فإنَّهُ من الأفن القبول بأنَّ نظاماً يستمر سبعين سنةً سيكون خيراً للوطن بعد هٰذه السنين. منطقيًّا وعقليًّا ونفسيًّا سيكون النِّظام قد أفلس إداريًّا، قد أفلس تنظيميًّا، قد أفلس تخطيطيًّا لأنَّهُ سيكون قد استهلك كلَّ ما لديه من احتمالاتٍ في كلِّ تلك المجالات، وهٰذا يعني أنَّ استمرار بقائه هو إعادة إنتاج للذَّات، اجترار لما تَمَّ استهلاكه ولما تَمَّ اجتراره أيضاً. وهٰذا يعني البدء بالهدر والخسارة والتراجع.

أرجو أن لا يعترض أحدٌ بأنَّ الأشخاص يتغيرون. هٰذا اعتراضٌ سخيفٌ. سخيفٌ لسببين علىٰ الأقل أوَّلهما أنَّ كلَّ زعيمٍ يبقى في الحكم ثلاثين سنة أقل أو أكثر، ثانيهما تغير الزَّعماء لا يغيِّر من الحقيقة شيئاً فمصر منذ ثورة عبد النَّاصر إلىٰ الثَّورة علىٰ حسني مبارك خطٌّ واحدٌ لم يتغيَّر قيد أنملة، وبعد الثَّورة حدث انقلابٌ علىٰ الثَّورة بسبب النِّظام العميق العميق الذي تجذَّر في كلِّ بنى الدَّولة. وقيسوا عليها كلِّ الدول العَربيَّة بالطريقة ذاتها.

ما بَيْنَ سنين وثمانين سنة والدول العَربيَّة، التي رسم حدودها أعداء الأمة، والحاكم واحدٌ، العقل الحاكم واحدٌ، الحزب الحاكم واحدٌ، بنية الدَّولة واحدةٌ، دستورٌ واحدٌ، قوانين لم تتطوَّر... فكيف يمكن أن تكون النَّتيجة؟

افترضنا قبل قليلٍ أنَّها جيِّدة ولا أحلى منا شيءٌ ولا حلاوةً. كان ذٰلكَ كذباً، افتراضاً جدليًّا لا أكثر. الحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع إدراكاً

واضحاً لا لبس فيه هي أنَّ الخراب والدَّمار في كلِّ البنى والمستويات قد بدأ مع استلام هٰذه الأنظمة الحكم في الوطن العربي.

أكـرِّر الخـراب والـدَّمار والفسـاد في كـلِّ البـنى الماديَّـة والمعنويَّـة في كـلِّ المستويات قد بدأ عمليًّا مع استلام هٰذه الأنظمة الحكم في دول الوطن العربي. مثال بسيط صار متاحاً للجميع: انظروا إلىٰ صور الأحياء العَربيَّة قبل استلام هٰذه الأنظمة المسماة وطنيَّة، وصور الأحياء ذاتها بعد استلامها علىٰ مراحل مختلفةٍ وقارنوا بَيْنَ النَّظافة والجمال والتَّنظيم... قارنوا بَيْنَ صور المشافي قبل استلام هٰذه الأنظمة وصور المشافي اليوم في القرن الحادي والعشرين، قارنوا بَيْنَ صور المدارس قبل استلام هٰذه الأنظمة وبعد استلام هٰذه الأنظمة في مراحل مختلفة إلىٰ اليوم...

هٰذا من النَّاحية الشَّكلية، الصوريَّة فقط. تعالوا ندخل إلىٰ المضمون. تعالوا ننظر في خريجي المدارس الابتدائيَّة والإعداديَّة والثانويَّة والجامعات قبل هٰذه الأنظمة وبعد استلام هٰذه الأنظمة رويداً رويداً حَتَّىٰ اليوم!! تعالوا إذن ننظر في التَّعليم ذاته!! لن أعدد كثيراً، بإمكانكم أن تنطلقوا إلىٰ أيِّ ميدانٍ من الميادين وتقارنوا. لن تجدوا نشازاً أبداً، كلُّ الحقول والميدان حقَّقت تراجعاً مذهلاً عمَّا كنَّا نحن عليه قبل ستين أو سبعين سنةً. قبل ما كنا نحن عليه وليس غيرنا. غيرنا تحتاج إلىٰ مقارنة أُخْرَىٰ.

أمَّا علىٰ صعيد الحريات والديمقراطية والممارسة السياسية فحدث ولا حرج. أصلاً من العيب والعار أن نقارن بَيْنَ ما نحن عليه اليوم وما كنا عليه قبل ما يسمَّى أنظمة الاستقلال الوطني. كانت سوريا، مصر، العراق، ليبيا، معظم الدول العَربيَّة تعيش حالةً من الرُّقيِّ الدِّيمقراطي والحريات العامة تضاهي الدُّول

الأوروبيَّة بامتياز ورُبَّما بعضها يتقدَّم علىٰ الدول الأوروبية، ورويداً رويداً وصل الإنسان العربيُّ اليوم إلىٰ مرحلة لا يكمن تصديقها من الاستبعاد والخوف والقهر. لا يجرؤ المرء علىٰ السَّلام علىٰ أخيه، لا يجرؤ المرء علىٰ الاتصال بأخيه من دولة عَربيَّة إلىٰ دولة عَربيَّة، ولا حَتَّىٰ من دولة أجنبية إلىٰ دولة عَربيَّة!!! هل يمكن تصديق ذَلكَ؟!! هٰذا هو واقع الشَّعب العربي اليوم بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى. بل إنَّ المؤشرات الرَّاهنة توحي بازدياد حدَّة القمع والقهر والاستبداد أكثر من ذَلكَ.

أمَّا علىٰ الصعيد الاقتصادي فكلُّ الدول العَربيَّة من دون استثناء كانت اقتصاديًّا أفضل ألف ألف مرَّةٍ من وضعها اليوم الذي بدأ بالانهيار تدرجيًّا من تسلم هٰذه الأنظمة الحكم بعد ما يسمَّى الاستقلال وراثة مباشرة عن الاستعمار أو انقلاباً علىٰ الشرعيَّة الوطنيَّة التي طردت الاستعمار. إبان خروج الفرنسيين من سوريا كانت الليرة السورية تعادل عشرين فرنكا فرنسيًّا، تعادل نحو ثلاث دولارات. انخفضت قليلاً قليلاً حَتَّىٰ استلم حزب البعث السلطة فبدأ الانهيار المتسارع حَتَّىٰ انقلبت الآية تماماً في أوائل السَّبعينيات وصار الدُّولار بثلاث ليرات ونصف، وبعد أقلِّ من عشر سنوات صار الدُّولار بأكثر من عشر ليرات، وبعد عشر سنوات أُخْرَىٰ صار الدولار بأربعين ليرة... اليوم بنحو ثلاثمئة ليرة. في مصر الأمر ذاته، قبل عبد الناصر كانت مصر مكتفية اقتصاديًّا، ولها علىٰ بريطانيا العظمى ديون، وراحت تنهار بوثبات سريعة حَتَّىٰ صارت مدينة لكل دول العالم، وتستورد لقمة عيشها... كل الدول العَربيَّة كذَلكَ ولا نطيل في الأمثلة.

أرجو أن لا يقول لي أحد كل دول العالم حدث فيها الأمر ذاته بطريقة أو أُخْرَىٰ. هٰذا لم يحدث إلا في الدُّول العَربيَّة وقليل نادر في غيرها من الدُّول الإفريقيَّة ورُبَّما الإفريقيَّة حصراً، فكل دول العالم من دون استثناء تقدمت وثبات إلىٰ الأمام، وبعضها وثبات مذهلة ومذهلة جداً.

قلنا لن نقارن مع دول العالم الغربي لأنَّهُ لم تعد مقارنة ممكنة ولا مقبولة. في أوائل السبعينيات، أي منذ نحو خمس وأربعين سنةً، كان الفاصل الحضاري بَيْنَ العرب والغرب عشرين سنة. مع نهاية الألفيَّة الثَّانية وصل الفاصل الحضاري إلىٰ مئات غير قليلةٍ من السنين. اليوم نسأل الله اللطف إن استطعنا أن نقدر الفاصل الحضاري عن الغرب.

ماذا بقي لنتحدث فيه؟

كانت كثير من الدول العَربيَّة تستورد العمالة الأوروبيَّة الآن تم تهجير مئات ألوف العلماء والخبرات العلمية والإدارية خارج الوطن العربي.

الحقيقة مرَّةٌ أكثر من أن تحتمل أو تطاق. وسلسلة الخراب والتَّخريب، والفساد والإفساد، أكبر من أن تنتهي. والحقيقة التي لم تعد مثار شكٍّ أو جدلٍ أنَّ النِّظام العربي جملة، والأنظمة العربيَّة واحداً واحداً، أمام طريق مسدود لا أفق مسدود، الأفق غير موجود علىٰ لإطلاق، الطريق ذاته هو المسدود، ولا خيارات أمامه إلا التَّنحِّي قبل انفجار البركان الأكبر...

كما حذَّرنا منذ عقود نعود إلىٰ التَّحذير الآن: الفرصة الوحيدة الممكنة للنَّجاة وتجنيب الوطن الخراب علىٰ غرار ما صار في سوريا هو التَّنحِّي والدُّخول إلىٰ المتحف تلقائيًّا، وإلا فإنَّ البركان سيتفجر ولا يعرف أحد ماذا سيحدث إذا انفجر البركان.

إن أحسنا الظنون فيهم فإنَّهُ لم يعد من الممكن منح الفرص لأيِّ نظام. لقد جربوا فينا كلَّ الأنظمة وكلَّ النَّظريَّات وأخفقوا في كلِّ تجاربهم؛ جرَّبوا الشِّيوعيَّات كلها، الاشتراكيات كلها، الرأسماليات كلها، المشتركة المختلطة بأنواعها، النَّظريَّات الفلسفيَّة جربوها فينا... لم يبق شيءٌ لم يجرِّبوه فينا، إلا أن يعيش العرب هويَّتهم بطريقتهم. ولا يمكن أن يمنحوا فرصةَ أن يجرِّبوا فينا أن نعيش هويتنا علىٰ طريقتهم التي أخفقت علىٰ مدار سبعين سنة.

وبعد كل هٰذا الكلام، ماذا سيحدث؟

لن يعترف السلاطين والأنظمة بأيِّ خطأ، ولن يستسلموا أبداً، وسيصرون علىٰ حد تعبيرهم علىٰ قيادة السَّفينة وسط هٰذه الظُّروف العاصفة والتَّحدِّيات العصيبة التي تمرُّ بها أمَّتنا العَربيَّة الماجدة، وسينفجر البركان، البركان قادم!

وهم جلد الذات[١٥]

منذ أكثر من ثلث قرن والكثيرُ من العقول المسطَّحة تتهمنا بجلد الذَّات كلَّما انتقدنا عقليَّة أمَّتنا المتخلِّفة وخيانتها لذاتها.

ترى هل انتقادنا لأمتنا هو جلد للذات؟

منذ أكثر من عشرين سنة والأمة تتعرض لهجمةٍ تلو هجمةٍ وتحطيم تلو تحطيم، وكلَّ مرَّةٍ أشد من سابقتها وأخطر، وها هي الأمة علىٰ حافة هاوية الانهيار الفظيع ...ومع ذٰلكَ لم تتحرَّك الأمَّة إلا لترقص طرباً علىٰ أغاني الألم والقهر!

لا تتخيلوا أبدا أنَّ ما ينتظر الأمَّة شيءٌ سهلٌ أو قليلٌ.

---

(١٥) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٣/١١/٢٥م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

إنَّ الأمة علىٰ حافة الانهيار التَّام...

أكرِّر: الانهيار التام

وكل البوادر لذّلك واضحةٌ جليَّةٌ

فمتى تتحرك الأمة؟

متى تكسر القمم وتخرج؟

إذا لم تخرجها هٰذه الزلازل الحاصلة فإنَّهَا لن تخرج أبداً أبداً.

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

سلاطين العرب ومأساة السوريين(١٦)

تخيلوا

كلَّ يومٍ أو يومين نسمع عن دولةٍ عربيَّة تطرد سوريين إلىٰ تركيا... إلىٰ تركيا!!!

كم أنتم عظيمون يا حكَّام العرب!!

وكم أنت عظيم أيُّها الشَّعب العربي!!

أمَّةٌ ولا بالأحلام يمكن أن تشاهد مثلها

كل يوم أو يومين نسمع عن دولةٍ عربيَّة تعتقل سوريين وتعيدهم إلىٰ النظام!!!

كل يوم أو يومين نسمع عن ممارسات لا إنسانية بحث السُّوريِّين من قبل الأنظمة العربية، وليست الشعوب بالعالم أحسن حالاً من أنظمتها!!!

إلىٰ تركيا... إلىٰ تركيا.

---

(١٦) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٣/١٢/٧م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

وتمرُّ الأيام سريعاً وصرنا نسمع[١٧]:

الأردن يشكو من كثرة السُّوريِّين وعدم قدرته علىٰ استيعابهم

لبنان يشكو من كثرة السُّوريِّين وعدم قدرته علىٰ استيعابهم

العراق يشكو من كثرة السُّوريِّين وعدم قدرته علىٰ استيعابهم

تركيا تشكو من كثرة السُّوريِّين وعدم قدرته علىٰ استيعابهم

مصر تشكو من كثرة السُّوريِّين وتتذمر منهم

بلغاريا تشكو من كثرة السُّوريِّين وتدعو العالم للمساعدة

إيطاليا نشكو من كثرة السُّوريِّين وتحاول مع دخولهم

ليبيا تشكو من كثرة السُّوريِّين

أينما ذهب في عاصمة موريتانيا تجد السُّوريِّين يلتحفون السماء

أينما ذهب في اليمن تجد المشردين السُّوريِّين

دول الكرة الأرضية اليوم تشكو من كثرة

ألمانيا تشكو من كثرة السُّوريِّين

حَتَّىٰ الصين هناك تسريبات توحي ببدء اتخاذ إجراءات لمنع دخول السوريين، ولا تتحدثوا عن روسيا ودول الخليج...

وأنباء عن تسييج المريخ والمشتري تحسباً من لجوء السُّوريِّين

يا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!! الله

ما الدولة التي لم تشك بعد من كثرة السُّوريِّين وإرباكهم للدولة؟

---

(١٧) . نشر هٰذا القسم ٢٠١٤/٣/٢٨م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي. وهو في الأصل منقول عن صفحات التواصل الاجتماعي تعبيراً عن معاناة السُّوريِّين في عالمهم العربي خاصَّة وضمت دول العالم الغربي تعبيراً عن مدى هول معاناتهم.

كيف كانت تتسع سوريا لهم كلهم؟؟؟؟

يبدو أنَّهُ فعلاً لو لم تكن سوريا أكبر من الدنيا لما اتسعت لهم.

أيها السوريون كونوا علىٰ قدر عظمة سوريا فها أنتم ترون بأعينهم كيف تكركبت دول الدنيا من كثرتكم وارتبكت وعجزت عن استقبالكم.

سلاطين العرب يكافئون روسيا(١٨)

هناك دول عربيَّة أخطر من الماسونيَّة والصهيونيَّة علىٰ العرب والإسلام مهما بدا منهم من مظاهر بريئة.

المكتوب يقرأ من عنوانه.

فمن لم يستطع أن يقرأه فليفحص عقله.

لا نريد أن نعدِّد الأمثلة، نقتطع مشهداً أمامنا هو أكبر دليلٍ علىٰ إخلاص الأنظمة العربيَّة لبعضها علىٰ حساب الشُّعوب التي هي الأمة، وهو التَّقدُّم الهائل في العلاقات العربيَّة الروسيَّة بعد موقفها من الثَّورة السُّوريَّة...

لا يوجد علاقات خليجية مع روسيا منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وعلاقة روسيا ببقية الأنظمة العربيَّة مثل مصر ودول المغرب العرب مقطوعة وفي حالة توتر منذ عشرين سنة تقريباً... ولٰكن منذ تصاعد الدور الروسي ضدَّ الثَّورة السُّورية ازدادت الصَّفقات التي يشتريها العرب من روسيا أكثر من ٢٠٠% بدءاً من دول الخليج التي لم يكن بَيْنَها وبَيْنَ الروس أي علاقة تجارية مروراً بمصر وتونس والجزائر والعراق...

(١٨) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٣/١١/٢٣م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

ألا يعني ذلكَ أنَّ الأنظمة العربيَّة تكافئ روسيا علىٰ قتل الشَّعب السُّوري؟؟؟

لنقل: كلُّ شيء كان متوقَّعاً...

ولكنَّ ما لم يكن متوقعاً أن تكون التَّوقُّعات السَّيئة كلها فقط متحقِّقةً وبالطَّاقة الكليَّة.

حقوق الأمة ليست ملك أشخاص[١٩]

في أوروبا العصر الوسيط، أي قبل مئات السنين، كان الملك يملك ويحكم بوصفه الملك المالك ممثل الله في الأرض. وفي العصور القديمة حسبما تروي الأساطير وأكدها القرآن الكريم، كان الملك يحكم بوصفه الملك المالك الإله.

في عالم العربي في القرن العشرين الملوك والرؤساء المفترض أنهم منتخبون انتخاباً ديمقراطيًّا، الذين يحكمون باسم الدين والذي يحكمون علىٰ أساس علماني، أعادوا العرب آلاف السنين إلىٰ الوراء، إنهم جميعاً يحكمون وكأنهم آلهة يملكون الأرض والبشر والحجر والشجر... ويتصرفون بكل شيء تصرُّف المالك؛ يبيعون ويشترون ويمنحون ويمنعون ويتنازلون ويقايضون بحقوق الوطن وأملاكه لا يحسبون حساب أحد ولا يخشون في ذلكَ لومة لائم ولا عتاب معاتب... وويل لمن يجرؤ أصلاً علىٰ محض التفكير في النقد أو اللوم أو العتاب. بل مهمة المواطن أن يوجد كل أنواع المسوغات لشرعنة قيام الحاكم ببيع الوطن أو جزء منه أو حق من حقوقه.

---

(١٩) . هذا بذرة مقال كتبته في ٢٠٠٦/٨/٢٧م ليكون جزءاً من مشروع لهذا كتاب في لهذا الإطار.

إن لم يكن يدرك الحكام العرب أنَّ حقوق الأمة ليست ملك أشخاص مهما علا شأنهم أو حَتَّىٰ دنى فتلك مصيبة سيدفعون هم ثمنها، والوطن سيدفع ثمنها، والشعب سيدفع ثمنها... أي هي جريمة سيدفع ثمنها ثلاثة أضعاف علىٰ الأقل، ومع ذَلكَ لا بُدَّ أن تعود هٰذه الحقوق طال الزمان أم قصر.

وإن كانوا يعلمون هٰذه الحقيقة فإنهم يرتبكون جريمة كبرى عن سبق إصرار وتصميم.

وأمَّا الشَّعب فيظل هو المسؤول الأول والأخير عن تصحيح الأوضاع. إذا كان الشَّعب اليوم نائماً أو فاقداً للوعي فإنَّ الجيل القادم لن يكون كذَلكَ.

خاتمة

دلالات انهيار النِّظام العربي ليست هنا فقط، ولا فيما ذكرناه فقط. وموجبات انهيار النظام العربي ليست فيما ذكرنا وحسب. دلالات وموجبات هٰذا الانهيار أكثر من كثيرة، تمتد علىٰ مدار سحابة نحو ثلثي القرن.

في هٰذا الفصل، وهٰذا الكتاب، مشاهد، معالم، ملامح... انهيار النظام العربي من خلال أحداث السنوات الأخيرة القليلة علىٰ صدور هٰذا الكتاب. هي السنوات الثلاث الأخيرة من عمر الثورة السورية الأربع حَتَّىٰ الآن. ففي هٰذه السنوات انكشف الأمور أكثر بكثير من المتوقع، وتهاكل كل ما بدا متماسكاً من هٰذه الأنظمة، وبدا انهيارها واجباً إن لم يكن وشيكاً بتلقائيته.

لا شكَّ في أنَّ الأنظمة العربية ستحاول الالتفاف علىٰ هٰذا الوقع المفضوح، وستحاول الهروب إلىٰ الأمام، وستعمل ما بوسعها من أجل عدم

ملاقاة المصير المحتوم. ولٰكنَّها إذا تفعل ذٰلكَ فإنها لا تفعل شيئاً سوى أن تدفع الكـرة إلىٰ الأمـام، سـوى أن تضـع العربـة أمـام الحصـان وتشـد العربـة ليبـدو أن الحصان يسير. ولٰكنَّ الحصان لا يسير.

المصير المحتوم يقترب سريعاً شاء من شاء وأبى من أبى. يبدو للجميع أنَّهُ يمكن الترقيع. ولٰكنْ اسمه ترقيع، ترقيع إلىٰ حين لن يطول بكلِّ تأكيد.

الفصل الثالث

هكذا يفكر الحكام العرب

مقدمة

هكذا يفكر الحكام العرب

السباق العربي الياباني

طرق العرب في معالجة الأزمات

كرمال (هالشوارب)

حتى تعرفوا كيف ضاع العرب

حكاية حقيقية لا تصدقوها

الكلام في المؤامرة لا ينتهي

ومن الغباء ما يسيل اللعاب

خاتمة

هكذا يفكر الحكام العرب هو عنوان الفصل بالمجمل، وفيه أول بند تحت العنوان ذاته، البند جزء من تسلسل وليس كل بنية الفصل. ولكنَّهُ عندما كتب ونشر حمل هذا العنوان تعبيراً عن فكرة. وبقية الفقرات دارت في فلك العنوان ذاته من جوانب أُخْرَىٰ.

بداية لا بُدَّ من القول إنَّ الصورة السداء التي ستبدو في بَيْنَ سطور هذا الفصل ليست إلا ملامح ومشاهد لا أكثر من الحقيقة الأكثر سوداوية والأكثر قتامة، والأكثر رداءة.

وفي الوقت ذاته فإنَّ هذا الفصل وهذا الكتاب كما أشرت غير مرة ليس إلا حلقة من حلقات سلسلة عن مدى مأساوية الحال العربيِّ، ومن كتبي التي تناولت فيها هذه الحقيقة المرَّة كتابي: العرب أعداء أنفسهم(٢٠)، العرب جثة تنهشها الكلاب(٢١)، وثَمَّة كتب أُخْرَىٰ منها ما قد صدر منذ سنين كثيرة ومنها ما هو قيد الصدور قريباً.

(٢٠) . الدكتور عزت السيد أحمد: **العرب أعداء أنفسهم** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.

(٢١) . الدكتور عزت السيد أحمد: **العرب جثة تنهشها الكلاب** . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

هكذا يفكر الحكام العرب[٢٢]

كلمة حرِّيَّة واحدةٌ كافيةٌ لتهديد الأمن القومي والسِّلم الاجتماعي وكافية لإبادة مئات الآلاف حرصاً علىٰ الأمن القومي، يعني أمن الحاكم والحاكم وحده فقط.

أيُّ سياسيٍّ في عالمنا العربي يصبح نجماً ويكثر معجبوه فهو خطرٌ علىٰ الأمن القوميِّ يجب تصفيته بأيِّ طريقةٍ من طرق التَّصفية حَتَّىٰ لا يهدد الأمن القوميَّ والسِّلم الاجتماعي....

أن تصبح نجماً ويكثر معجبوك في العهر والدَّعارة والنَّصب والقذارة والاحتيال والحقارة وكل ما دار في هٰذا المجال أمرٌ يجعل النِّظام يسخِّر كلَّ مقدرات الدَّولة لخدمتك.

ألم ترو كيف كان يقبض المطرب أو الرقاصة مئات ألوف الدولارات كي يغني ربع ساعة احتفالاً بعيد النِّظام أيِّ عيدٍ ويرفض تقديم أزهد المبالغ تيسيراً لأمر مفكر أو أديب يرفع رأس الوطن عبر التاريخ؟!

بحركة شطرنجيَّةٍ بارعةٍ مدهشةٍ صار الحاكم العربيُّ هو الوطن والأمن القومي والسِّلم الأهلي ومن ثَمَّ فإنَّ ضياع فلسطين واحتلال العراق واليمن والسودان ولبنان وقصف إسرائيل لسوريا واحتلال أرضها... كلَّ ذٰلكَ لا قيمة له ولا معنى طالما رأس الحاكم بأمان وسلام.

قصة حدثت معي أسردها كما هي، تختصر شيئاً مهماً في هٰذا السياق.

---

(٢٢) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٣/٨/٢٠م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

عسكريٌّ طبيعة عمله جعلت له علاقات مع (علية الناس). في أوَّل مرَّةٍ يزورني كان بمعية المحامي الخاص. عَرَّفَهُ إليَّ بأنَّهُ أبو أحمد.

ودار حديث صار يقول: مرَّة كان عندي نقيبٌ ما رأيت أجحش منه.... من نحو عشر سنوات كان عندي عقيد أسعد اللهُ وقته ما أحلاه... منذ أربع سنين (جابولي) ثلاثة ضباط مقدم ونقيب ورائد...

قلت له: وماذا تعمل أنت؟

قال: بالرحبة العسكريَّة.

قلت: أعرف، فهمت ذَلكَ، ولٰكن ما رتبك؟

قال: تقاعدنا وخلصنا، أراحنا الله.

قلت له: لم تجبني، ما رتبتك؟

قال المحامي: مساعد، مساااااااعد

نظرت إليه بامتعاض وقلت له بسخرية: أرجو أن توضح لي، أكانوا يأخدونك أنت إلىٰ العقيد والمقدم والرائد أم هم كان يجلبون لك العقيد والمقدم والرائد؟!

الصُّورة ليست ليست عجيبةً فكلنا يراها بوضوح في ثقافتنا السِّياسيَّة والاجتماعيَّة، أي وبوضوح أن هٰذه ليست القصَّة الوحيدة... هٰذه هي الحقيقة. لقد شاهدت وشاهد الكثيرون كثيراً من القصص المماثلة.

هؤلاء النَّاس الذين لا يريدون فهم حقيقة موقعهم ومكانتهم سيخربون الدنيا، ما أكثر ما خربوا، ليثبت البغل منهم أنَّهُ حصان، وليثبت الغبيُّ أنَّهُ أفهم من الفهمان.

هؤلاء وببساطة يعرفون أنَّهُم اغتصبوا مواقع ومكاناتٍ هم ليسوا أهلاً لها، وهي أكبر منهم، وفضفاضة عليهم، وهم أقل منها بكثيرٍ جدًّا، ولذلك يخافون من أيِّ واحدٍ أن ينتزع منهم هٰذه المكاسب التي لا يستحقونها، بل يكفي أنَّهُم يتعاملون مع ما اغتصبوه علىٰ أنَّهُ مكاسب، حقٌّ شخصيٌّ، فيحاربون كلَّ من يحاول أن يأخذ حقَّه، يحاربون كلَّ من يقول لهم أنتم أغبياء، يحاربون كلَّ من يمكن أن يكشف حقيقة فراغهم وخوائهم، وعدم جدارتهم، ولذلك فإنَّ أمثال هؤلاء مستعدُّون لتدمير العباد والبلاد كي يثبتوا أي مكانة له، وهي مكانة باطلة، هم غير أهل لها، وأيُّ واحدٍ منهم يصل إلىٰ مكانة أو منصبٍ فإنَّهُ سيحرق الأخضر واليابس كي لا ينافسه أحدٌ علىٰ موقعه ومنصبه، وسيحرق كلَّ الكفاءات والخبرات كي لا يظهر أنَّ هناك من هم أفهم منه أو أعرف منه.

وفي الوقت ذاته فإنَّهُم يشجِّعون باستماتةٍ كلَّ ما يعمي الأبصار والبصائر، وكلَّ ما يشغل الناس عن عيوبهم وأخطائهم وغبائهم... فتجد تشجيع العهر والدَّعارة والفساد والاستعراض من أيِّ نوعٍ، بينما يصبح أيُّ نجمٍ في أيِّ ميدانٍ عدواً للأمن القومي، وخطراً علىٰ سلامة المجتمع، ولذلك تكرست حقيقةٌ خطيرةٌ في ثقافتنا العربيَّة تقول: أن تصبح نجماً ويكثر المعجبون بك في السِّياسة أمرٌ يجعلك خطراً علىٰ الأمن القوميِّ ويوجب إعدامك أو تغييبك في ظلمات السُّجون، بينما الفاجر العاهر ومن في حكمه يصبح بطلاً قوميًّا يهبُّ رئيس الجمهورية ذاته لاستقباله في المطار كلما عاد(ت) من السفر، وتكون كلُّ مؤسَّسات الدَّولة تحت تصرفه ورهن إشارته.

من ذٰلكَ أذكر مثالاً أختم به: كان عبد الرحمن بدوي وهو من هو عائداً إلىٰ القاهرة فوجد المطار منشغلاً ومنقطع الأنفاس من كثرة المخابرات والأمن

والمسؤولين، ظنَّ أنَّ ذَلكَ استعداداً لاستقباله، ولٰكنَّ أحداً لم يكترث به، ولم يعلم بوصوله أو حضوره، وعندما استفسر وجد أن الدَّولة كلَّها منشغلة باستقبال (رقاصة)!!!

لا تستغربوا، كل مطاراتنا يحدث فيها ذَلكَ. وكل دولنا يحدث فيها ذَلكَ. ومن أيَّام فقط شاهدنا كيف انشغلت الدول باستقبال لاعب كرة القدم ميسي... بينما لم يدر أحدٌ بفلاسفة ومفكرين كيف يروحون وكيف يعودون وكيف يعيشون!!!

هل عرفتم لماذا كان الحكام العرب من عبد الناصر إلىٰ يومنا هٰذا يركِّزون علىٰ الأغبياء والبلهاء والسفهاء ليكونوا المسؤولين والمدراء (إلا الاستثناءات والأقارب الثقات)؟؟

هٰذا ما يفسر لنا أيضاً كيف يُقْدِمُ العسكريُّ والضَّباط في كل الدول العربيَّة علىٰ قتل أهله وأقاربه دفاعاً عن النِّظام من دون أن يرتجف أو يرتعد أو يرتدَّ له طرف!!

السباق العربي الياباني(٢٣)

كان هناك سباق تحديف بَيْنَ فريق عربي وفريق ياباني. كل قارب يحمل علىٰ متنه فقط تسعة أشخاص. وفي نهاية السباق انتصر الفريق الياباني بفارق رهيب جدًّا. وبعد التحليل والمناقشة، وجدوا أنَّ:

الفريق الياباني يتكون من: مدير قارب (عدد ١)، ومجدفين (عدد ٨).

الفريق العربي يتكون من: مدير قارب (عدد ٨)، ومجدفين (عدد ١).

(٢٣) . هٰذا النص من متداولات الإنترنت منذ أكثر من عشر سنوات.

الفريق العربي لم يقبل الهزيمة، فطلب إعادة السِّباق بعد أن استفاد من أخطائه، وأعاد تشكيل الفريق بمدير واحد فقط وبطريقة تناسب المرحلة والتحدي.

وبالفعل تَمَّ السِّباق مرَّةً أُخْرَىٰ. وكانت النتيجة الصاعقة، إذا فاز الفريق الياباني أيضاً بفارق رهيبٍ فظيعٍ شنيعٍ لا يقلُّ عن المرة السابقة.

قامت لجنة تقصي الحقائق الوطنيَّة بالنَّظر في الموضوع، فوجدت أن:

الفريق الياباني يتكون من: مدير قارب (عدد ١)، ومجدفين (عدد ٨).

الفريق العربي يتكون من: مدير عام (عدد ١)، مدير إدارة (عدد ٣)، رئيس قسم (عدد ٤)، ومجدفين (عدد ١).

رفعت اللجنة تقريها إلىٰ القيادة، فقررت القيادة فصل المجدِّف وتغريمه بالأتعاب.

طرق العرب في معالجة الأزمات(٢٤)

طرق المعالجة لا تنتهي في حقيقة الأمر. ولذلك هناك نتائج لا ينتهي عددها، فيها كلُّ الاحتمالات والأنواع وليس بالضَّرورة الفشل أو النَّجاح.

مثال: عندما ارتكب النِّظام السُّوريُّ مجزرة الكيماوي قام المجتمع الدولي بمعاقبة السِّلاح الكيماوي؛ صادر السلاح الكيماوي وترك النظام يمارس هوايته في القتل بمختلف أنواع الأسلحة الأُخْرَىٰ الأشد فتكاً من الكيماوي.

(٢٤) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٣/١١/١٦م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

شاهد المثال من الوجه الآخر أكثر مما هو هنا. شاهد المثال في قبول النِّظام السُّوري والأنظمة العربيَّة بهٰذا الاستخفاف... تسليم شرفها، شرف الأمة لأعداء الأمة من أجل البقاء في السلطة.

مثال آخر: عندما أخفق قادة الجيش الحر في بعض المناطق ظلوا قادة وذهبوا إلىٰ مناطق أُخْرَىٰ.

مثال آخر: عندما أخفق المجلس الوطني بقي القادة مثلما هم وصار اسمه إئتلاف.

مثال آخر: عندما أخفق الإئتلاف بقي القادة هم هم وشكلوا حكومة ولبسوها الطربوش...

الغريب أنَّهُم كلهم يفكرون بالطَّريقة نفسها من معاكسة المنطق، بل ومعاكسة القيم الأخلاقية والجمالية والنفسية... العالم العربي منذ ما سمي الاستقلال عن الاستعمار وهو يفكر بهٰذه الطريقة ذاتها. الأنظمة العربية علىٰ رأس السلطة منذ سبعين سنة تقريباً: إخفاق تلو إخفاق تلو إخفاق... وبقيت الأنظمة هي ذاتها من دون أي تغيير، وبين الحين والحين تضحي الأنظمة بوزير أو عضو برلمان وتحمله مسؤولية الإخفاق... ثمَّ وصل الأمر إلىٰ تغيير الحكومات التي هي هياكل لا قيمة لها، ووصل الأمر الآن إلىٰ مرحلة تغيير الشعب.

يعيش النِّظام ويسقط الشَّعب. النِّظام هو هو، وبعد إخفاقات نحو سبعين سنة لم يعد أمام الأنظمة العربيَّة سوى تغيير شعوبها: في مصر أعلنها النظام صراحةً: «أنتم شعب ونحن شعب». الشعب الذي لا يعترف بنظامه ليس من الشعب وعليه أن يرحل. هكذا فعل النِّظام

السُّوري مع الشَّعب الذي رفضه، طرده من سوريا، طرد من سوريا أكثر من نصف شعبها. وكذلكَ كان خطاب السُّلطة في لبنان: «اللي عاجبه عاجبه واللي موع اجبه يترك البلد». وفي العراق أيضاً تم تهجير الشَّعب الذي لا يريد الاعتراف بالسُّلطة. ولن يكون حال أيِّ بلدٍ عربيٍّ غير ذلكَ.

هٰكذا يفكر الحكام العرب. هٰكذا يعالجون الأزمات. وكل أزمة وأنت بخير.

كرمال (هالشوارب)[٢٥]

بهٰذا المبدأ تدار بلادنا منذ عشرات السِّنين. أنظمة الحكم العربيَّة تدير البلاد والمقدرات والعباد بهٰذا المبدأ وليس بأيِّ مبدأ قانونيٍّ أو دستوريٍّ أو تخطيطيٍّ.

وزير التَّربية السُّوري يقرِّر منذ أيَّام أنَّهُ بدءاً من العام القادم سيصبح بإمكان الطَّالب أن يختار بَيْنَ اللغة الفرنسيَّة واللغة الروسية لغةً ثانيةً في الدارسة!!!!

كرمال شوارب بوتين في موقفه مع النِّظام ألغيت اللغة الإنجليزية وأحلَّت محلها اللغة الروسية في المدارس... ولا أظنُّ إلا أنَّهُ إذا استمرَّ النِّظام في السُّلطة فسيلغي اللغة العربيَّة ويستبدلها باللغة الفارسيَّة كرمال شوارب خامنئي في مواقفه الدَّاعمة للنظام...

(٢٥) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/١/٤م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

الأمر ليس نكتةً ولا مزحةً ولا مستبعداً إطلاقاً، فمن يستبدل الإنجليزية بالروسية لن يصعب عليه استبدال الفرنسية بالفارسية أو العربية بالفارسيَّة، ويصبح الطالب مخيراً بَيْنَ الرُّوسية والفارسيَّة.

وهل وقفت روسيا مع النِّظام وقفةً أشد أو أقوى من وقفة إيران معه؟ فلماذا تكافئ روسيا هٰذه المكافأة ولا تكافئ إيران؟

هل نقوم بتدريس اللغات الأجنبيَّة إرضاء للنَّزعات والأهواء؟

هل يجوز أن تكون ردود أفعال الدول والأنظمة بهٰذه الطَّريقة الحمقاء، هل سيرفع ذٰلكَ شأن روسيا؟ هل سيجعلها دولة عظمى؟ هل سيجعل لغتها لغة العلم والحضارة؟ هل سيثأر وزير التربية، بل النِّظام، من بريطانيا وأمريكا بهٰذا السُّلوك أم يثأر من الشَّعب، من مستقبل الوطن الذي سيبنيه هؤلاء الطلاب؟!

قلت: إنَّ مبدأ كرمال شواربك هو أسُّ وأساس إدارة الوطن. والأمثلة علىٰ ذٰلكَ أكثر من أن تعد أو تحصى، أينما وليت وجهك في بلاد العرب أوطاني تجد أمثلةً لا مثالاً. ولٰكنَّ مثالاً لا يغيب عن ذهني لا بُدَّ من ذكره شاهداً آخر.

قاضي من فطاحل القضاة، ولا يختلف عن تسعين بالمئة من القضاة الذين صاروا قضاة بمبدأ كرمال هالشوارب، بالوساطة... بالقوة...

حدثني عن أشياء كثيرة بحكم الصحبة. ولٰكنَّ قصَّة من هٰذه القصص لا تغيب عن بالي أبداً.

أحدهم دخل في شجار مع الجيران لسببٍ كبيرٍ أو صغيرٍ. استلَّ الروسية (الكلاشنكوف) ورشهم رشة أو رشتين فقتلهم، وكانوا ستة شباب ورجال... قتلهم يعني ماتوا علىٰ الخالص، علىٰ الآخر، يعني صاروا بالجنة أو بجهنم.

تَمَّ اعتقالة، والتحقيق معه، واعترف بكلِّ جرأةٍ ورجولةٍ، والجرم يلبسه من دون أيِّ مناقشة أو جدالٍ أو شكٍّ... أوقف على ذمة القضية.

تابع القاضي قائلاً:

جاء إليَّ فلان، هو مساعد بالمخابرات، قريب فلان، وطلب مني أن أفرج عن القاتل، القاتل ابن جارة أخت عمة أبيه... رُبَّما كانت هٰذه صلة القربى. ولٰكنَّهُ يعنيه أمره بشدة.

فقال القاضي: فقلت له، يا رجل، قتل ستة، ستة بني آدمين، وليس فراخ دجاج...

المساعد: وأين المشكلة؟ ألم تصادروا الروسيَّة منه؟ خلص، كتِّبه تعهداً، وأفرج عنه.

قال القاضي: لا حول ولا قوَّة إلا بالله، كرمال شواربك سأفرج عنه، أصولاً لا يجوز الإفراج عنه، ولٰكن (كرمال هالشوارب)، أنت غالي...

أظنُّ أنَّ هناك أغنية يقول المطرب فيها: كان في براسي عقل وطار... لا أدري، ولٰكن هٰذا ما صار معي... كان في رأسي عقلٌ وطار... وأحسست أنَّهُ تجمَّع من اللعاب في فمي ما يملأ كأس الشَّاي، وخلال ربع ثانيةٍ كاد ألف مرَّةٍ ينقذف علىٰ الرَّغْمِ مني في وجهه رشقةً واحدةً...

هٰذه هي أمَّتنا يا سادة.

حتى تعرفوا كيف ضاع العرب[٢٦]

هناك تفسيرٌ لخضوع الأنظمة العربية وأنظمة الخليج العربيِّ على نحو خاصٍّ للهيمنة الأمريكية المطلقة، ولهذا التَّفسير من باب حسن الظَّن قرأته منذ نحو ربع القرن:

يقول إنَّ المسؤولين الأمريكيين كانوا إذا أرادوا شيئاً من حاكمٍ خليجيٍّ وخاصَّةً السعودية، منذ الخمسينيات، كانوا لا يطلبون ما يريدون إلا على الطَّعام أو القهوة، فإذا أكل الطَّعام قال له للحاكم الخليجي:

. بحق الخبز والملح بيننا أن تضمن حماية إسرائيل... مثلاً

. الحاكم الخليجي: الخبز والملح لهم حق... ضمنت لك أمن إسرائيل...

وإذا قدمت له القهوة، يمسك الفنجان ويقول:

. ما أشربها حَتَّى تلبي طلبي

. اطلب وتمنى

. نريد أن نشتري النفط بسعر ثابت مدى الحياة مهما كان... مثلاً

. أبشر

ويوقع له العقد والتعهد

ولقد تغير الزَّمان وتغيَّرت المعطيات وتغيرت معها السِّياسة الأمريكيَّة حسبما أقرَّ أحد رؤساء الاستخبارات الأمريكيَّة السَّابقين في شهادته على العصر على تلفزيون روسيا اليوم، فقد صاروا يسجلون عليهم فضائح من مستويات معيَّنة....

(٢٦) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/٤/٢٤م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

هٰكذا ضيَّعوا حقوق العرب وكرامة العرب...

وضيعوا العرب والإسلام...

هٰـذا في أحسـن الظُّنـون طبعـاً لأنَّ هنـاك مـن يؤكِّـد أنَّ وراء الأكمـة مـا وراءهـا. ولا يظنن أحدٌ أنَّ حـال حكـام العـرب مـن غـير الخليج أحسـن حـالاً، كلُّهم علىٰ مسطرةٍ واحدةٍ...

حكاية حقيقية لا تصدقوها(٢٧)

أحـد الرؤسـاء الأمريكيين في يومٍ مـن الأيَّام، في سـتينيات القـرن العشـرين، دخل إليه مدير مكتبه مبهوتاً وقال له:

. سيدي الرئيس، اتصلوا من المطار وقالوا إنَّ الأمير/الملك . العربي طبعاً، في السَّماء وعلىٰ وشك الوصول... فماذا نفعل؟

بهـت الـرئيس الأمريـك، وأسـقط في يـده ولم يعـرف مـاذا يفعـل. قـال لمـدير مكتبه بأنَّهُ لم يحضر إلىٰ هنا بتوافقٍ مسبق... حضِّروا لي ملفات العمل والنِّقاش المتوقَّعة... يجب أن أعرف كيف أناقشه وكيف أرد عليه...

تشـاور المستشـارون في اسـتنفارهم، ووصـلوا إلىٰ أنَّ الملـك/ الأمـير عـربي، وقضيَّة العـرب المركزيَّة هـي فلسـطين، والأكيـد أنَّـهُ آت للضَّـغط علينـا مـن أجـل تعديل مواقفنا من إسرائيل... وأشياء من هٰذا القبيل.

وقعـد الـرَّئيس الأمريكـيُّ يقـرأ ويـدرس ويراجـع مثـل الطالـب الـذي عنـده امتحان في اليوم التالي.

(٢٧) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/٩/١١م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

وفي اليوم التَّالي التقى الرئيس الأمريكي بالملك/ الأمير متوتِّراً، يردد في قلبه الجمل والإجابات التي يمكن أن يتعرض لها. ولٰكنَّهُ بهت عندما بدأ الملك/ الأمير يتوسله أن يتعهد بحمايته فيما لو اعتدت عليه دولة عربيَّة أُخْرَىٰ.

ضحك الرئيس الأمريكي ضحكةً هستيريَّة في قلبه وسجل في سجل البيت الأبيض مذكرته هٰذه.

ومنذ ذٰلكَ الحين أعاد البيت الأبيض رسم استراتجيته مع المنطقة العربيَّة كلها.

تذكرت هٰذه القصة وأنا أتابع مخاوف القادة العرب من عدم التزام الولايات المتحدة بالقضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة...

الدَّولة الإسلاميَّة هي التي تهدِّد عروش الحكام العرب...

وها هي أمريكا تفي بالتزاماتها بحماية عروش الحكام العرب.

ما يحدث لا يصدق.

قادة العرب يتكلمون باسم العرب، ويعبرون عن مشاعر العرب، ويعبرون عن رغبات العرب، ويعبرون عن آمال العرب... والعرب في غالبيتهم لا يعلمون شيئاً من ذٰلكَ وهم منه براء. ولٰكنَّ العرب يسمعون ويشاهدون ويسكتون. إذن العرب راضون راضون راضون. راضون علىٰ رغم أنَّ قادة العرب يعبرون عما يريدون هم وهم فقط وينفذون ما يريدون هم فقط هم من مصالحهم الشخصيَّة وأهواءهم ونزعاتهم ونزواتهم فقط.

الكلام في المؤامرة لا ينـتـهي[٢٨]

لا يمكن أن ننكر أنَّ العالم يتآمر علينا. نعم لهٰذه حقيقة لا يمكن إنكارها. ولٰكنَّ ما يحدث الآن في العالم العربي، هو صناعةٌ عربيَّةٌ خالصةٌ نقيَّةٌ... ولا فضل لأجنبيٍّ فيها إلا المساعدة عند الضَّرورة... إنَّهُ مؤامرة عربيَّة عربيَّة علىٰ تدمير الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة...

العالم الغربي الذي أنفق الكثير في تآمره علينا نادم كلَّ النَّدم علىٰ كلِّ ما أنفق لأنَّهُ وجد أنَّنا قادرون علىٰ تدمير أنفسنا بأكثر مما يستطيع هو أو يرغب بكثير، بل بكثيرٍ جدًّا. ألم يقل مسؤول أمريكي في أوائل عام ٢٠١٢م: «إنَّ بشار الأسد يدمِّر سوريا أكثر من اللازم». هم لا مانع لديهم في تدميرها، ويريدون تدميرها، ولٰكنَّ بشار الأسد فاجأهم بأنَّهُ يدمِّرها بأكثر مما كانوا يريدون، أو يرغبون، أو يتوقعون، أو حَتَّىٰ يستطيعون. ما حدث ويحدث في العراق لا يختلف كثيراً، وكذٰلكَ في مصر، وليبيا...

أنواع تآمرنا علىٰ أنفسنا لا تنتهي. إنَّنا نتفنن فيها كلَّ أنواع الفنون. أنموذجان عريضان أمرُّ عليهما سريعاً هنا. النَّوع الأول هو أنَّنا نحن أنظمةً، ومؤسَّساتٍ، وأفراداً نقوم بتحريض الغرب علينا.

بناء على معطيات وثيقة، ومعلومات وثيقة: أمريكا والغرب يخافون من الجماعات الإسلاميَّة المتطرِّفة.

هٰذا صحيح، ولٰكن من هي المجموعات المتطرِّفة، ولماذا يخافون منها؟

---

(٢٨) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/٩/١٨م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

بوضوحٍ شديدٍ تامٍّ، إنَّ أطرافاً عربيَّةً؛ أنظمةً وأشخاصاً ومنظَّمات هم الذين يحدِّدون للغرب من هي الجماعات المتطرِّفة، وهم الذين يخيفون الغرب منها. يقولون لهم إنَّ هٰذه الجماعات هي التي ستأكلكم، ستذبحكم، ستبيدكم... في حين أنَّ كلاً منهم يحرض علىٰ الجماعة أو الفريق الذي يخاف منه من الإسلاميين؛ فالأنظمة تحارب الجميع خوفاً علىٰ الكرسي، واليساري يحرض علىٰ من لا يرضى عليه منها، والطائفي يفعل مثل اليساري، والعرقي كذٰلكَ، وهلم جرًّا.

الغرب يصدِّق هٰؤلاء ولا يصدق من يقول لهم إنَّ أخطاءكم هٰذه هي التي تصنع الحقد عليكم، وتصنع أعداء لكم من هٰذا القبيل... وهم لهم ثلثا الخاطر في ذٰلكَ أصلاً.

انظروا معي لماذا يتعامل الغرب مع الشِّيعة باحترام، ولا يرون في الشِّيعة أيَّ خطر؟

باختصار، لأنَّهُ لا يوجد شيعيٌّ، ولا دولة شيعيَّة، ولا منظَّمة شيعيَّةٌ تحذِّر الغرب من الجماعات الشيعيَّة المتطرفة. بينما المسلمون وكما قلت: أنظمة، ومفكرين وتنظيمات وأحزاب... تقوم بإخافة الغرب من المسلمين، من ووصول المسلمين إلىٰ السُّلطة... يحشون الرأس الغربي بالحرص علىٰ المسيحيين والأقليات، وغير ذٰلكَ كثير. والغرب يستهوي هٰذا الكلام، ويقبل به لأنَّهُ ينتظره في حقيقة الأمر. ولٰكن فرقٌ كبيرٌ بَيْنَ أن نكون نحن من يغذِّي هٰذا الوهم، هٰذا العداء وبين أن يكون الغرب هو من يصطنعه بطريقته.

هٰذه زاويةٌ لصورة تآمرنا علىٰ أنفسنا، ولها زوايا أُخْرَىٰ كثيرةٌ. منها السُّكوت علىٰ الخونة، وممارسة الخيانة بأيِّ طريقةٍ من الطرق. والخيانة ليست

عمالةً للعدو بالضَّرورة كما يقولون، يكفي أن تكون غبيًّا لتكون خائناً في بعض الحالات إن لم يكن أكثرها.

منذ بداية الثَّورة طالبت كثيراً بفضح اللصوص والخونة والعملاء. لأنِّي أدرك أنَّهُم سيخربون الثَّورة، وسيخربون سوريا، وسيرهنونها للخارج بالمطلق، وعلىٰ الأغلب لأعداء سوريا... وستموت الثَّورة، وتصبح سوريا نسخة من لبنان أو العراق في أحسن الأحوال.

لم أكن أفاجئ في البدايات من ردِّ بعضهم بقوله: لا داعي لإثارة الفتنة حَتَّىٰ لا نشقَّ الصف. ولٰكنَّ الفتنة صارت، وانشقَّ الصَّف، وضاعت الثَّورة، وضاعت سوريا... ومع ذٰلكَ كلِّهِ ما زال هناك من يقول: لا تقل ذٰلكَ حَتَّىٰ لا تشقَّ الصَّف.

الصَّف مشقوقٌ، مشقوقٌ علىٰ الآخر.

أنتم يا من لا تريدون الفتنة ولا شقَّ الصَّف شركاء في اللصوصيَّة والخيانة والعمالة، وغارقين فيها، ولولا ذٰلكَ لما تنطعتم لإسكات من يفضح اللصوص والخونة والعملاء كلما تكلَّم أحدٌ كلمةً في حقِّهم... إن لم تكونوا في ذٰلكَ شركاء فأنتم بلهاء وتافهون وأغبياء لأنكم تتنطعون للكلام فيما لا تعلمون ولا تفقهون.

انظـروا أيـن صـرنا وصـارت الثَّـورة وصـارت سـوريا بسـبب هٰـذا السُّـكوت. إمَّـا أنَّكُـم لا تريـدون أن تـروا الحقيقـة الـتي تفقـأ أعـين الجاحـد، أو أنكـم شـركاء في اللصوصـيَّة والفسـاد والخيانـة والعمالـة. ولا شـيء عنـدي غير ذٰلكَ.

ومن الغباء ما يسيل اللعاب[٢٩]

منذ أوائل السَّبعينيات والعرب يتنطَّعون ما بَيْنَ الفينة والأُخْرَىٰ لتأسيس لوبي ضغطٍ عربيٍّ في أمريكا، ويحشدون المختصين، ويفرشون الأموال، ويبدأ العمل، ويسقطون أمام أوَّل اختبار...

ينتظرون قليلاً ويعيدون الكرَّة...

ويخفقون في كلِّ مرَّةٍ...

وكلَّ مرَّةٍ يعيدون الكرة...

لا أريد أن أطيل عليكم. ولٰكنِّي فوجئت اليوم بأنَّهُم ما زالوا يعيدون الكرَّة ويحاولون تشكيل لوبي ضغطٍ عربيٍّ في الولايات المتحدة الأمريكيَّة علىٰ غرار اللوبي الصِّهيوني.

الفكرة في أساسها غباءٌ.

ولٰكن لا بأس من التَّجريب حَتَّىٰ لا نندم.

ولٰكنَّ تكرار المحاولة هو غباءٌ مستفحلٌ. غباءٌ مستفحلٌ ومزمنٌ لسببين:

السَّبب الأوَّل عمليٌّ، تطبيقيٌّ، هو أنَّهُم بالتَّجريب والممارسة يجب أن يدركوا أنَّهُ من المستحيل أن يُسمح لهم بالقدرة علىٰ تشكيل الرَّأي العام الأمريكي، ومن المستحيل أن يشكلوا قوَّةَ ضغط علىٰ القرار الأمريكي.

والسَّبب الثاني نظري، تأسيسي، وهو أنَّهُم عرب، مسلمون، في دولة ليست لهم، ولا منهم، لها مصالحها بوصفها أقوى دولةٍ في العالم، ومصالحها ومصالح اللوبي الصهيوني واحدةٌ، أي إنَّ قوَّةَ الضَّغط الصهيونيَّة ليست خارجيَّة،

---

(٢٩) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٣/١٠/٢٩م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

ليست من خارج البنية الأمريكية، وإنَّمَا هي جزء صميميٌّ منها ومن مصالحها، بينما قوَّة الضَّغط العربيَّة قوَّة خارجيَّة، من خارج البنية الأمريكيَّة، وليست منسجمةً مع مصالحها، حَتَّىٰ ولو كان الجميع يحملون الجنسيَّة الأمريكيَّة.

إذن جهة الفعل هي الغلط

الفعل مطلوب، ولٰكن يجب اختيار جهة الفعل الصَّحيحة.

هٰذا إذا رغب العرب بالفعل.

خاتمة

كما أشرنا بداية، ليست مادة هٰذا الفصل هي كل الأفكار ولا الموضوعات ولا الأحداث التي تعبر عن طريقة تفكير الحكام والسلاطين العرب، وطريقة قيادتهم الأوطان. ولذلك ليست هي كلَّ ما يستحقه من مضمون.

المصيبة أكبر من ذٰلكَ بكثير. ما أشرنا إليه ليس إلا مشاهد عابرة استدعى الحديث فيها هٰذا السَّبب أو ذاك.

ولذلك يبرز السُّؤال بعناد شديد: وماذا بعد؟ ومعه كومة الأسئلة:

إذا كانت هٰذه طريقة تفكير الحكام العرب، وهٰذه طريقتهم في قيادة البلاد، فكيف يمكن أن يكون حال بلدانهم؟ وكيف يمكن أن يكون حال الأمَّة؟ وإلىٰ متى يمكن صمودهم؟ وإلىٰ متى يمكن الصبر عليهم؟

الفصل الرابع

خرافة الانتخابات عند العرب

مقدمة
خرافة الانتخابات عند العرب
مهزلة الترشيحات
الانتخابات العربية
ثورات العرب أعجب من العجب
متى يتعلم الغرب الديمقراطية من العرب
خاتمة

الحـديث في الدِّيمقراطيـة العربيَّـة
حـديثٌ لـه شـجون وشـؤون وتفاصـيل
تتفاوت ما بَيْنَ المضحك والمبكي والمبكي
المضـحك. لـن نتحـدث في الدِّيمقراطيَّـة.
سـنتحدث ملمـحٍ منهـا هـو مـا يسـمى
انتخابات في العالم العربي.

الانتخابـات جـزء أصـغير مـن صـغير مـن الديمقراطيـة. الديمقراطيـة ميـدان رحـب واسـع. كلهـا لا وجـود لهـا في ا لعـالم العـربي، إلا عرضـاً، مصـادفة، عـن غـير قصـد... ولـن نقـف عنـد ذَلـكَ كلـه. سـنقف عـن الانتخابات فقط.

ماذا سيحدث إذا قاطع ثلاثة أرباع المصريين الاستفتاء علىٰ الدستور؟

خرافة الانتخابات عند العرب(٣٠)

ماذا سيحدث إذا قاطع ثلاثة أرباع المصريين الاستفتاء علىٰ الدستور؟
سيفوز الدُّستور بنسبة ثمانين بالمئة... علىٰ الأقل.
في الأنظمة العربيَّة لا قيمة لمن يحضر ولا لمن يغيب.
ما تقرِّره الأنظمة العربيَّة سيكون علىٰ الرَّغْمِ من أنوف الجميع.
بالقوَّة، بالتَّزوير، بأيِّ طريقةٍ سيكون...
وسيكون هو الشَّرعي.

(٣٠) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٣/١٢/٧م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

في الأنظمة العربيَّة القائمة لا قيمة لرأي المواطن، بل لا قيمة للمواطن كلِّه. ومن ثَمَّ الأمر ليس أمر الدستور، بل حَتَّىٰ لو ترشَّح السِّيسي فإنَّهُ سينجح وينجح وينجح.

سينجح حَتَّىٰ ولو لم يذهب مواطنٌ مصري إلىٰ الانتخاب.

لماذا نكذب علىٰ بعض؟ النَّتائج في الانتخابات العربيَّة حَتَّىٰ الآن تصدر نتائجها قبل الانتخابات، ومن ثَمَّ فإنَّ الأمر لا يتوقَّف عند السيسي، يمكن تعميمه علىٰ كلِّ الأنظمة العربيَّة من المحيط إلىٰ الخليج. ولٰكن دعونا نقف عند بشار الأسد الذي يبدو أنَّ بعضهم يريد تصوير الأمر علىٰ أنَّهُ مختلفٌ فهل يمكن أن ينجح بشار الأسد إذا ترشح للانتخابات؟

دعواتٌ كثيرةٌ تقول، فَقَدَ بشار الأسد شرعيته، وكي نحل الأزمة ونقلل من هدر الدماء فلندع إلىٰ انتخابات مبكِّرة ولن ينجح بشار الأسد، وتنتهي الأزمة السُّورية.

كلامٌ أحلى من الذهب، ولٰكن لو كنا في السويد مثلاً أو الدنمارك أو أمريكا... أمَّا في سوريا فهٰذا محال.

إذا ترشَّح بشار الأسد للانتخابات فسيفوز. سيفوز علىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ لا يؤيِّده أكثر من عشرة بالمئة من الشَّعب السُّوري، وسيرفضه تسعون بالمئة من الشَّعب السُّوري... وعلىٰ الرَّغْمِ من أنَّ سبعين بالمئة من الشَّعب السُّوري لن يستطيع الذهاب للتَّصويت. سيفوز مثلما كان يفوز بسهولةٍ، لأنَّ النَّتائج كانت دائماً جاهزة قبل التَّصويت.

ألم يحدث التَّصويت علىٰ مجلس الشَّعب في ظلِّ اشتعال سوريا بالثَّورة؟ ونجح فقط الذين أراد لهم النظام أن يكونوا في مجلس الشَّعب؟؟

ألم يحدث تصويت علىٰ الدستور الذي كان أسوأ من سابقه كثيراً ومع ذٰلكَ فاز بامتياز؟

أذكر هنا نكتة. يقولون إنَّ بل كلينتون عند التقى حافظ الأسد قدَّم له هدية. فسأله ما هٰذا؟

فقال له كلينتون: آلة فرز الأصوات الانتخابيَّة، تستطيع برمجتها فتعطيك النَّتائج بعد ١٢ ساعة فقط من التَّصويت.

فضحك حافظ الأسد وقال له: شكراً، لا داعي لها، عندنا آلات تصدر النتائج قبل الانتخابات بأسبوع.

حسناً، إذن لماذا لا تكون هناك رعاية دوليَّة للانتخابات؟

حسناً، وماذا ستفعل الرعاية أو الإشراف الدولي علىٰ الانتخابات؟

لا شي.

لقد جربنا هٰذا الإشراف الدُّولي في دولٍ كثيرةٍ لا قيمة لها بالمقارنة مع سوريا، ولا قوَّة لنظامها مثل النِّظام السُّوري، ومع ذٰلكَ لم تجد شيئاً. فكيف سيكون الأمر في سوريا؟! وكيف سيكون الأمر في مصر؟! وكيف سيكون في أيِّ دولةٍ عربيَّةٍ.

مهزلة الترشيحات[٣١]

الأحزاب

المعارضة

الموالاة

(٣١) . نشر هٰذا المقال في ١٨و ٢٠١٤/٤/٢٨م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

الشعب

كله يريد أبو تلفيقة رئيساً

لك أبو تلفيقة؛ أبو تلفيقة في العناية المركَّزة منذ أشهر، وخارج الخدمة، ومنهي الصلاحية... ومع ذَلكَ الكل يناشده الترشح للرئاسة!!!

أيعقل أنَّهُ لا بدل عنه في كلِّ الجزائر؟!

تخيَّلوا أنَّ الشَّعب الجزائري أراد أبو تلفيقة لأنَّهُ لا يوجد أصلح منه ولا أفضل منه للرئاسة.

اعترض علىٰ هٰذا الكلام بعضهم بأنَّ الشَّعب الجزائري الأبي قاطع الانتخابات ومعظم الشَّعب الجزائري لم يرض بهٰذه المهزلة... و...و...

لا حول ولا قوة إلا بالله

إذن ما الذي حدث؟

هل جاؤوا بجزائريين مريخيين؟

أم زوَّروا الانتخابات؟

في الحالين كليهما أنا أمام شعبٍ ميتٍ قبل بأن يكون رئيسه شخصٌ خارجٌ من القبر للتو وسيعود بعد أداء القَسَم إلىٰ القبر.

من غير المعقول أن يقنع العقل أحد بهٰذه المهزلة التي قبلها الشَّعب الجزائري.

كتبت قبل تمام الأيام العشرة:

إنَّ محض ترشُّح بوتلفيقة للرئاسة وهو علىٰ النَّعش ميتٌ خارجٌ من القبر طعنةٌ نجلاء في صدر الجزائر والعرب والمسلمين.

فكيف إذا نجح وقد نجح؟؟؟ إنَّهَا مهزلة المهازل.

الانتخابات العربية[٣٢]

من ظنَّ أنَّ ما حدث في الجزائر ومصر وسوريا انتخابات رئاسيَّة فهو لا يفقه شيئاً من ألف باء السِّياسة ولا حَتَّىٰ الحياة.

إنَّهُ شبه استفتاءٍ وليس استفتاءً، محدَّد النَّتائج قبل الانتخابات وقبل التَّرشُّح للانتخابات، وما الكركوزات المرافقة إلا هياكل تشبه البشر، ولذلك تشبه المرشَّحين. وكيف أسميهم بشراً لا مرشحين وهم لا يجرؤن علىٰ التَّصويت لأنفسهم أمام الرَّئيس النَّاجح قبل الانتخابات؟!

رُبَّما أحسن حسن ظنٍّ في هٰذه الهياكل أنَّهُم مدراء حملات انتخابيَّة للرَّئيس.

ثورات العرب أعجب من العجب[٣٣]

عندما كانت المجتمعات العربيَّة حرَّةً، ديمقراطيَّةً، كانت منطقيَّةً، مثل أيِّ مجتمعٍ ودولةٍ. ولٰكن بعد فترة الاستقلال، أو التي سُمِّيَت فترة الاستقلال غابت الحريَّة وغابت الدِّيمقراطيَّة وغابت الكرامة الإنسانيَّة، وانقلبت كلُّ المعايير والمقاييس والموازين، ولم يعد من الممكن أن تحزر أو تخمِّن شيئاً... صرنا مجتمعاتٍ خارج المقاييس وخارج المعايير.

عندما انتصرت الثَّورة الفرنسيَّة مسحت عن وجه الأرض كلَّ ما يمتُّ للنِّظام السَّابق بصلةٍ حَتَّىٰ من البشر. وهو ما سمي حينها بقانون الشَّرعيَّة الثَّوريَّة.

---

(٣٢) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/٦/٥م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

(٣٣) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/٩/١٨م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

وتدور عجلة الأيام وتشتعل الثَّورة البلشفيَّة الروسيَّة وتنتصر الثَّورة، وتمسح عن وجه الأرض كلَّ ما مَتَّ أو يمتُّ بصلةٍ للمرحلة القيصيريَّة حَتَّىٰ من البشر أيضاً.

حَتَّىٰ الانقلابات والحركات التَّصحيحيَّة أو ما سُمِّي الثَّورات العربيَّة التي ثارت علىٰ الدِّيمقراطيَّة في مصر، في سوريا، في العراق، في اليمن، في تونس، في الجزائر، في موريتانيا... في فترة الاستقلال تقريباً وما بعد... كل هٰذه الانقلابات أو الثَّوارات كما سموها مسحت عن وجه الأرض كلَّ ما مت أو يمت بصلة إلىٰ الأنظمة التي ثارت عليها: أشخاص، رموز، صور، أفكار، أغاني... حَتَّىٰ الممارسة الدِّيمقراطية واحترام القانون لأنَّهَا من مخلفات النظام السَّابق مسحوها من الوجود...

هٰذه الأنظمة هي التي بقيت وسادت حَتَّىٰ عصر الثَّورات العربيَّة الحقيقي، أو ما سُمِّي بالربيع العربي. وقعت الثَّوارت، منها ما انتصر ومنها ما زال علىٰ الطريق، ومنها ما سيقوم.

أتحدَّث علىٰ الثَّورات التي انتصرت علىٰ الديكتاتورية والاستبداد. انتصرت فماذا فعلت؟ هل فعلت مثل الثَّورات؟

الطَّريف الغريب العجيب أنَّ الثَّورات انتصرت ولٰكنَّها حافظت علىٰ رموز الأنظمة السَّابقة، ودلَّلتها دلالاً لا يصدق، باستثناء شخص القذافي. في مصر أيَّنما توجَّهت تجد مركز حسني مبارك الثقافي، مركز مبارك الإعلامي، مركز مبارك للأبحاث... وتجد صوره وتماثيله كما هي وكأنَّ ثورة لم تقم عليه وعلىٰ نظامه... بل إنَّ المرشحين لانتخابات رئاسة الجمهورية كانوا أكبر رموز النِّظام: عمر سليمان نائب مبارك، ورئيس الاستخبارات لزمن طويل. أحمد شفيق آخر رئيس

وزراء في عهد مبارك، عمرو موسى وزير خارجية مبارك لزمن طويل... فأيُّ ثورةٍ هٰذه؟

ولذٰلك لا عجب أن ينقلب فلول مبارك علىٰ السُّلطة الشَّرعيَّة الأولى في تاريخ باللاد الحديث فوراً ويقضوا عليها، وفعلت ثورة الانقلاب بالنِّظام الشَّرعي ما فعلت الثَّورة الفرنسيَّة والبلشفيَّة والانقلابات العربيَّة السَّابقة.

في اليمن حَدَثَ تقريباً ما حَدَثَ في مصر. بقي علي عبد الله صالح متحكِّماً في الدَّولة وكأنَّهُ لم يسقط. ولذٰلك ما زالت اليمن علىٰ كفِّ عفريت من احترابٍ واقتتال وصراعٍ وأزمات...

في ليبيا استطاعت الثَّورة الليبيَّة عندما انتصرت أن تفعل الكثير، وكانت ماضيةً في بناء نجاحها لولا أنَّ النِّظام العربيِّ المحيط والخليجي أخرج لها حفتر من القمقم وجمع له الحشود بإغراءات ماليَّة كبيرةٍ جدًّا للانقلاب علىٰ الثَّورة والقضاء عليها. وفي تونس الجهود الخليجية علىٰ قدمٍ وساق لإعادة النظام القديم ولا أظنه إلا سيعود.

أمَّا في سوريا فكانت الأمور أكثر تعقيداً. لقد تكاتفت الجهود العربيَّة قبل الدولية علىٰ عدم السَّماح للثَّورة بالانتصار.

ولٰكنَّ وسط ذٰلكَ كلِّه يبقى الغباء الثَّوري العربيِّ هو سيد المشهد. شعبٌ لا يعرف كيف يثور، ولا يعرف لماذا يثور، ولا يعرف متى يثور، ولا يعرف متى لا يثور. ألا تعساً لمثل هٰذا الشَّعب. كل حثالات الأرض وشياطينها تقودهم وتتلاعب بهم جهاراً نهاراً بوضوح لا لبس فيه، وهم خانعون قابلون راضون.

هل يعقل أنَّ الديمقراطية والانتخابات النزيهة تسبب الغثيان أو الإغماء للشَّعب العربي؟! ولذٰلك يأبى إلاَّ أن تزور إرادته ويصفِّق للتَّزوير!!

متى يتعلم الغرب الديمقراطية من العرب[٣٤]

من باب تجزيء المشكلة نسلِّط الضَّوء علىٰ مشهدٍ من الوعي السِّياسي العربي. الوعي السِّياسي العربي بالمجمل والتَّفصيل أدنى بكثير جدًّا من أن يحمل مسؤوليَّة بناء دولةٍ أو قيادة دولةٍ. قيادة الدَّولة مسألةٌ سهلةٌ نظريًّا وحَتَّىٰ عمليًّا، ولٰكنَّها لن تكون أكثر من قيادة الحمار لجمل مربوط بذيله... مثل هٰذه الطَّريقة في القيادة هي إدارة المدار، وتسيير المسير. القيادة الحقيقيَّة هي التي تقود المقاد من حال إلىٰ حال أفضل، وتحقق نقلات نوعيَّة غير تلقائيَّة، فأيُّ آذنٍ يستطيع فعل ما يفعله أيُّ مسؤول قائد من توقيع البريد والصُّراخ بالموظفين والعمال.

عندما أتحدَّث عن انعدام الوعي السِّياسي فأنا أعني الوعي السِّياسي عن السِّياسي وعن المسوس معاً. وكلاهما يفتقر إلىٰ الحدِّ الأدنى الكافي من الوعي لتيسير العمليَّة السِّياسيَّة تيسراً حسناً لا تلقائيًّا بقوَّة الاندفاع الطَّبيعي والتَّدافع المفروض بطبيعة العلاقات السِّياسيَّة العالميَّة والإقليميَّة.

من دلائل انعدام الوعي السِّياسي في العالم العربيِّ والإسلاميِّ أنَّهُم يتابعون منذ عشرات السِّنين كيف أنَّ كلَّ الدول التي فيها تنافسٍ انتخابيٍّ يتنافس فيها حزبان أو ثلاثة بالأكثر، ومع ذٰلكَ فإنَّ كلَّ مواطنٍ في أوطاننا له من الكفاءة الكفاءة أو البكالوريا وما فوق يصرُّ علىٰ أن يكون هو رئيس حزب ولو لم يكن فيه غير جنابه.

منذ أكثر من عشرين سنةٍ وأنا أقول: علىٰ الغرب، علىٰ أوروبا وأمريكا أن يتعلموا الدِّيمقراطية من بلادنا. وهل يمكن أن تقارن ديمقراطيتهم بديمقراطياتنا؟

---

(٣٤) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/١٠/٢١م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

قطعاً لا تجوز المقارنة. الدِّيمقراطيَّة في بلادنا منفتحةٌ آخر انفتاح، وتصل إلىٰ سقف سقف الدِّيمقراطيَّة، بينما الديمقراطيَّة الغربيَّة محدودة، مسكينة، الخيارات مغلقة أمام المواطن الغربي، أمَّا أمام المواطن العربي فالخيارات أمامه مفتوحةٌ، مفتوحة فتحة واسعة وعلىٰ الآخر.

في أوروبا وأمريكا يخوض انتخابات الرئاسة اثنان، ثلاثة أشخاص بالأكثر، وفي التَّصفيات يكونون أربعة أو خمسة بالأكثر. يعني المواطن مسكين، ملزمٌ بواحدٍ من اثنين أو ثلاثة. أمَّا في بلادنا يا سادة فلا توجد هٰذه الإكراهات للمواطن. الذين يقدمون أوراقهم للتَّرشُّح بعشرات الآلاف... عندما كانت في مصر ديمقراطيَّة، أيَّام ترشُّح محمَّد مرسي، رأينا طوابير المواطنين المتقدِّمين للتَّرشُّح لرئاسة الجمهوريَّة في مصر بالآلاف... وخلصت اللجنة أخيراً إلىٰ إبقاء اثني عشر مرشَّحاً. في أول انتخابات ليست انتخابات في سوريا علىٰ رغم كلِّ شيءٍ ترشَّح ثلاثٌ وعشرون مواطناً، ولأسبابٍ أمنيَّة بقي ثلاثة فقط كما وعد شريف شحادة قبل الانتخابات بأشهر عندما قال: سيخوض الانتخابات ثلاث مرشحين.

للأسف لا يوجد حالات أُخْرَىٰ لذكرها مثالاً. هاتان هما الحالتان الوحيدتان اللتان جرى فيهما ترشيح لانتخابات رئاسيَّةٍ في العالم العربي منذ ستين سنة؛ واحدةٌ حقيقيَّةٌ في مصر، وواحدةٌ شكليَّة في سوريا.

ولٰكنَّ هاتين الحالتين تعكسان عكساً أنموذجيًّا لما ستكون عليه الأمور فيما لو فتحت أبواب الترشح الحرِّ في العالم العربي. ستجدون ما لا يقل عن نصف المواطنين مصطفاً علىٰ أبواب لجان استلام طلبات الترشح لرئاسة الجمهورية... ورُبَّما تجدون من يعلق قائلاً: يرجى من المواطن الذي لا يريد التَّرشح للرئاسة أن يرفع يده.

فهل الغرب يعيش ديمقراطيَّة أوسع من ديمقراطيتنا؟

لا تبتعدوا كثيراً، الأمر لا يتوقف علىٰ الرئاسة فقط. تعالوا ننظر إلىٰ مشهد الانتخابات النيابيَّة التُّونسية التي تجري في هٰذه الأيام، تخيلوا أنَّ مئة وتسعين حزباً تتنافس علىٰ كراسي البرلمان التي يبلغ عددها ٢١٧ كرسيًّا... كيف يمكن أن تبنى دولة أو يحدث توافق تحت أيِّ ظرف من ظروف النَّتائج؟

تونس التي تخلَّصت من حكم الفرد والحزب الواحد وتخوض تجاربها الديمقراطيَّة الأولى هٰذه هي. تونس ليست استثناءً أبداً، فلا يوجد بلد عربي إلا فيه عشرات الأحزاب.

بعيداً عن السُّخرية وواقعنا لا يحتمل إلا السُّخرية، أيُّ ديمقراطيَّة هٰذه التي تفرز عشرات الأحزاب؟ هل هٰذه الديمقراطيَّة؟ أن يكون لكلِّ شخصٍ حزب، وأن يترشَّح كلُّ مواطنٍ لرئاسة الجمهورية؟ أيُّ ديمقراطية هٰذه؟!! هٰذه ليست عبثيَّة أيضاً، إنَّها غباء هستيري مكفولٌ بوكالة رسميَّة.

أتكلَّم هنا عن الدُّول التي فيها مناخ حريَّة وديمقراطيَّة ولا أتكلَّم عن الأنظمة المتفرِّدة في السُّلطة. الأنظمة المتفرِّدة في السُّلطة تحتاز الطرف المقابل لهذه الغباوة الهستيريَّة، التي يمكن اختصارها بقصتين. الأولى نقاش بَيْنَ سوري وأمريكي في التَّفاخر بالديمقراطيَّة، سأل السُّوري الأمريكي:

ما دلائل الدِّيمقراطية التي تدعيها؟

قال الأمريكي: أنا الآن أستطيع أن أقف أمام البيت الأبيض وأسبُّ الرَّئيس كلينتون ولا أحد يعترض عليَّ أو يسألني ماذا تفعل.

فقال السُّوريُّ: حلو، حلو، وأنا أيضاً أستطيع الآن أن أقف أمام القصر الجمهوري بدمشق وأسبُّ الرَّئيس كلينتون ولا أحد يعترض عليَّ أو يسألني ماذا تفعل.

أما القصَّة الثَّانية، وهي للمصادفة مرتبطة أيضاً ببل كلينتون الذي التقى بالرئيس حافظ الأسد، وقد علم أنَّهُ يريد ترشيح نفسه للمرة الرَّابعة، فقال له:

. سأهديك أجهزة فرز أصوات الناخبين الإلكترونية التي اخترعناها مؤخراً.

سأله حافظ الأسد: وما ميزتها؟

قال كلينتون: بدل أن يطول الفرز ويضيع الوقت، تقوم هي بفرز الأصوات وتعطيك النَّتائج بعد اثني عشر ساعة من انتهاء الانتخابات.

فقال حافظ الأسد: قديمة، أجهزتنا تعطيك النَّتائج قبل الانتخابات بأسبوع.

هٰذه هي ديمقراطيتينا أيُّهَا السَّادة. أفلا يجدر بالعالم الأوروبي والأمريكي أن يأتي ويتعلم منا؟!

ليس بسبب البرد الذي يحاصر المشردين السوريين والعراقيين والصوماليين وليس لديهم ما يسهم في تقديم بعض الدفء لهم، وليس بسبب انعدام الوقود أو قلتها لا سمح الله، فالوقود العربي أكثر من ثلثي وقود العالم، ولٰكن بسبب الحقيقة... بسبب الحقيقة علىٰ كلِّ الأحزاب العربيَّة التي وجدت قبل الربيع العربي وحَتَّىٰ في أثنائه أن تلقي بنفسها حطباً للمدافئ حَتَّىٰ لا تجد نفسها وقد ألقي بها في مواقع أُخْرَىٰ... أَخْرَىٰ...

هٰذه هي الطَّريقة الوحيدة للانسحاب بشرفٍ... أشرف شرفٍ يمكن أن نوفِّره لهم.

خاتمة

هٰذه مشاهد صغيرة من تاريخ نحو القرن في العالم العربي. كان يمكن القول إننا لا نريد انتخابات، والانتخابات آخر همنا، وما إلىٰ ذٰلكَ لو أنَّ في العالم العربي ممارسة سياسية واحدة تبل الريق، لو أنَّ في العالم العربي ممارسة سلطوية واحدة مقبولة... كنا قلنا الانتخابات عملة زائدة لسنا بحاجتها، كنا اتهمناها أي تهمة تآمرية لنقبل التخلص منها، لتقبل ممارستها بهٰذه المسخرة والاستخفاف بالعقل والإنسان والقيم كلها...

من ضربكم علىٰ أيدكم لتقوموا بانتخابات. ابقوا علىٰ الكراسي من دون هٰذا التَّمثيل المفضوح لممارسة الانتخابات... علىٰ الأقل تقللون احتقاركم قليلاً.

الفصل الخامس
أمة بلا بوصلة

مقدمة
عندما يركب السلاطين النمر
حكام عرب أخطر من الماسونية
إذن انتظروا أيها السلاطين
خربت وضاعت الطاسة
أمة بلا بوصلة
المفاضلة بين حكامنا وإسرائيل
هل مصر بيضة القبان؟
خاتمة

عندما تضيع البوصلة تضيع الاتجاهات،
وعندما تضيع الاتجاهات يفقد المرء توازنه النَّفسي
والانفعالي ولا يعرف أين يسير، وأينما سار لا
يعرف إن كان يسير في الاتجاه الصَّحيح أم لا،
وإن ظَنَّ أنَّهُ يسير في الاتجاه الصَّحيح فهو محض
ظنٍّ غير مضمون وغير مأمون...

قد يكون فعلاً يسير في الاتجاه الصَّحيح، وهٰذا احتمال ضعيف من بَيْنَ عدد من الاحتمالات الضعيفة واحد منها فقط الصَّحيح، وعلىٰ افتراض أنَّ ظنه صحيح في أنَّهُ يسير في الاتجاه الصَّحيح فإنَّهُ غير مأمون العواقب لأنَّهُ يسير من دون معالم ولا علامات ارتكاز يتفحص من خلالها صوابية سيره وحركته.

هٰذه أمَّتنا أيها السَّادة. إنَّهَا تسير من دون بوصلة. وليس هٰذا فحسب، بل إنَّهَا تسير في الاتجاه الخطأ وتأبي الاقتناع بأنَّهَا تسير في الاتجاه الخطأ وتصرُّ علىٰ أنَّها تسير في الاتجاه الصَّحيح، ولذٰلك ما فتئت منذ الاستقلال إلىٰ اليوم تخرج من حفرة لتنزل في أُخْرَىٰ.

عندما يركب السلاطين النمر[٣٥]

من يركب البحر لا يخشى من الغرق.
هٰذا صحيح.

(٣٥) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٣/١١/١٦م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

المشكلة مشكلة سباحة وبحر: إمَّا أن يسبح أو أن يغرق.

ولٰكن ما بال من يركب النَّمر:

لا هو يمكن أن يبقى فوقه ولا هو يستطيع النُّزول عنه؟؟!!!!

القذافي علىٰ الفور حشر نفسه في باب اللارجعة ودمَّر بلده...

بشار الأسد علىٰ الفور حشر نفسه في باب اللارجعة ودمَّر بلده...

السِّيسي علىٰ الفور حشر نفسه في باب اللارجعة... وماذا سيفعل؟!

ومع كلِّ ذٰلكَ فإنَّ هؤلاء المستبدين بدعةٌ تبدعُ ما لا يخطر بعقل بشر ولا تستطيع عقول البشر تفسيرها...

حسبك أنَّهُم يفخرون بالهزيمة ويعدونها انتصاراً، حسبك أنَّهُم يرون كلَّ دمار يتحقَّق علىٰ أيديهم أو بسببهم تقدُّماً ويفخرون به ويقيمون الاحتفالات للفخر به.

لن أذكر هنا أمثلة فكلٌّ منَّا لديه الكثير بالتأكيد.

حكام عرب أخطر من الماسونية[٣٦]

هناك دولٌ عربيَّةٌ أخطر من الماسونيَّة والصهيونية علىٰ العرب والإسلام مهما بدا منهم من مظاهر بريئة.

المكتوب يقرأ من عنوانه، فمن لم يستطع أن يقرأه فليفحص عقله.

لا نريد أن نعدِّد الأمثلة، نقتطع مشهداً أمامنا هو أكبر دليل علىٰ إخلاص الأنظمة العربيَّة لبعضها وهو التَّقدم الهائل في العلاقات العربيَّة الروسيَّة بعد موقفها من الثَّورة السُّورية... فمنذ تصاعد الدَّور الروسي ضدَّ الثَّورة السُّورية

(٣٦) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٣/١١/٢٣م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

ازدادت الصَّفقات التي يشتريها العرب من روسيا أكثر من ٢٠٠% بدءاً من دول الخليج التي لم يكن بَيْنَها وبَيْنَ الروس أيُّ علاقةٍ تجاريَّة مروراً بمصر وتونس والجزائر والعراق...

ألا يعني ذَلكَ أنَّ الأنظمة العربية تكافئ روسيا علىٰ قتل الشَّعب السُّوري؟؟؟

لنقل: كل شيء كان متوقعاً...

ولٰكنَّ ما لم يكن متوقَّعاً أن تكون التَّوقعات السَّيئة كلُّها فقط متحقِّقةً وبالطَّاقة الكليَّة.

إذن انتظروا أيها السلاطين[٣٧]

منذ عشراتٍ قليلةٍ من السِّنين كنا نتساءل:

أيعقل أنَّ الحكام العرب أغبياء إلىٰ هٰذه الدَّرجة؟!

وكنَّا نخرج باستنتاج أنَّهُم ليسوا أغبياء ولٰكنَّهُم عملاء.

ولأنهم عملاء فهم مغلوبون علىٰ أمرهم.

بعد انطلاق شرارة الرَّبيع العربي اكتشفنا حقيقة مرَّةً:

الحكام العرب ليسوا خونة فقط وعملاء... إنهم حقًّا أغبياء. فالنَّار تحيط بهم أنفسهم لا بأوطانهم فقط التي لا يبالون بها، ومع ذَلكَ يصرُّون علىٰ تكرار الحماقات ذاتها بالطَّريقة ذاتها في التَّعامل مع الأحداث ذاتها!!!

أينما توجهتم وجدتم الأمثلة من لبنان إلىٰ سوريا فالعراق فالخليج ومصر والمغرب العربي. ولكنَّ مثالاً عجيباً أمامي هو بوتلفيقة المشلول

(٣٧) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٣/١٢/٤م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

منـذ سـنة، والقـابع في غرفـة العنايـة منـذ أشـهر، وفي ظـلِّ ظـروف الربيـع العـربي، وغليـان الكثـير مـن الشُّـعوب العربيَّـة... متمسِّـكٌ بالتَّرشُّـح للمـرَّة الرَّابعة، وأركان سلطته يصفِّقُون له!!!

أليس في ذَلكَ ما يجعل العقل (ينط) من الرأس؟!

فليعلم سلاطين العرب جميعاً:

أنَّ الرَّبيع العربي قادمٌ إعصاراً جارفاً

شاء من شاء وأبى من أبى

لا تظنُّوا أنَّ الرَّبيع العربي قد بدأ

كلُّ ما يدور ليس إلا نسماتٍ أوليَّةٍ

إنَّ غباء الحكام العرب وحده هو من صنع هٰذا الرَّبيع وليس أيُّ إرادة خارجيَّة مهما كانت.

ومن هو الأحمق الذي يمكن أن يصدق أن أمريكا أو أوروبا تريد أن تصنع ربيعاً عربياً وتنقل السُّطلة من السَّلاطين المخلصين لها إلىٰ أيدي الشُّعوب العربيَّة؟؟

وليعلم الشَّعب العربيُّ النَّائم أنَّهُ سيتيقظ علىٰ الرَّغْمِ منه علىٰ شلالات دمائه هو قبل الآخرين من أهله...

بإمكانكم أن تغمضوا أعينكم كي لا تروا الشَّمس ولٰكنَّكم لا يمكن أن تلغوا وجود الشَّمس...

من لا يتحسَّس لشقاء أشقائه اليوم لا يعتبنَّ علىٰ أحدٍ إذا لم يتحسَّس أحدٌ شقاءه غداً.

خربت وضاعت الطاسة[٣٨]

يا أمَّة ضحكت من جهلها الأمم

الحقيقة التي يجب الإقرار بها، أنَّهُ في هٰذه الأيام، ووفق المعطيات والظروف فإنَّ الأمور قد خربت، والعقال والعقول انفلتت، وضاعت الطاسة.

وإذا ضاعت الطاسة فلا تحسبوا أنَّ الأمور سهلةً، ولا تحسبوا أنَّ الأمور يمكن أن تعود إلىٰ نصابها بسهولةٍ أو حَتَّىٰ بصعوبةٍ محتملةٍ. إذا استطعنا أن نجدها مصادفةً أو بعد بحثٍ فإنَّنا أو أنَّهَا بحاجةٍ إلىٰ وقتٍ لمعرفة ماذا يجب أن نفعل بها... مشكلتنا أيُّهَا الأصدقاء متركِّزة بالطَّاسة وليست مع الذين يركلونها بأرجلهم يميناً وشمالاً ولا يهمُّهم أنَّ النَّاس تشرب منها... مشكلتنا تحوَّلت من مواجهة العابثين اللصوص المتسلقين الذين يعبثون بدمائنا وأرواحنا وأقواتنا إلىٰ مواجهة الطاسة...

هي سذاجةٌ، هي جهلٌ، هي غباءٌ... سَمُّوا ذَلكَ ما شئتم، ولٰكن ضعوا في أذهانكم أنَّ الأنبياء وحدهم يستطيعون الصَّبر علىٰ جهل البشر وغبائهم. البشر العاديون والعباقرة لا يستطيعون الصَّبر علىٰ هٰذا الجهل والغباء، لصبرهم حدود، أي لعطائهم حدود، أي لقدرة أصحاب الحلِّ والنُّصح قدرةٌ علىٰ الإقدام تلو الإقدام إن لم تجد تجاوباً فإنَّهَا ستنفد. فما بالكم إذا جُوبهت بالرَّفض أو التَّشوية أو التَّسفيه؟!!

الذين لديهم الرأي والرؤية لا يبخلون اليوم، ولم يبخلوا فيما قد سلف من تاريخ البشر. رُبَّما هي طبيعتهم. منذ ألف وخمسمئة سنة قال دريد بن الصمة:

---

(٣٨) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/١/٥م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

أَمَـرْتُهـمْ أَمْرِيْ بِمُنْعَـــــرَجِ اللوَىٰ
فَلَمْ يَسْتَبِيْنُوا الرُّشدَ إلاَّ ضُحَىٰ الغَدِ
وَهَــلْ أَنَا إلاَّ مِنْ غَزِيَّةَ إنْ غَـــوَتْ
غَـوَيْتُ، وإنْ تَرْشُـــــدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

لا تغيَّرَ البشرُ ولا تغيَّر الشُّعراءُ، من كان يحترق مقدِّماً نصحه لم يتوقَّف، ومن يحرق الأعصاب بجهله ورفضه النُّصح لم يزل مثلما هو. ولذلك لا عجب أبداً أبداً في أنَّنا كلَّما قلنا: لن يكون أسوأ من ذَلكَ كان الأسوأ يقرع الأبواب بالأربع. تصل الأمور إلىٰ درجةٍ من التَّردِّي لا نصدق معها أنَّهُ سيكون بعدها أسوأ منها. ولٰكنَّنا نفاجئ بأنَّ هناك دائماً ما هو أسوأ.

ولم لا والعقول تسير في غير المعقول. تسعين بالمئة من نقاشات النَّاس التي تناقش وتتنطع للتَّنظير والرأي والقيادة (رايحة بالورب). تسعين بالمئة منهم يتركون جوهر الموضوع ويقضون معظم الوقت والنِّقاش اختلافاً في مسألة هامشيَّة أو شكليَّة لا قيمة لها. وكلَّ يوم تضيع سحابة اليوم بهٰذه الطَّريقة. ونأمل في اليوم التالي أن يكون أحسن فيكون أسوأ.

مثل هٰذه العقول، أي مثل هٰؤلاء البشر لا أمل فيهم ولا منهم. لا أعدُّ من الأمثلة ما هو بَيْنَ أيدي النَّاس كل الناس اليوم حاضراً. ارجعوا إلىٰ صفحات التَّواصل الاجتماعي وتابعوا فلاسفة القرن الحادي والعشرين. ولٰكنِّي أريد أن أستحضر مشهدين لم تشهدهما هٰذه الأجيال من الفلاسفة. مشهد تسليم مصر لإسرائيل الذي صار اليوم مما يفتخر به العرب ومنهم المصريون بالضرورة. كان ذَلكَ بعد سنوات مما سمي خرب تشرين التَّحريرية، حرب رمضان... كانت المشاعر حينها في ذروة الحماس الوطني والقومي والإسلامي في مصر والعالم

العربي والإسلامي. بعد سنتين تقريباً من هٰذه الحرب وقف محمد أنور السادات رئيس مصر في مجلس الشَّعب، وخطب، وفي منتصف الخطاب قال فجأة:

سأذهب إلىٰ إسرائيل لعقد السَّلام معهم...

وقف أعضاء مجلس الشَّعب فوراً وصفقوا له حَتَّىٰ اهترأت أيدهم من التَّصفيق... ابتهاجاً بهٰذه البطولة.

الاستسلام لإسرائيل موقف بطوليٌّ استحقَّ عليه تصفيقاً مدويًّا (يبخش) طبلة الأذن.

مثل هٰذا الموقف حدث مع عبد الناصر في بيان الانفصال. وقف يخطب في الشَّعب فقال:

. لقد أرسلت البوارج الحربيَّة لهزيمة الانفصاليين...

فالتهبت أيدي الجماهير بالتَّصفيق... حَتَّىٰ توقفت عن التَّصفيق، تابع قائلاً:

. ولكنِّي عدلت عن ذٰلكَ وغيرت رأيي...

فالتهبت من جديد أيدي الجماهير بالتَّصفيق.

يا سبحان الله، ما هٰذا التَّناقض الذي لا يمكن أن يُصدَّق.

شعبٌ ينقاد بهٰذه البساطة لا أمل منه.

ولٰكنَّ هٰؤلاء، في حالة السَّادات، نوَّاب الشَّعب، يعني الفهمانين والشَّاطرين!!! وفي حالة عبد الناصر هم جماهير الشَّعب ذاته.

إذن اللهم الطف بنا وبأمتنا.

أمة هٰذه طريقة عيشها وتفكيرها تستحقُّ كل ما يفعل بها... ولا أضيف أكثر.

أمة بلا بوصلة[٣٩]

ثَمَّة إجماع في الثَّقافة التي تربَّينا عليها منذ أكثر من خمسين سنة، الثَّقافة القوميَّة، والنَّاصريَّة، والبعثيَّة، والوطنيَّة، والشِّيوعيَّة، وحَتَّىٰ الإسلاميَّة... هٰذا الإجماع فرض علينا قناعة أنَّ من تحاربة أمريكا فهو علىٰ صواب، فهو مخلص لوطنه... وتكرَّست في ثقافتنا وعقولنا عبارةٌ صارت شهيرةً جدًّا تقول: «علىٰ من تزكِّيه أمريكا أن يشكَّ في نفسه».

ترىٰ ماذا جرىٰ حَتَّىٰ صار: من تحاربه أمريكا نحاربه بلا تفكير؟!

ترىٰ ماذا جرىٰ حَتَّىٰ صار من تزكِّيه أمريكا هو الوطني المخلص؟!

لا أريد أن أطيل:

نحن أمَّةٌ بلا بوصلة.

حقًّا إنَّ مأساتنا تكمن في ضياع البوصلة.

منذ ما سُمِّي الاستقلال عن الدَّولة العثمانيَّة والدُّخول تحت نير الاستعمار الأوروبي ضاعت البوصلة وصرنا كالغراب الذي راح يرى نفسه ببغاءً تارةً وتارةً طاووساً وأُخْرَىٰ حماماً حَتَّىٰ لم يعد يستطيع العودة إلىٰ أصله.

إنَّ ضياع البوصلة ليس مسألةً سهلةً أبداً كما قد يظن من يحبُّ الظَّنَّ. إنَّ قصَّة الغراب عِبرةٌ خطيرةٌ وليست مثلاً سائراً وحسب. فإيجاد البوصلة لا يعني سهولة العودة إلىٰ الأصل. ضياع البوصلة ضياع للمقاييس والمعايير، أي ضياع كلِّ شيءٍ. ألم ترىٰ غير مرَّةٍ صوصاً مرتمياً في حضن هرَّةٍ، وغزالاً مرتمياً في حضن سبع لا يدري أنَّ في ذٰلكَ الهلاك؟

---

(٣٩) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/١/٢٤م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

إنَّ مأساة أمَّتنا منذ مطالع القرن العشرين إلىٰ اليوم هي ضياع البوصلة، وضياع الهوية ليس إلا جزءاً يسيراً من ضياع البوصلة؛ آمنَّا بالقوميَّة وحاربنا القوميَّة، آمنَّا بالإسلام وحاربنا الإسلام، آمنَّا بالعلمانيَّة وحاربنا العلمانيَّة... دخلنا كلَّ المداخل وحاربنا أنفسنا في كلِّ شيءٍ... تناقضات عجيبةٌ أفرزها ضياع البوصلة، صرنا بصراحة كما يقولون في الشَّام: «مثل كلاب مدينة الهامة لا لحقت عرس قدسيًّا ولا عزاء دمر»!!!

عشرات السِّنين ونحن نسمع: الأمن القومي؛ الأمن القومي لكلِّ دولةٍ عربيَّة، وللدُّول العربيَّة مجتمعةً. انتفخ رأسنا بالأمن القومي... دفعنا الغالي والرخيص من أجل الأمن القومي، متنا من الجوع من أجل الأمن القومي، حرمونا من كلِّ شيءٍ من أجل الأمن القومي... اكتشفنا اليوم أنَّ الأمن القوميَّ لا يرى عدوًّا غير الإسلام والشُّعوبِ العربيَّة.

هٰذه هي حقيقة الأمن القومي العربي بكلِّ تأكيدٍ وتأكيدٍ قاطعٍ، والدَّليل ما نراه اليوم من أنَّ اعتبار إسرائيل وأمريكا شريكاً استراتيجيًّا في محاربة الإسلام... وقيام إسرائيل وأمريكا علناً علناً بإمداد الأنظمة العربية بكلِّ ما تحتاج من أجل محاربة الإسلام...

من تضيع بوصلته يصير مثل الكلب الذي يركض وراء اثنين كلٌّ منهما يسير في اتجاهٍ مخالف للآخر، فلا يمسك هٰذا ولا يمسك ذاك.

قرنٌ كاملٌ ونحن نلهث وراء كلِّ الاتجاهات معاً ونُدخلها في صراعٍ مع بعضها معاً، ونعتب علىٰ المؤامرة الغربيَّة ضدَّ الأمَّة، في حين أنَّ نصف هزيمتنا من نفوسنا. الغرب يسعى لتحقيق مصالحه فإلىٰ ماذا كنَّا نسعىٰ؟

كلَّ يومٍ تزداد الأمور تعقيداً.

هٰذا عند من يتابع. من لا يتابع لا يرىٰ إلا المتعة والفرفشة.

وهٰذا وحده ما يحتاجه المرء في الحياة.

يكفينا أن غالبية أمَّتنا لا تدرك ما يدور ولا تتصرف لنحكم بشدَّةٍ بأنَّنا أمَّةٌ أضاعت البوصلة. فإذا كان البوصلة ضائعةً فالمسير إلىٰ مجهول، والسَّير إلىٰ مجهولٍ لا يمكن منطقيًّا أن يكون إلىٰ ما يفيدنا، لأنَّ القاعدة تقول: «من لا يفكِّر فكَّر الآخرون له، وإذا فكَّر الآخرون له لا يمكن إلا أن يضعوا مصلحتهم في المقدمة قبل مصالحة»... ومثل ذٰلكَ كان قولهم: «من ليس له مشروع كان جزءاً من مشاريع الآخرين»، «من ليس له مخطَّط فهو جزءٌ من مخطَّطات الآخرين».

الحقيقة أنَّهُ منذ مئة سنة إلىٰ الآن وأمَّتنا فكرةٌ فقط، لا وجود لها علىٰ أرض الواقع.

أيُّ أمة؟ الأمَّة العربيَّة والأمَّة الإسلاميَّة كلاهما فكرةٌ، نعرف معرفة فقط أنَّهَا موجودةٌ ولٰكنَّ وجودها في الذِّهن لا في الواقع. في الواقع يوجد أشخاص يزعمون أنَّهُم ينتمون إلىٰ الأمَّة العربيَّة أو الإسلاميَّة، ولٰكنَّهُم يدمِّرون كلَّ ما يمكن أن يقود إلىٰ تحقُّق الفكرة.

ليس هٰذا الاكتشاف بالجديد. لقد كتبت منذ عشرين سنة سلسلة مقالات وحَتَّىٰ أبحاث تحت عنوان عريض هو: العرب أعداء أنفسهم[٤٠]... والمسلمون كذٰلكَ.

هل وصلت الرسالة؟

---

(٤٠) . جمعت هٰذه المقالات والأبحاث في كتاب: العرب أعداء أنفسهم، صدر بدمشق عن دار الفكر الفلسفي عام ٢٠٠٤.

المفاضلة بين حكامنا وإسرائيل[٤١]

أمرٌ محيِّرٌ:

الكيان الصهيوني الغاصب، في الحرب والعدوان، يتَّصل بأصحاب البيت الذي سيقصفه ويطلب منهم إخلاء البيت، وبعد ذَلكَ يطلق قذيفة تحذيريَّة (زنَّانة) علىٰ المنزل قبل قصفه بمدَّةٍ تتراوح بَيْنَ دقيقةٍ وستِّ دقائق...

الفلسطينيون منذ زمن يعرفون هٰذه الممارسة.

في سوريا ينظر النِّظام أين يتجمَّع النَّاس ويلقي عليهم البرميل أو الصَّاروخ كما حدث مئات المرَّات علىٰ الأفران والمساجد والمدارس والتَّجمُّعات السَّكنيَّة.

هل يعقل أنَّنا وصلنا إلىٰ المفاضلة بَيْنَ إسرائيل ونظامٍ عربيٍّ؟؟!

لمصلحة من هٰذا؟؟؟

في هٰذه الأثناء ذاتها بشار الأسد يعجز عن الوصول إلىٰ البرلمان الذي لا يبعد عنه أكثر من خمسمئة متر فيجلب مجلس الشَّعب إلىٰ القصر ليؤدِّي القسم أمامهم في سابقةٍ غير مسبوقةٍ عبر التَّاريخ السُّوري... ورُبَّما تاريخ الحكومات والبرلمانات.

وفوق ذَلكَ يدَّعي أنَّ سوريا بخيرٍ وأنه انتصر علىٰ الثَّورة الإرهابيَّة وأنه وَضَعَ حدًّا للرَّبيع العربي... ويفخر بأنَّهُ قَبَرَ الرَّبيع العربيَّ بدمشق.

نحن لا نفاضل بَيْنَ إسرائيل والنِّظام السُّوري أو الأنظمة العربيَّة، ولا نزكِّي إسرائيل بأيِّ حالٍ من الأحوال، ولٰكن نحن نقارن، ولا يمكن إلا أن نقارن، والأنظمة العربيَّة هي التي فرضت علينا هٰذه المقارنات.

---

(٤١) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/٧/٢١م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

للتَّذكير بما سبق أن نشرته مرات: لا تظنُّوا أنَّ الحكَّام العرب الآخرين أحسن من بشار الأسد بشيءٍ أبداً، وقد شاهدتم علىٰ أرض الواقع مَنْ تَعَرَّضَ لثورةٍ ماذا فعل: (رؤساء الجزائر أيام الثَّورة علىٰ النِّظام في التِّسعينيات) القذافي، عمر حسن البشير، علي عبد الله صالح، السيسي، المالكي...

أيُّ حاكمٍ عربيٍّ يثور عليه شعبه لن يكون إلا نسخة من بشار الأسد...

منذ ظهور وحشيَّة القذَّافي في التَّعامل مع الثَّورة الليبيَّة ثُمَّ اقتفاء خطاه من قبل النظام السُّوري كتبت غير مرَّة: «سيظلُّ حُكَّامنا فوق رؤوسنا حَتَّىٰ نقول: إسرائيل أفضل منهم»... مثلما حدث فعلاً، ويحدث كل يوم من مقارانات...

ومثلما انتهز موالو الأنظمة هٰذه المفاضلات للقول: أرأيتم؟ إنهم يفضلون إسرائيل!!!

استنتاج غير بريء، وخبيث إلىٰ أبعد الحدود. عندما تقول الفاسد فلان أقل فساداً من الفاسد فلان، لا يعني أنك تعطي شرعية لهٰذا الفاسد أو ذاك، ولا ترحب بهٰذا الفاسد دون ذاك. وعندما قالت الشعوب العربيَّة: «إنَّ إسرائيل أفضل من الحكام الحُكَّام العرب»، فهٰذا لا يعني أنَّهُم يريدون إسرائيل، ولا أنَّهُم يقبلون إسرائيل، ولا أنَّهُم يفضِّلونها عليهم. إنَّهُم يقولون باختصار: «إنَّ وحشيَّة إسرائيل أقلُّ من وحشيَّة الأنظمة العربيَّة».

هل مصر بيضة القبان؟[٤٢]

من الأوهام التي حكمت المخلصين وغير المخلصين للأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة أنَّ مصر هي بيضة قبَّان الأمَّة؛ إذا صلحت مصر صلحت الأمَّة،

(٤٢) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/٩/٥م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

وإذا فسدت مصر فسدت الأمَّة، إذا قويت مصر قويت الأمَّة، وإذا ضعفت مصر ضعفت الأمَّة... وإلىٰ ما هنالك من تعابيرٍ أدَّت في خلاصتها إلىٰ نتيجتين اثنتين علىٰ الأقل:

الأولى: تدمير الأمَّة وتكريس وهنها وضعفها وخضوعها، لأنَّ مصر منذ عصر الاستقلال العربيِّ علىٰ الأقل، عصر تكريس فكرة مصر بيضة القبان، وهي في حالة وهنٍ وضعفٍ وخروج عن السِّياق وبعدٍ عن سكَّة الأمتين العربية والإسلامية.

الثانية: تركيز الأضواء عليها بقصد إخراجها من وهنها من أجل أن تنتشل الأمة... علىٰ أساس أنَّ مصر هي الأكثر أهميَّة، وأنَّ مصر هي الأكثر خطورةً، وإذا صحلت مصر صلحت الأمَّة... ولذلك يجب أن نقف مع مصر كي تخرج من محنتها... وهكذا هُمِّشت الأمَّة كلها وهي تنتظر عودة مصر إلىٰ الصف العربي، إلىٰ دورها، إلىٰ قوَّتها.

هٰذا وهم صريحٌ زرعه نفرٌ من المصريين بقوَّة الحضور الإعلامي وخاصَّة منذ أيَّام جمال عبد الناصر الذي تكرَّس في زمنة أنَّ مصر هي حاملة الأمَّة، والأمَّة بخير طالما أنَّ مصر بخير... واستمرت هٰذه الفكرة عند أجيال ما بعد عبد الناصر وكرَّسوها في العقل العربي والإعلام العربي.

من هٰذا الباب وجدنا سلوكات الإعلام العربي في فترة الربيع العربي علىٰ نحو خاصٍّ. عندما كان يخرج متظاهرٌ ضدَّ محمد مرسي كانت وسائل الإعلام العربيَّة تترك براكين الوحشيَّة وبراميل المتفجرات والمعارك المحتدمة والمجازر في سوريا وتسلِّط الضَّوء علىٰ ذٰلكَ المتظاهر المصريِّ ضدَّ محمد مرسي... واستمرَّ الأمر كذٰلكَ حَتَّىٰ يومنا هٰذا من الفريقين فريق المخلصين الذين يريدون إنقاذ مصر

لتحمل الأمة، وفريق اللامخلصين الذين يريدون تكريس خروج مصر من دائرة الفعل الإيجابي إلىٰ دائرة الانفعال كي لا تحمل الأمَّة وتقودها إلىٰ الإمساك بمصيرها.

هٰذا أنموذج فقط من تطبيقات الاقتناع بهٰذا الوهم، ويمكن تعميمه علىٰ سلوكاتٍ وممارساتٍ وقناعاتٍ كثيرةٍ تدور في هٰذا الفلك في انتظار عودة مصر إلىٰ ممارسة دورها الطليعي والشِّبيبي في قيادة الأمَّة إلىٰ مصاف المجد والسُّموِّ والعزَّة والسُّؤدد والعلياء...

في هٰذا الأنموذج يبدو لنا كيف أنَّ الأمَّة تهدر طاقاتها وأفكارها وقناعاتها ومخطَّطاتها علىٰ أوهامٍ لا أصل لها من الصِّحة... لا يوجد أبداً ما يؤكِّد بأيِّ طريقةٍ من التَّأكيد أنَّ مصر هي بيضة قبَّان الأمَّة. ولا يوجد ما يوجب ذٰلكَ بحالٍ من الأحوال لا تاريخيًّا ولا واقعيًّا ولا منطقيًّاً...

ليست مصر هي البلد الأكبر مساحةً جغرافيَّةً، هناك عددٌ من الدُّول أكبر منها مساحةً جغرافيَّة. ولا هي الأغنى بالموارد الطبيعيَّة، هناك الكثير أغنى بمنها بمختلف أنواع الثَّروات والموارد الطَّبيعية... وكون مصر البلد الأكثر عدداً في السُّكَّان لا يعني أبداً وجوب أن يكون لها التَّأثير أو الفعل الأساس الذي لا يستغنى عنه. لو كانت الدَّولة الأكثر سكَّاناً هي الأقوى أو الأكثر تأثيراً لكانت الصِّين والهند سيدتا العالم من دون منازعٍ طوال الزمان.

إذن علىٰ أيِّ أساس يجب أن تكون مصر هي بيضة قبَّان الأمة؟

حسناً، قد يعترض معترضٌ بأنَّ الأمر تاريخيٌّ، أو هكذا كان التَّاريخ العربيُّ والإسلاميُّ.

هٰذا الاعتراض أيضاً واهمٌ ولا أساس له من الصَّحَّة. متى كانت مصر عَبْرَ التَّاريخ العربيِّ والإسلاميِّ هي بيضة قبَّان الأمَّة؟

مرَّتان أو ثلاث فقط كانت مصر رائداً وقائداً الأولى أيام الفراعنة والثَّانية أيام محمد علي باشا الذي حورب وحوصر ولم يسمح له بالامتداد. والثَّالثة عوداً إلىٰ الدَّولة الفاطميَّة بما لها وما عليها. فيما كانت امتداداً للدَّولة التَّدمريَّة أيَّام زنوبيا، وكانت امتداد للدَّولة الإسلاميَّة أيَّام الراشدين بمكة والأمويين بدمشق والعباسيين ببغداد، والأيوبيَّة بالشَّام...

هٰذا ليس طعناً في قيمة مصر، ولا تقليلاً من قيمتها وشأنها، ولا بخساً لقدرتها... ولٰكن طعناً في وَهمٍ لا أساس له من الصِّحَّة.

مهما كان عدد السُّكَّان، ومهما كانت المساحة، ومهما كان الحضور التَّاريخي السَّابق... مصر دولةٌ مثل أيِّ دولةٍ في العالم بالمطلق. قوَّتُهَا وحضورها وتأثيرها بما هي في الواقع لا أكثر ولا أقل، قد تكون مُقادةً وتَابعةً، وقد تكون مخرِّبةً مدمِّرةً، وقد تكون قائدةً ورائدةً... ولا يوجد قانون من أيِّ موضوعٍ أو ميدانٍ أو اختصاصٍ يقضي بأن يكون لها تأثيرٌ أو حضورٌ أو فعلٌ دائمٌ، أو شبهُ دائمٍ... غير الذي تقدر عليه في واقعها.

إليكم اليابان أعظم اقتصاد في العالم ومع ذٰلكَ فهي تابع وذيل للقرار الأمريكي في كلِّ ما يتعلَّق بالسِّياسة والامتداد والحضور العالمي في أيِّ مجالٍ غير الاقتصادي. وإليكم هولندا التي لا تزيد مساحتها عن محافظة في سوريا ومع ذٰلكَ فدخلها القومي يكاد يعادل الدَّخل القومي للوطن العربي مجتمعاً. إليكم قطر التي لا تزيد مساحتها وسكانها عن

محافظـة مصـريَّة لهـا حضـورٌ وقـوَّة اقتصـاديَّةٌ وسياسـيَّةٌ تزيـد عـن الـوطن العـربي مجتمعاً...

هٰذه العقلية الواهمة أدت بمصر وبعض الدول العربية إلىٰ محاربة ومحاصرة أيِّ دولةٍ تسعى أن يكون لها حضورٌ سياسيٌّ وتأثيرٌ سياسيٌّ علىٰ السَّاحة العربيَّة أو العالميَّة، مثلما يحدث مع قطر... بذريعة أنَّها دولةٌ صغيرةٌ، وأنَّ هناك دول أكبر وأقوى...

هٰذه العقليَّة الواهمة أدَّت إلىٰ الخنوع والخضوع والنَّوم في انتظار نهوض عنترة من كبوته أو غفوته.

هٰذه العقليَّة الواهمة أدَّت إلىٰ هدرِ كلِّ طاقتنا وقدراتنا ومواهبنا في تسليط الضَّوء والسَّعي لنهوض المارد لأنَّهُ هو المنقذ الوحيد للأمَّة...

هٰذه العقلية وهم صنعته السِّينما المصريَّة وإعلام جمال عبد الناصر وصار هٰذا الوهم سيَّد الحقيقة وسيَّد الأفكار والمخططات والقناعات... وهمٌ صُنع استعراضاً وصار قناعةً... فصحا جمال عبد الناصر من جديد. بعد تغييب عشرات السِّنين من مختلف وسائل الإعلام بدأت وسائل الإعلام المختلفة منذ فترةٍ هجومها المتصاعد علىٰ إحياء عبد الناصر واستحضار قيمته وتاريخه وقوميته....

لماذا يا ترى؟

وسائل الإعلام نفسها بإدارتها نفسها وتمويلها ذاته هي التي غيبت عبد الناصر منذ وفاته فماذا حدث حَتَّىٰ تنقلب علىٰ ذاتها؟

أترك لكم الإجابة

تذكروا أنَّ السِّيسي يعيد سيرة عبد الناصر تماماً في قيادة الأمَّة.

خاتمة

عـوداً بـدء، مـن عنـوان الفصـل: أمَّـة بـلا بوصـلة. الموضـوع في حقيقـة الأمـر أوسـع مـن ذَلـكَ بكثـير. مـا كـان في هٰـذا الفصـل محطـات تـداعيات المرحلـة وحسـب لا أكثـر. ضـياع البوصـلة قبـل ذَلـكَ بكثـيرٍ جـدًّا. كتبـت في ذَلـكَ عشـرات المقـالات والأبحـاث الـتي اجتمعـت في بعـض كتـبي السياسـية وحَـتَّىٰ الفلسـفية الـتي عرجـت علـىٰ الوضـع العـربي، وكلهـا تمـت الإشـارة إليهـا في هٰذا الكتاب.

صـــحيح أن الشـــعب يعـــاني مـــن ضـــياع البوصـــلة إلا أنَّ الأنظمـــة هـــي المســـؤول الأول والأخـــير لألـــف ســـبب وســـبب علـــىٰ أقل عدٍّ للأسباب.

الفصل السادس

الأمة التي تفرح بالهزائم

مقدمة

جيوش العرب غير مختصة بالقتال

عندما تكون الخيانة وجهة نظر

الفرح بالهزيمة

ضع عقلك في الخرج وارفس الحمار

الأسد يناضل لتقديم خدماته لأمريكا

نظام يهلل للعدوان على وطنه

خاتمة

لا أدري إن وجدت أمَّة في التَّاريخ مثل أمَّة العرب اليوم في راهنها الحاضر منذ مطالع القرن العشرين إلىٰ اليوم، ولكنِّي أجزم بأنَّهُ لم توجد أمَّةٌ في التاريخ تفرح بالهزيمة وتحتفل بها إلا الأمَّة العربيَّة...

هل نعود إلىٰ سجل القرن العشرين والاحتفال بالقضاء علىٰ دولة الخلافة الإسلامية واعتبار القضاء علىٰ الخلافة الإسلامية أكبر إنجاز حضاري للعرب؟؟؟!!!

هل نتحدث عن مشاركة العرب الفاعلة في القضاء علىٰ عودة الخلافة الإسلاميَّة في أفغانستان؟

حسناً، دعكم من الخلافة الإسلامية. أتذكرون النكبة والنكسة والاحتفال بإسقاط العراق والاحتفال بانشقاق السودان عن مصر وانشقاق جنوب السودان عن السودان... وغيرها كثير؟

لن نعود إلىٰ تفاصيل لهذه الأحداث وألمها العضال. سنلقي الأضواء علىٰ ما نعيشه اليوم بعد كل الانفتاح الإعلاني وانتشار الوعي وانعدام الأسرار.

جيوش العرب غير مختصة بالقتال(٤٣)

جيوش العرب مختصة بالسياسة

والعسكريَّة في أوقات الفراغ

(٤٣) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/١/٣١م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

الجيش في العالم العربي والإسلامي لم يدخل أبداً إلىٰ الحياة السياسية، ولذلك من الخطأ القول إنَّهُ خرج من الحياة السِّياسيَّة.

الجيش في العالم العربي والإسلامي ملتحمٌ بالسِّياسة لا يمكن أبداً أن ينفصل عنها إلا بانفصال الروح عن الجسد.

الحقيقة الأكيدة هي أنَّ الجيش في العالم العربي خرج من الجيش. بل الأكثر صواباً هو القول إنَّ الجيش في العالم العربي والإسلامي لم يدخل الحياة العسكريَّة ولا علاقة له به.

جيوش العرب عصابات في خدمة القادة الكبار وعبادة السلاطين. ومهما بدا من سلوكها الملائكي فإنَّهَا في لحظةٍ واحدةٍ تسفر عن وجهها الشيطاني الذي كلما رآه إبليس تعوذ بالله منه وقال خاشعاً:

أعوذ بالله من جيوش العرب والمسلمين

أتوب إلىٰ ربي وإني منهم بريء

أمَّة هٰذه حال جيوشها ستفرح بالهزيمة لأنها أفضل نتيجة يمكن أن تحقِّقها.

عندما تكون الخيانة وجهة نظر(٤٤)

ما أسهل النَّدم عندما تدرك أنَّك كنت مغفلاً سنين كثيرة في أمرٍ ما... علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ غيرَ واحدٍ قد ثقب طبلة أذنيك وهو يحذِّرك من أنَّك تُسْتَغْفَلُ وستندم.

ما أسهل النَّدم عندما تدرك بعد سنين من التَّحذير أنَّك شوَّهت وخرَّبت ودمَّرت الكثير بعدم سماعك التَّحذير والنُّصح... وكنت تسخر أو تهزأ بنصحهم

(٤٤) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/١/١٠م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

ولا تعبأ به، إن لم تكن تتهمهم بالفتنة والعمالة والسَّعي إلىٰ التَّخريب أو ما إلى ذَلكَ...

ما أسهل النَّدَم

ستبكي قليلاً

وتعود إلىٰ ما كنت عليه من حياتك العاديَّة وكأنَّ شيئاً لم يكن، ورُبَّما بل الأغلب أن تعود لتعيش مغفَّلاً مثلما كنت في قضايا وأمور جديدة...

طيب، والدمار والخراب والإساءات... التي أدَّى إليها غباؤك وأنت ترفض التَّغيير والتَّعديل وسماع النُّصح ماذا سيكون شأنه؟!!

هٰذا مستوى من الخيانة إذا أحسنا الظَّن وكنَّا مغفلين مثل جنابك.

ومن باب حسن الظَّنِّ ذاته نقول أيضاً:

ليس هناك أغبى ممن يبذل الغالي والنَّفيس من أجل هدف، وعندما تصل اللقمة إلىٰ فمه يبصق عليها، ويقذفها إلىٰ المزبلة. هٰذا في الهدف الشَّخصي، الخاص، الذي يخصك أنت. أمَّا من حَمَل أمانة النَّاس بهٰذا القياس فهو خائن خائن خائن. هٰذا إن أحسنا الظَّن فيه.

الخيانة هنا ليست نسبيَّة وليست وجهة نظرٍ. عندما تكون الخيانة حرِّيَّة أو وجهة نظر ستكون الدَّعارة زكاة الجسد.

قد تكون الخيانة نسبيَّة. ولٰكن لا يجاهد في الدِّفاع عن نسبية الخيانة إلا من لم يأمن من انفضاح خيانته. والذين يجادلون في نسبية الخيانة إنَّمَا يمسكون بالحقِّ للدِّفاع عن الباطل. فالفرق هائلٌ بل لا تجوز المقارنة بَيْنَ خيانة الموظف الذي يتأخَّر عن وظيفته، وبَيْنَ الأستاذ الذي لا يعطي بإخلاص وبَيْنَ من يخون

الوطن مع الأعداء وبَيْنَ من يرى أعداء الله والوطن أصدقاء... كلها خيانات، وهي مستويات.

ولٰكن، ما هٰذا الخلط العجيب الغريب الصَّفيق بَيْنَ نوعي الخيانة؟

أفمن اؤتمن علىٰ أرواح النَّاس أو أموالها وخانها كمن تأخَّر عن أداء واجبه تقصيراً أو كسلاً أو غير ذٰلكَ...؟؟

الحقيقة أنَّ الذين تاجروا بشهدائنا ودمائنا...

الذين سرقوا شقاءنا وتضحياتنا...

الذين سرقوا أموال الثورة وجوعوا الناس...

هم الذين باعوا وسلموا...

لم يكتفوا بكلِّ جرائمهم بل تموها بجريمة أشنع من كلِّ ما سبق. هٰذه هي الخيانة حَتَّى ولو لم تكن ببصمة عند المخابرات أو غيرها من أعداء الوطن.

في أحسن أحسن أحسن الاحتمالات، جدلاً يصعب تصديقه، يمكن القول إنَّهُم ليسوا أهلاً للقيادة.

حسناً. لماذا لم يدركوا ذٰلكَ علىٰ مدار عامين أو أكثر من الإخفاقات؟؟

لماذا لم يترجلوا ويتركوا لغيرهم القيادة؟

إن ما بَيْنَ أيدينا من حقائق تنفي ذٰلكَ وتدحضه، فمن كان لصاً متنعماً بأموال الثورة وأموال الشُّهداء منذ عامين يدرك جيداً أنَّهُ يعمل لا للثورة وإنما لنفسه ولو انهزمت الثورة، لقد خططوا لكلِّ شيء؛ إن انتصرت الثورة سيكونون أبطالاً، وإن شعروا بعكس ذٰلكَ حملوا الأموال التي نهبوها وهربوا.

هكذا فكروا وتصرفوا وسلموا المدن المحررة بعدما جردوا الأحرار الشرفاء من السِّلاح كي لا يبقى هناك من يواجههم.

أحاول أن ألتمس لهم العذر فلا أجد. وليست مهمتى التماس العذر لمشبوه. ولٰكن لأنَّ القضية قضية وطن أسعى جاهداً أن ألتمس لهم الأعذار لا العذر ولٰكن عبثاً أحاول، فما قدموا عذراً إلا كان أقبح من ذنبٍ. أتمنَّى من قلبي أن أكون مخطئاً.

الفرح بالهزيمة(٤٥)

من يركب البحر لا يخشى من الغرق.

وعلىٰ هامش كرة القدم التي لا أشاهدها

في جولة اطلاعيَّة فوجئت بأنَّ الفرحة بخسارة الجزائر مثل الفرحة بتأهلها للدَّور الثَّاني

يا أخي نحن شعب أعجب من العجب

كلُّ هزائمنا أمام إسرائيل انتصارات

كلُّ خساراتنا الاقتصاديَّة والسياسيَّة انتصارات

حَتَّىٰ في كرة القدم لقينا تخريجةً لهزيمة الفريق الجزائري وفسرت بأنَّهَا شرف وفخر للعرب.

طالما أنَّنا نفكر بهٰذه الطريقة فلا تترقبوا أي انتصار حقيقي لنا علىٰ أيِّ صعيد فلدينا رصيد هائل من الهزائم التي نقول عنها إنَّهَا انتصارات.

فلماذا التَّعب ووجع الرأس

إذا كان ذبح الشَّعب وحرقه وإبادته انتصاراً استراتيجيًّا، هل بقي ما يمكن أن نعجب منه.

---

(٤٥) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/٨/٣م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

ضع عقلك في الخرج وارفس الحمار[٤٦]

تنتهي عجائب الدُّنيا ولا تنتهي عجائب العرب وغرائبهم التي يتعذَّر علىٰ العقل تصديقها، والسُّوريون من بَيْنَ هؤلاء العرب بالتأكيد، وقد كان لهم في ثورتهم التي لا نظير لها في التَّاريخ أيضاً في كلِّ معطياتها من الألف إلىٰ الياء... عجائب وغرائب تفوق الخيال كما فاقت ثورتهم الخيال في كلِّ معطياتها.

لن نعدِّد فقد أتينا علىٰ كثيرٍ من ذٰلكَ في كثيرٍ من المقالات والتَّعليقات. ولٰكن هنا أنا أمام أعجوبةٍ من الأعاجيب التي تضعُ العقل في الكفِّ.

لقد قرَّرت أمريكا حَشْدَ المجتمع الدولي لضرب الدَّولة الإسلاميَّة الممتدة ما بَيْنَ سوريا والعراق، ولٰكنَّهَا قرَّرت أن تضربها في العراق فقط، علىٰ أن تباشر بضربها في سوريا بعد ثلاث سنوات، عندما تكون قد قَضَت عليها في العراق علىٰ ما يزعمون. وما إن سمع السوريون ذٰلكَ حَتَّى تعالت صيحات العويل والبكاء والاستجداء من كثيرٍ من قيادات الثَّورة العسكريَّة والسياسيَّة والثَّورية معلنةً احتجاجها علىٰ أمريكا لأنَّهَا لن تضرب سوريا!!!

ليست قيادات الثَّورة وحدها التي تتباكى من عدم رغبة أمريكا في ضرب سوريا، بل إنَّ النِّظام نفسه يتباكى من عدم رغبة أمريكا في ضرب سوريا. الطرفان يقولان بوقاحة غير معقولة: «من غير المعقول أن يقوم التَّحالف الدولي

(٤٦) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/٩/١٠م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

بضرب العراق ولا يقوم بضرب سوريا، لا يجوز ذٰلكَ، لا يكفي أن تقوم أمريكا بضرب العراق فقط يجب أن تضرب سوريا أيضاً، إذا لم يضربوا سوريا مع العراق فلن يوفقوا في مهمتهم، يجب أن يضربوا سوريا أيضاً... يجب أن يضربوا سوريا أيضاً!!!...».

هٰذه المطالبة جاءت علىٰ ألسن سوريين كثيرين وعرب كثيرين من الأردن، مصر، العراق، الخليج... أمثال العميد الركن أسعد الزعبي، العميد الركن أحمد رحال، اللواء مأمون أبو نوار، الدكتور نصر الحريري أمين عام الإئتلاف السُّوري، الوزير الأردني السَّابق صالح القلاب، المحلل السِّياسي سمير التقي... وغيرهم كثير من قواد الثَّورة السُّوريَّة وأعلام العسكرة والفكر العرب... ولٰكنَّ وليد المعلم وزير خارجيَّة النِّظام السُّوري كان مبهراً في طلبه وعرضه، عندما أعلن عبارته الشهيرة: «من يريد أن يعتدي علىٰ سوريا لا مبرر له إلا بالتَّنسيق معنا». هٰذه العبارة التي لا يمكن أن تجد لها نظيراً أو شبيهاً في التَّاريخ البشري كلِّه. وعندما سأله صحافيٌّ: «حَتَّى أمريكا؟». أجاب وليد المعلم: «يدنا مفتوحة للجميع من دون استثناء»، يعني حَتَّىٰ إسرائيل ليست مستبعدةً من خيار التَّعاون للعدوان علىٰ سوريا.

ولو انتقلنا إلىٰ وسائل الإعلام العربيَّة وخاصَّةً قناة العربيَّة فإنَّها تصرُّ إصراراً شديداً علىٰ تغيير الاستراتيجيَّة الأمريكيَّة في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة، لأنَّ استراتيجيتها لم تفلح في أفغانستان ولا العراق ولا الصومال... يجب أن تأتي باستراتيجيا جديدة تفلح في القضاء علىٰ دولة الخلافة الإسلاميَّة.

يقولون في الأمثال الحديثة: «الجندي الأحمق يطلق النَّار علىٰ قدميه».

هٰذا الكلام صحيحٌ تماماً، فما بالكم بأمتنا التي تطلق النَّار علىٰ قدميها ويديها وصدرها ورأسها وأنفها...؟!

هٰذه هي الحقيقة التي يجب أن نعترف بها. يجب أن نعترف لأنها واضحةٌ وضوح الشَّمس، وعلىٰ من لا يراها أن يذهب فوراً إلىٰ أقرب طبيب عيون، فإن لم يكن في عينيه شيءٌ فليذهب إلىٰ أقرب طبيب نفسي.

وحَتَّىٰ تكتمل الجوقة جاء وزير الخارجيَّة الرُّوسي لينعق معهم. إنَّهُ لا يمانع أن يقوم التَّحالف الدولي بضرب سوريا، بل بضرب داعش في سوريا. ولٰكنَّ لافروف أعرب عن تخوُّفه من أن يقوم التَّحالف بالغلط بضرب مواقع للنظام... أو رُبَّما قصد ضرب مواقع للنِّظام بذريعة ضرب داعش.

لا تخف يا لوف روف، لا خوف مع التحالوف لا خوف لا تخف. أمريكا تعرف الخرائط جيِّداً. ولن تفعل ذٰلكَ أبداً، لو أرادت أو كانت تريد ضرب النِّظام لفعلت ذٰلكَ منذ زمن، كانت وما زالت أمامها حجج وذرائع كثيرة، ولم يفعلوا ولن يفعلوا، إلا وَفْقَ ما بيَّنا في مقالاتٍ خاصَّةٍ بالموضوع منذ ثلاث سنوات مرات.

الحقيقة التي كتبت عنها منذ عشرات السِّنين ولم أزل عشرات المقالات هي أنَّ أمريكا والمجتمع الدولي يحارب الإسلام، ولا يحارب من يحارب الإسلام. وأكرِّر طلباً ما زلت أكرره منذ ثلاثين سنة:

اعطوني حديثاً عالمياً عن إرهاب غير إسلامي.

اعطوني حرباً شنَّت عالميًّا علىٰ إرهاب غير إسلامي.

بكلِّ أساليب البيان والبلاغة والتَّعبير كرَّرت ذٰلكَ آلاف المرات، وكرَّره معي المئات فلست الوحيد الذي طرح ذٰلكَ. وفي هٰذا اليوم ٢٠١٤/٩/١٠م

أجمع الإعلام الغربي في مقالاتٍ كثيرةٍ في كثيرٍ من الدُّول الغربيَّة علىٰ أنَّ «محاربة الجهاديين أمرٌ ضروريٌّ». أرجو أن تنتبهوا جيداً: «محاربة الجهاديين»، ولم يقولوا الإرهابيين، ولا الخوارج، ولا الدواعش...

هٰذا تحوُّلٌ خطيرٌ في نبرة الإعلام الغربيِّ. إنَّهُ يعني تماماً: «عليك أيُّها المسلم أن تتعوَّد علىٰ أنَّنا نحارب الجهاد، الجهاااااااااد، عليك أيُّها المسلم أن تقبل محاربة الجهاد، الجهاد هو ما نحاربه... ليست الحركات الإسلاميَّة التي نتحدَّث عنها إلا واجهة لمحاربة الجهاد... يعني لمحاربة الإسلام، فلا إسلام من دون جهاد.

بغضِّ النَّظر عن الماضي الذي فيه من الأدلَّة ما يكفي لسدِّ عين الشَّمس. هٰذا الكلام ينسجم مع التَّصريحات الأمريكيَّة منذ أسبوع علىٰ الأقل التي تذهب إلىٰ أنَّ الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة ستستغرق ثلاث سنوات في العراق. ويتابع جون كيري بما يشبه النُّكتة الفاجرة: «وبعد ثلاث سنوات ستنتقل المعركة إلىٰ محاربة داعش في سوريا».

ماذا يعني ذٰلكَ؟

يعني ببساطة أنَّ أمريكا تتوقَّع وتريد وستفرض استمرار النِّظام السُّوري لثلاث سنوات علىٰ الأقل كما فرضت وجوده سنة كاملة لاستكمال استلام السِّلاح الكيماوي.

هٰذا ليس حبًّا ببشار الأسد بالتأكيد.

ولٰكن ما زال هناك ما يجب تدميره في سوريا.

فكِّروا كيفما شئتم. وخطِّطوا كيفما شئتم. فإنَّ كرة الثلج التي تدحرجت بعد التَّحذير المرِّ المرير تجاوزت ثلث الطَّريق.

يعني ما عاد يمكن إيقافها.

ولا عاد يمكن التحكم بها.

ستطحن كلَّ ما في طريقها.

نحن أمام صفر خيار... صفر خيار يعني لا خيار أمامك لتختاره.

نقطة انتهى.

الأسد يناضل لتقديم خدماته لأمريكا(٤٧)

لن نبدأ بقصَّة الكيماوي، سنعود إليها. نبدأ من تناقضات النِّظام في التَّعامل مع التَّحالف الأمريكان في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة.

نقطة البداية عندما أعلن وليد المعلم بصريح العبارة: «نحن نمد أيدينا للجميع». كان ذَلكَ ردًّا علىٰ سؤال: هل تضعون يدكم في أمريكا؟ فقال الجواب الذي كان صاعقاً، نمدُّ يدنا للجميع، يعني رُبَّما تكون إسرائيل. وعلَّق أيضاً عباراته الشَّهيرة التي حيرت وما زالت تحير العلماء: «من يريد الاعتداء علىٰ سوريا لا مبرر له إلا بالتَّنسيق معنا».

كان ذَلكَ عرضاً صريحاً ومباشراً لوضع خدمات النِّظام السُّوري تحت أمر الولايات المتحدة الأمريكيَّة في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة. ولٰكنَّ الأمريكان أعلنوا غيرَ مرَّةٍ وعلىٰ لسان أكثر من مسؤول من أكثر من مستوى أنَّهُم ليسوا مستعدين لإشراك النِّظام السُّوري في التَّحالف... وهٰذا كذب في حقيقة الأمر.

بعد هٰذه التَّصريحات شنَّ إعلام النِّظام السُّوري حملة شعواء علىٰ العدوان الأمريكي الاستعماري علىٰ المنطقة. كيف ذَلكَ ولماذا؟ بالأمس

(٤٧) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/٩/١٦م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

كان النِّظام يتوسَّل أمريكا أن تعتدي على سوريا بالتَّنسيق معه، فماذا حدث؟

الحقيقة أنَّ إعلام النَّظام أراد أن يظهر ممانعته ومقاومته بسبب رفض أمريكا إشراكه في التَّحالف. والسُّؤال ماذا لو قبلت أمريكا إشراكه في التَّحالف؟ ماذا كان سيقول. بل ماذا سيقول إعلام النِّظام السُّوري على الفضيحة التي انكشفت منذ ثلاث أيَّام تقريباً، في ٢٠١٤/٩/١٦م، عندما نشرت الأندبنت البريطانيَّة عن مسؤولين أمريكيين، وقبل يوم قال روبرت فيسك: «ليس فقط وليد المعلم وزير خارجيَّة سوريا هو من يتوسَّل للأمريكان كي يسمحوا للنِّظام السُّوري بوضع نفسه تحت تصرف أمريكا في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة. بل إنَّ الرّضئيس السُّوري نفسه بشار الأسد أرسل إلى الإدارة الأمريكيَّة طالباً السَّماح له بوضع نفسه تحت تصرف أمريكا في محاربة الإرهاب، في محاربة الدولة الإسلاميَّة».

كيف يشن الإعلام السُّوري حملةً كاسحةً ضدَّ العدوان الأمريكيِّ على المنطقة في حين أنَّ رأس النِّظام ذاته يتوسَّل إلى أمريكا أن تسمح له بوضع نفسه تحت تصرفها في هٰذا الحرب ذاتها على المنطقة؟

هي تبادل أدوار أم ماذا؟

طالما أنَّنا نعلم علم اليقين أنَّ بشار الأسد يعلم أنَّ أمريكا مسرورةٌ مما يفعل، وأنَّها لا يمكن أن تضربه، ولا أن تؤذيه، وطالما أنَّ أمريكا راضيةٌ عليه، وتريده، فلماذا هٰذا الرَّفض والتَّناقض؟

أوضحنا غير مرَّةٍ في كثيرٍ من الأماكن تصريحات المسؤولين الأمريكان من أوباما نزولاً إلى النَّاطقين التي تصرُّ على بقاء بشار الأسد،

وتصرُّ علىٰ الحلِّ السِّلميِّ الذي يبقي بشار الأسد ونظامه، يعني القضاء علىٰ الثَّورة. وأوباما قبل أيامٍ قليلةٍ في خطابه عن إعلان الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة أعلن بوضوح أنَّهُ سيعمل علىٰ نجاح الحلِّ السياسي في سوريا، وقبل أمس وأمس كرَّر ذٰلكَ جون كيري في جلسة الاستماع في الكونجرس لخطة الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة. فلماذا إذن هٰذه التَّناقضات وعدم السَّماح له بالمشاركة؟

في مقال آخر عنوانه لماذا لا يريدون إشراك إيران..؟ أبنت السَّبب بشيءٍ من التَّفصيل. ولٰكن مع ذٰلكَ فإنَّ بشار الأسد لا يثق في أن لا تدافع أمريكا عنه في اللحظة الحرجة، ويعرف أن أمريكا عن طريق وكلائها العرب هي التي تمسك برقبة الجيش الحر وتمنعه من التَّقدُّم، وتدفعه للتَّقدُّم متى شاءت... ولذٰلك يريد أن ينخرط بطريقةٍ معقَّدةٍ في التَّحالف تجعل أمريكا مرغمةً علىٰ حمايته، مثلما حدث في فترة تسليم الكيماوي.

ماذا حدث في فترة تسليم الكيماوي؟

الذي حدث باختصار، أنَّ النِّظام والولايات المتحدة لعبوا لعبة تسليم الكيماوي علىٰ مدار ثمانية أشهر، تنتهي بعد الانتخابات، يكون بشار الأسد قد رشَّح نفسه ونجح، واكتسب شرعيَّةً جديدةً. في حين أن تسليم الكيماوي كان يمكن أن يتم بشهر أو شهر ونصف أو شهرين علىٰ الأكثر. بهٰذه اللعبة اضطرت الولايات المتحدة والمجتمع الدولي إلىٰ حماية بشار الأسد والمحافظة عليه في السُّلطة حَتَّىٰ يكمل تسليم الكيماوي خوفاً من وقوعه بيد الثَّورة، ولذٰلك منعت الثورة من التَّقدُّم ويعرف المتابعون كيف تمَّ ويتمُّ ذٰلكَ.

اليوم ظهرت تسريباتٌ تقول بأنَّ النِّظام أخفى ثلاث مواقع تصنيع سلاح كيماوي ما زالت تصنع الكيماوي. التَّسريب جاء من طرف النِّظام وليس من اكتشاف الثَّورة أو المعارضة. جاء هٰذا التَّسريب لاستجرار الأمريكان إلىٰ تفاوضٍ بشأن الكيماوي وفرض نفسه شريكاً في محاربة (الإرهاب) المتمثل بالدَّولة الإسلاميَّة التي تتهم بأنَّهَا عميلةٌ له. ومحاربة الدَّولة الإسلاميَّة علىٰ حدِّ تعبير الأمريكان ورغبتهم ورغبة الأنظمة العربيَّة وخاصَّة بعض الخليجيَّة ستدوم عشرات السنين، يعني بقاء بشار الأسد في السُّلطة عشرات السنين. ودمتم سالمين.

نظام يهلل للعدوان على وطنه(٤٨)

منذ صبيحة هٰذا اليوم توالت الصَّليات الصَّاروخيَّة علىٰ أرجاء متفرِّقَةٍ من سوريا، كانت موجَّهةً إلىٰ مواقع الدَّولة الإسلاميَّة والنُّصرة كما قال الأمريكيون، ولٰكنَّها أصابت وقتلت الكثير من المدنيين بطبيعة الحال.

الطريف العجيب المريك والمهلك من الحيرة أنَّ النِّظام السُّوري بقضِّه وقضيضه راح يرحِّب بهٰذه الضَّربات علىٰ أرجاء سوريا. ويعلن تأييده لهٰذه الضربات، ومباركته هٰذه الضربات، ومساندته هٰذه الضربات، وفرحته بهٰذه الضربات، وتوقعه أن تنجح هٰذه الضربات وتؤدي إلىٰ نتائج إيجابية...

بشار الجعفري أعلن من واشنطن تأييد سوريا لهذه الضربات الأمريكيَّة لسوريا، وأن سوريا مستعدَّةٌ لأيِّ تعاون في هٰذا الإطار.

(٤٨) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/٩/٢٣م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

وليد المعلم أعلن أنَّهُ كان علىٰ تنسيق مع وزير الخارجيَّة الأمريكي بشأن هٰذه الضَّربات قبل ساعةٍ، رُبَّما عن طريق وزير الخارجيَّة العراقي كما زعم.

بشار الأسد شخصيًّا أعلن تأييده لهٰذه الضربات الأمريكيَّة لسوريا، وأعلن مساندته لها، وهو مستعدٌّ لأيِّ تعاونٍ لنجاح هٰذه الضَّربات...

وبعدهم جاءَ الأبواق فهٰذا شريف شحادة يعلن بكلِّ وقاحةٍ: إنَّ النِّظام السُّوري سعيدٌ بالضَّربات الأمريكيَّة ضدَّ داعش.

للأمانة والتَّاريخ ليس النِّظام وأبواقه من هلَّل لهٰذا العدوان فقد سمعنا عن أفراح وابتهاجات بَيْنَ أعضاء الإئتلاف، ورُبَّما ساد الرَّقص والدبك ابتهاجاً بالهجمات الصاروخيَّة التي شنَّتها أمريكا علىٰ شمال وشرق سوريا اليوم. النِّظام والإئتلاف فرحان بالطَّريقة ذاتها، كلاهما أيَّد الضَّربة، وكلاهما فَرِحَ بها، وكلاهما أبدى تعاونه... إنها نسختان لنظامٍ واحدٍ.

لم يحدث في التَّاريخ أنَّ قيادة دولة وموالين لها يهللون لغزو أجنبي لبلادهم، ويفرحون بالضَّربات التي يوجهها أجانب لبلادهم، وكلُّ ذٰلكَ من أجل البقاء علىٰ الكرسي... إذا كان محض البقاء علىٰ الكرسي هو السَّبب. لأنَّ البقاء علىٰ الكرسي لا يدعو أبداً إلىٰ ابتهاج النظام بتوجيه ضربات صاروخيَّة لآراضيه.

قد يظنُّ بعضهم أنَّ مثل هٰذا حدث في الأندلس، أيام الغزو المغولي للبلاد الإسلاميَّة. الحقيقة حَتَّى في تلك الأيام لم يحدث ذٰلكَ ولا ما هو قريب منه. ما حدث في تلك الأيام هو استقواء بالأعداء علىٰ الأهل... تحالف مع الأعداء علىٰ أمل عدم غزوهم من قبل الأعداء. ولٰكنَّ أحداً منهم لم يفرح بأنَّ العدو يعتدي علىٰ أرض وطنه. النِّظام السُّوري وحده من فرح هٰذا الفرح وابتهج هٰذا

الابتهاج وأعلن بوقه الإعلامي أنَّ النِّظام فرح بهٰذه الضَّربة الأمريكيَّة للآراضي السُّورية.

خاتمة

لا أدري ماذا أقول أمام هٰذه المعطيات وهٰذه الوقائع.

أتساءل كم يمكن أن يصمد أمام شعبه نظام يهلل للعدوان عليه ويفرح بالهزيمة ويعد الهزيمة انتصاراً؟

رُبَّما يستمر ويطول، ولٰكنَّ كم سيصمد أمام نفسه وهو يرى انفضاحه في عيون الجميع؟

لا تتعاملوا مع أحداث الأمس ملثما تتعاملوا معها اليوم، المعطيات تغيرت.

مهما كانت المعطيات التي يتكئ عليها الحكام في ابتلاع هٰذه المأساة فإنهم أمام بركان يسخن ولا يدري أحد متى ينفجر، ولٰكنَّهُ سينفجر...

الفصل السابع

خيانة المثقف والمعارضة العربية

مقدمة
لماذا اليسار العربي عدو الشعب والحرية؟
مثقفو السلاطين
الهزال من المثقف إلى الشعب
معارضة أعجب من العجب
معارضة أم مصافحة
محمد حسنين هيكل لم يسقط
لا رأي لمن لا يطاع
خاتمة

ظلت المعارضة العربية تنفخ رأسنا عشرات السنين بمعارضتها الأنظمة العربيَّة، بنقدها الاستبداد، بنقدها الفساد، بهجومها علىٰ الأنظمة العربية، بدعوتها للثورة علىٰ الأنظمة... وفجأة عندما ثارت الشعوب وقفت كلها مع الأنظمة ضد الشعوب وضد الثورات...

لقد بدت المعارضة العربية برموزها الكبيرة والصَّغيرة، وأحزابها الكبيرة والصغيرة وكأنها مخابرات للأنظمة العربية وليست معارضة كما تزعم.

لم تفاجئ الشعوب أبداً بما لاقته من وحشية الأنظمة بقدر ما كانت صدمتها من المعارضة العربية ورموزها التي بخشت طبلة الأذن بفنون معارضاتها وأساليبها.

لماذا اليسار العربي عدو الشعب والحرية؟(٤٩)

لا أريد أن أدخل في تفاصيل الماضي وهي أكثر من أن تعدَّ أو تحصى في مواقف اليسار العربيِّ المخزية والدَّاعية إلىٰ الاستغراب الشَّديد.... ويمكن أن أناقش ذَلكَ لمن شاء ومتى شاء نقطة نقطة.

أريد أن أقف هنا عند موقف اليسار العربي من الرَّبيع العربي. قد يكون في الربيع العربي بعض نقاط استفهام، ولٰكنَّ الحقيقة التي لا تقبل النِّقاش أنَّ الثَّورات

(٤٩) . نشر هذا المقال في ٢٠١٢/١١/٢٦م الشبكة العربية العالمية، ثمَّ في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

العربيَّة هي ثورات علىٰ الظلم والطغيان والاستبداد والفساد وامتصاص دماء الشعوب.

هٰذه حقيقةٌ لا تقبل الشَّك، حقيقة الحراك الثَّوري في تونس ومصر واليمن وليبيا وسوريا وفيما سيأتي من دول علىٰ الطَّريق. هناك بعض تداخلات خارجيَّة ولٰكنَّهَا لا تصل أبداً إلىٰ المستوي الذي يفقد الثَّورة مصادقيتها بحال من الأحوال.

ومع كلِّ الوضوح الذي يفقأ عين أي منكرٍ أو جاحدٍ وقف اليسار العربي موقفاً مخزياً إلىٰ أبعد الحدود ضدَّ هٰذه الثَّورات.

في حين أنَّ الشَّارع العربي كان ينتظر منهم أن يكونوا في طليعة الثَّائرين، كما يصورون أنفسهم، وإن لم يكن كذٰلكَ ففي طليعة المساندين والمؤازرين.... فإنَّهُم لم يكتفوا بعدم تحقيق أيٍّ من المتوقع منهم، بل إنَّهُم لم يكتفوا بالصَّمت وهو أضعف الإيمان وإنما وقفوا ضدَّ الثَّورات موقفاً فاجراً لا يقلُّ فجوراً أبداً عن موقف النِّظام وإعلام النِّظام وأبواق النِّظام. وراحوا يردِّدون ذرائع النِّظام ذاتها بالطَّريقة ذاتها في اتِّهام الثَّورات في مختلف بقاع الوطن العربي.

شيءٌ يضع العقل في الكف حيرةً!!!

أين النِّضال والمعارضة ونقد الرجعيَّة ونقد الفساد ونقد السُّلطة ونقد الاستبداد والاستعراضات البطوليَّة في مواجهة كلِّ ذٰلكَ؟؟؟

هل كلُّه تمثيلٌ وخداعٌ وتضليل؟؟؟

أم أنَّهُ جبن؟

لا أتخيل أن يكون جبناً لأنَّهُم كانوا يقدمون أنفسهم علىٰ أنَّهُم أشجع من عنترة بن شداد، ولأنَّ أجبن النَّاس عندما اندلعت الثورة تحولوا إلىٰ أشجع الناس، يعني لم يعد هناك جبناء.

حسناً، يمكن أن نلتمس لهم بعض العذر في بدايات الثورة، أي ثورة، ولٰكن بعد انكشاف الحقائق انكشافاً يسدُّ عين الشَّمس لم يعد لأحدٍ عذرٌ يمكن أن يقبل. فلماذا مازالوا يصرُّون علىٰ محاربة الثَّورة ومعاداتها؟ لماذا يصرُّون علىٰ اجترار ذرائغ النِّظام أو الأنظمة وتكرارها من مؤامرة خارجيَّة ومندسين وإرهابيين ومخربين[٥٠]...؟؟

قبل أن أنتقل إلىٰ آلية تجولهم وتحويرهم في الكلام والموقف لا بُدَّ أن ندرك الحقيقة الأساسيَّة التي تقف وراء هٰذا الموقف. الحقيقة هي أنَّهُم هم أنفسهم من كان يتحكَّم بكلِّ شيءٍ في السُّلطة؛ الإعلام، الثقافة، المؤسسات... وهم لذٰلك بطريقةٍ أو بأخرى جوقةُ الفساد المحيطة بالسلطان، وعندما هبت الثورات وجدوا أن سيطرتهم ومكاسبهم هي المعرضة للخطر شأنها في ذٰلكَ شأن النِّظام الذي تغلغلوا في تفاصيله وأجزائه، ولذٰلك لم يجدوا في هٰذه الثَّورات إلا ثورات عليهم هم مثلما هي ثورات علىٰ النِّظام، أو الأنظمة التي قامت الثَّورات ضدَّها، ولذٰلك وقفوا ضدَّها، ولا يمكن الوقوف ضدَّها إلا بترديد الترهات والأضاليل ذاتها التي توجه إليها من مؤامرة خارجيَّة وإرهاب ومندسين وغير ذٰلكَ من أضاليل وأباطيل.

(٥٠) .كتب ونشر هٰذا المقال في ٢٠١٢/١١/٢٦م أي قبل أي ظهور لما يسمى الإسلاميين علىٰ الساحة الثورية وقبل ظهور ذريعة الخوف من الإسلاميين التي صاروا يتذرعون بها لاحقاً.

الحقيقة الثَّانية التي يجب ذكرها في هٰذا السِّياق هي أنَّ هناك من يظنُّون أنفسهم أذكياء من بساريين أو يمينيين أو ممن لا يسار لهم ولا يمين، وبناء علىٰ حسن ظنِّهم بذكائهم سيبدأون بتدوير الزوايا، بل إنَّ بعضهم قد بدأ بذٰلكَ بالفعل، من خلال بعض التَّعليقات والمواقف التي ستقلل تدريجيًّا من حدَّة الموقف الفاضح المفضوح من الثورة، وسأبدأ بأوضح مثال صدر عن حسن نصرالله أمس في الخامس والعشرين من تشرين الثاني ٢٠١٢م إذا بدأ يقلل من حدة تصريحاته الدَّاعمة لجرائم بشار الأسد الوحشية، فراح يعلن أنَّهُ مع نصرة المظلوم وأنَّ الشَّعب السُّوري كله مظلوم، وبعد أن كان يقول إنَّ النِّظام المقاوم هو المستهدف صار يقول: الشَّعب السُّوري وسوريا كلها مستهدفة، وبعد أيام رُبَّما يخرج علينا بما يشبه التنصل من جرائم بشار الأسد، وبعد أيام رُبَّما يتبعه بتصريح يؤيِّد فيه الثَّورة السُّورية[٥١]...!! حسن نصر الله ليس يساريًّا، ولٰكنَّهُ أنموذج لليساري العربي في الموقف وفي تدوير الزوايا.

هٰذا هو تدوير الزَّوايا الذي بدأ اليساريون يفعلونه فهم الآن صاروا مع الثَّورة ولٰكن يقولون: يجب تخليصها من شوائب المؤامرة والمطامع الغربيَّة والخارجيَّة من وهابية وبهائية وبهلوانية وهلم جراً.

وبعد فترة قصيرة، سيتابعون تدوير الزوايا، وسيظلون يتابعون تدوير الزوايا حسب الكفة الراجحة: الثورة أم النظام، في سوريا والدول الأُخْرَىٰ سيَّان، عندما يلوح انتصار الثَّورة ستجدونهم يحملون السِّلاح ويشاركون كتائب الجيش الحر،

(٥١) . الذي حدث في شأن حسن نصرالله هو اتخاذ قرار التضحية بكل شيء لنصر النظام السوري رُبَّما باجتهاد شخصي ورُبَّما بقرار إيراني.. وفعلاً خسر حسن نصرالله وإيران كل ما يمكن أن يعد رصيداً حسناً في العالم العربي والإسلامي، وذٰلكَ أمر يطول الكلام فيه ستكون لنا عودة إليه.

وما هي إلا غمضة عين حَتَّىٰ تكون الثَّورة ثورتهم، وهم الذين قاموا بها، وهم الذين قادوها... وأنَّهُم منذ البداية قوادها.

هل عرفتم من أين جاء الإسلاميون ولماذا جاؤوا؟

وهل أدركتم من أين جاء التَّطرف ولماذا جاء؟؟؟

هٰذه السلوكات الاستغبائيَّة هي التي حولت المعتدل إلىٰ متطرف. وليس لأنَّ الشَّعب الثائر متطرِّف.

مثقفو السلاطين(٥٢)

منذ أكثر من عشرين سنة يستفزني الكلام في المثقف والسُّلطة، أين يجب أن يقف المثقف من السُّلطة؟

ولكنِّي كلما بدأت الكتابة في الموضوع توقَّفت عن الكتابة ولم أستطع المتابعة.

الحقيقة أنَّ الفكرة التي كانت ترود ذهني أنَّهُ لا يوجد ما يمنع من وقوف المثقَّف إلىٰ جانب السُّلطة ناصحاً، فأن تكون السُّلطة بمثقفين خير من أن تكون بلا مثقفين.

ولٰكنَّ هٰذه الفكرة ذاتها هي التي كانت تكهربني كلما شرعت في الكتابة، فلا أستطيع المتابعة.

اليوم أعلن: أنَّ المثقف الذي لا يستطيع أن يقف ضدَّ السُّلطة، المثقف الذي لا يستطيع أن ينقد السلطة، المثقف الذي يدافع عن أي خطأ من أخطاء السلطة... ليس مثقفاً، إنَّهُ متسلِّقٌ منافقٌ أو جبانٌ لا يستحق شرف أن يكون

(٥٢) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١١/١١/١٦م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

مثقَّفاً لأنَّ الثَّقافة تصنع عقلاً متميِّزاً مستفيداً من خبرات الأجيال والتاريخ، والذي لا يستفيد من كلِّ ذلك فعقله في خلل ما.

علماء السلاطين ومثقفو السلاطين ليسوا علماء الدين وحسب، هناك علماء نفس، وفيزياء وجغرافيا وجيولوجيا وفبركلوجيا وتزويرلوجيا... إنهم من مختلف الاختصاصات، الذي يميزهم هو طبيعة تفكيرهم التبريرية للسُّلطان، والتلفيقية لأعداء السُّلطان. منذ أسبوع على سبيل المثال وهؤلاء العلماء مشغولون بسرِّ ابتسامة قادة الأخوان عند اعتقالهم، الكلُّ يقر بالحقيقة ويقول:

الابتسامة تعني الأمل، والتَّفاؤل، والثقة... ولٰكنَّ هناك استثناء هو ابستامة قادة الأخوان تحديداً فهي تدلُّ على الانهزام واليأس وفقدان الأمل والحيرة والتَّردد... والرَّغبة في الانتحار...

الحقيقة الأكيدة أنَّ علماء السَّلاطين عناصر مخابرات لا أكثر يلبسون قبعة الاختصاص الذي يتناسب مع شكلهم.

ابن حنبل ضرب بالسوط بفتوى علماء، وابن تيمية أدخل السجن بفتوى علماء، وابن حزم أحرقت كتبه بفتوى علماء... هٰذا عند سلفنا الصَّالح فماذا يحدث في زمننا الطالح؟

الهزال من المثقف إلى الشعب[٥٣]

يكاد لا يصدِّق المرءُ أبداً أنَّ أشد دعاة الحريَّة والدِّيمقراطيَّة في عالمنا العربي قبل الرَّبيع العربيِّ هم اليوم أشدُّ أعداء المناضلين من أجل الحرِّيَّة والدِّيمقراطيَّة...

(٥٣) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٣/١٢/٨م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي، تحت عنوان: المثقف العربي والمجتمع العربي أصفار.

أمرٌ مثل الكذب.

منذ أكثر من ربع القرن كتبت أكثر من مرَّةٍ أنَّ كثيراً من هٰذه القامات الفكريَّة والسِّياسيَّة والثَّقافيَّة ليست إلا هياكل جوفاء صنعتها الأنظمة... أصفار أخرجتها الأنظمة من الحاويات ونفخت فيها وشهرتها وسلَّمتها قياد المؤسَّسات الثَّقافيَّة والحراك الثَّقافي، ولٰكن نحن شعبٌ نهوى أن ننخدع.

هناك قاماتٌ فكريَّة عملاقةٌ يتمُّ تداول أقوالها علىٰ أنَّهَا حِكَمٌ تتجاوز الأزمان في الثَّورة والحريَّة والدِّيمقرطيَّة ونقد الأنظمة الاستبداديَّة في حين أنَّهَا عناصر مخابرات، كانت تختفي عدَّة أيام في ليالٍ حمراء مع الفراريج المحمرة، وتروِّج أنَّهَا كانت قيد الاعتقال في أقبية النِّظام وقد تمَّ الإفراج عنها بمعجزةٍ إلهيَّةٍ.

مات من مات من هٰؤلاء ولم نفجع بموقفه من الثَّورة. ولٰكنَّ الأحياء منهم كانت موافقهم كافية لتكون الفجيعة أكبر من أن تحتمل؛ من كان يتصوَّر أن لا يقف مع الثَّورة شخصٌ مثل دريد لحام الذي كان أجرأ ناقدٍ للفساد والاستبداد والسلطة والنظام الأمني... علىٰ مدار أربعين سنة؟! أن لا يقف معها أمره وحده مفجعٌ، ولٰكنَّهُ تجاوز ذٰلكَ إلىٰ مناهضة الثورة والوقوف ضدها. يمكن أن تستوعب وقوف أي فنان آخر هٰذا الموقف ولٰكن أن يكون من هٰذا الشخص الذي يحمل هٰذه المواصفات فهو الأمر الذي يتجاوز الفجيعة.

مثله كان طيب تيزيني الذي سَحَرَ العالم بثوريَّته ومعارضته ونقده الجريء؛ كان أنموذجاً للمناضل الثَّوري الشُّجاع الباسل في نقد النِّظام القمعي والأجهزة الأمنيَّة والفساد... وإذ به رجل النِّظام الأوَّل!!! لو وقف مثل هٰذا الموقف أيَّ

مفكر آخر أو مثقف آخر لكان يمكن أن تستوعب موقفه، ولٰكن أن يكون منه هو تحديداً بعد نحو ثلاثين سنة من نضاله الثَّوري فهٰذا أمرٌ لا يصدَّق!! لقد تبيَّن أنَّهُ كلُّه كذب وخداع وتضليل...

هٰذان أنموذجان، أنموذجان صارخان. أمَّا مثقفو المواقف المائعة أو العادية فحدث ولا حرج. لقد أثبتَ المثقَّف العربيُّ أنَّهُ أعجز عن أن يكون قدوةً وغير جديرٍ أبداً بأن يكون قدوة.

إنَّ المجتمع العربيَّ الرَّاهن الذي تحرِّكه الراقصات والمسلسلات ومباريات كرة القدم أكثر ألف مرَّةٍ مما تحركه دماء الشُّهداء المنسفحة علىٰ ربوع سوريا شعب لا يمتلك من العقل ما يكفي للتَّفكير السَّليم، شعب تحكمه الغرائز البهيميَّة أكثر مما يحكمه الوجدانُ الأخلاقيُّ أو الإنساني.

كيف يمكن أن أثق في أنَّ مثل هٰذا الشَّعب العربيِّ الرَّاهن يمكن أن يكون له أيُّ مستقبلٍ مشرقٍ وهو يرى أهله هو لا أهل غيره يذبحون ويحرقون ويشرَّدون في العراء تحت المطر والبرد والثلوج والريح والعواصف... وهو بضميره المرتاح يسوح مع السياح، ويلهو ويعلب وتأخذه الراقصة ومبارة كرة القدم أكثر بألف مرَّةٍ مما يمكن أن تشغل باله معاناة أهله هؤلاء؟؟؟؟

كلمة هزلت كلمةٌ قليلةٌ علىٰ مثل هٰذا الحال.

إذن ليس من المبالغة أبداً القول: لقد أثبت الشَّعب العربيُّ حَتَّىٰ الآن أنَّهُ غير جدير بالدِّيمقراطية والحريَّة في ظلِّ وعيه الاجتماعي الراهن. ولا تعذرونا علىٰ القسوة في الحكم.

معارضة أعجب من العجب(٥٤)

منذ سنةٍ ونصف تقريباً وبالي مشغولٌ بأشخاصٍ وأحزابٍ وحركاتٍ كانت معارضةً للنِّظام بشدَّةٍ مستفزةٍ أحيانا، تدعونا لنكره المعارضة...

هؤلاء

عندما انطلقت الثَّورة سكتوا!!!

وبعد تقدُّم الثَّورة وقفوا إلىٰ جانب النِّظام!!!

ومنذ فترة بدأوا يفاوضون باسم النِّظام!!!

وفوق ذَلكَ كلِّه هم مفوَّضون من النِّظام!!

هؤلاء في سوريا ومصر ولبنان والعراق والجزائر...

الحقيقة التي انكشفت ويتعذَّر الطَّعن فيها هي أنَّ هؤلاء الأشخاص وهٰذه الأحزاب والحركات لم يكونوا في يومٍ من الأيام طلاب حريَّةٍ أو عدالةٍ أو ديمقراطيَّة، ولا حَتَّى طلاب كرامةٍ، وإنَّمَا هم أصلاً وفصلاً لا يعرفون الصِّدق، ولا قيم نبيلة عندهم، هم متسلقون وصوليون يركبون الموجة التي تحقِّق مصالحهم وأنانيتهم فقط لا أكثر.

ولذلك سكتوا في بداية الثَّورة ليعرفوا إلىٰ أين ستميل الكفَّة، ويعرفوا أين يقفون وماذا يفعلون من أجل تحصيل المغانم الأكبر والمكاسب الأعظم، وعندما تقدَّمت الثَّورة خطوةً بعد خطوة وجدوا أنَّ حصَّتهم أقلَّ من طمعهم ولذلك وقفوا مع النِّظام قلباً وقالباً وظلوا يبعبعون ضدَّ النِّظام بما لا يثير غضب النِّظام عليهم وعلىٰ رأسهم في سوريا هيئة التَّنسيق وأحزاب الجبهة الوطنية كلها التي لم تخالف النِّظام في قول أو فعلٍ أو

(٥٤) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٣/١٢/٢٤م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

سلوكٍ، ولم تعترض عليه في شيء أبداً. وعندما أحسُّوا بأنَّهُم صاروا مفضوحين لم يعد أمامهم سوى أن يحاربوا الثَّورة ويدافعوا عن النِّظام.

الطَّريف الغريب في الأمر أنَّهُم يروِّجون سرًّا، ولهم أزلامهم في ذَلكَ، أنَّهُم لهم كتائب جيش حر، ويدعمون عشرات كتائب الجيش الحر، وأنَّهُم إنَّما يصرحون بما يصرحون به خوفاً من بطش النِّظام ومن أجل أن يستطيعوا الاستمرار في دعم الثَّورة، وهٰذا كلام عارٍ من الصِّحة لا أساس له، لهم بعض الكتائب القليلة بالتَّأكيد لتكون نماذج عند ضرب الأمثلة، ولٰكن أنا علىٰ يقين بأنَّ الكتائب التَّابعة لهم لا تقوم إلا بتخريب عمل الجيش الحر لتشويه الثورة. من يعرف كتائبهم فلينظر فيها وينظر فيما تفعل وتضر الثورة لا تخدمها.

هٰذه الظَّاهرة ليست اختلاقاً ولا تجنيًّا، وقد كتبت منذ بداية الثورة ذَلكَ. الذي لفت انتباهي وأثار فضولي هو أنَّهُ كان المتوقع من هؤلاء الأشخاص والأحزاب والجماعات أن يكونوا في طليعة الثَّورة وأكبر وأبرز قادتها، ولٰكنَّهُم غابوا عن ساحة الثَّورة غياباً ملفتاً وعجيباً، والأعجب من ذَلكَ أنَّ الذين كانوا بعثيين هم الذين نادوا بسقوط البعث والنِّظام أكثر من أحزاب المعارضة وأكثر من هٰؤلاء الأشخاص الذي نفخوا رؤوسنا بمعارضتهم.

هٰذه الظَّاهرة ليست ظاهرةً سوريَّة، فسوريا ليست وحدها مختصَّة بهٰذه الوصوليَّة والنِّفاق وتقديم مصالح الأفراد، أو مصالح أحزاب هؤلاء الأفراد علىٰ مصلحة الوطن ودماء آلاف الشُّهداء... ولا أطيل في قائمة الألم التي لا تغيب عن ذهن أيِّ سوريٍّ... سوريا ليست وحدها التي تعيش فيها مثل هٰذه الطُّفيليَّات والكائنات السيتوبلازمية والإشنيَّة فهي موجودة

في العالم العربي كلِّه. ظهر ذلكَ بوضوحٍ في مصر وفي العراق وحَتَّى في اليمن... ولا تبتعدوا كثيراً، افتحوا أعينكم وستجدون بوضوح مثل هٰذه الإشنيات والكائنات السيتوبلازمية في كلِّ دولةٍ عربيَّة.

هٰذا يدعونا إلىٰ فتح باب التَّساؤل عن المعارضة التي تمثِّل الثَّورة، علىٰ أساس أنَّهَا تمثِّل الثَّورة، من قبيل الموجودين في المجلس الوطني والإئتلاف الوطني... ولا ننسى بعضاً من الهيئات الثَّوريَّة التي يفترض أنَّها موجودةٌ في الدَّاخل فيما هي ليست كذلكَ التي تركب دماء الشَّهداء وتضحيات النَّاس...

كثيرٌ من هٰؤلاء، وليس الجميع بالتأكيد، من قبيل تلك المعارضة، كانوا كذلكَ قبل الثَّورة واستمروا، وقليل نادر من استهدى إلىٰ الصَّواب. فما الذي يمكن أن نتوقعه منهم؟!

أفتح الباب وأتركه مفتوحاً لأنَّ الكلام فيه غير قليلٍ.

ما إنْ أشرقَتْ شمسُ الرَّبيع في عالمنا حَتَّىٰ انكشفت كلُّ الأوراق بوضوح:

اكتشفنا أنَّ المفكِّر الحرَّ هو أكثر الخلق عشقاً للعبوديَّة!!!

اكتشفنا أنَّ القومجيين العرب أشدَّ أعداء القوميَّة العربيَّة!!!

اكتشفنا أنَّ من كانوا يدعون إلىٰ الموضوعيَّة هم أشدُّ أعدائها!!!

اكتشفنا أنَّ أعداء إسرائيل الظَّاهرين هم عبيدها وعملاؤها الحقيقيون!!!

اكتشفنا أنَّ من يدعون إلىٰ احترام الرأي الآخر هم من يرفضون الآخر!!!

اكتشفنا أنَّ العلمانيين لا يعرفون من العلمانيَّة إلا ما يحارب الدين!!!

اكتشفنا أنَّ من قادوا الممناعة والمقاومة هم ما يحارب المقاومة الحقيقية ويمنعها ويقف سداً منيعاً أمام إسرائيل!!!

اكتشفنا أن كثيراً من اللصوص يلبسون ثياب شرفاء!!!

اكتشفنا أنَّ كثيراً ممن كانوا يبيضون علينا الوطنيَّة خونة وعملاء!!!

اكتشفنا الكثير الكثير مما يطير العقل أعلى تطيير!!!

لك الله أيُّها الرَّبيع العربيُّ

كم من الجبال جعلتها دكًّا وصارت رماداً

بفضل الرَّبيع العربي:

رجال كثيرون تبين أنَّهُم نسوان!!!

وطنيون كثيرون تبين أنَّهم خونة!!!

معارضون كثيرون تبين أنَّهم عناصر مخابرات!!!

لك الله

لك الله أيها الربيع العربي

لك الله أيها الربيع العربي كم (شلَّحتَ) أناساً ثيابها!!!

عشرات السِّنين ونحن ننتظر صحوة العرب.

صحا من صحا ومن صحا عاد للنَّوم بعد أن صحا.

ومن لم يصح لن يصحو.

وستنتظر الأجيال القادمة عشرات السِّنين لترى مثل هٰذه الفرصة ولا ندري هل سيكون الشَّعب العربيُّ أهلا لها أم لا؟!

هٰذا ليس تشاؤماً.

شعبٌ بمثل هٰذه الخصائص لا يمكن أن توقظه قنبلةٌ ذريَّة علىٰ باب بيته!!!!

حسبي الله ونعم الوكيل.

معارضة أم مصافحة(٥٥)

سجِّل أيُّها التَّاريخ

كلُّ يومٍ تثبت المعارضة التي تمثِّل الثَّورة السُّورية أنَّها حثالةُ البشر.

إنَّهُ لمن أشدِّ مآسي التَّاريخ أن يمثِّل أعظم ثورة أناسٌ هم أتفه النَّاس وأكثرهم لصوصيَّةً وأنانيَّة وعبوديَّة لمصالح أعداء الشَّعب السُّوري.

ما هٰذه المعارضة التي لا بُدَّ أن يكون عنوان كلِّ اجتماع من اجتماعاتها تبادل الصَّفعات؟

ما هي هٰذه المعارضة التي مضى عليها أكثر من سنتين وحَتَّى الآن لم تقدِّم للثَّورة أيَّ مشروعٍ أو مخطَّطٍ يساعد الثَّورة ولو مثل بعض ربع ما يساعدها به رجلٌ سوريٌّ واحدٌ مع الثَّورة وليس من المعارضة؟

ما هي هٰذه المعارضة الرقيعة التي بغبائها وتناحرها تجعل رجال النِّظام يتنطعون بكلِّ صفاقة وثقة لتمثيل الثَّورة؟ أليس لأنَّ هٰذا الاعتلاف مشوَّهٌ عند الثَّوار إلىٰ الحدِّ الذي يجعلهم يقبلون بأيِّ كلبٍ بدلاً عنهم؟

لا نعدِّد الأمثلة علىٰ تنطُّع رجال النِّظام لتمثيل الثَّورة وقد أشرنا غير مرةٍ إلىٰ ذٰلكَ، ولٰكن لننظر فيما يحدث اليوم من تقدم محمد حمشو ومحمد برمو لتشكيل اعتلاف قوى معارضة جديد يحلُّ محلَّ الاعتلاف الوثني الذي أثبت أنَّهُ إن لم يكن عدوًّا للثَّورة فإنَّهُ عبد لأعداء الثَّورة السُّورية.

رُبَّما يمكن بعد الجهد أن نلتمس حجَّةً لواحدٍ يعيش خارج سوريا منذ ما قبل الثَّورة أن يتنطَّع لادعاء تمثيل الثَّورة، وللحقيقة والتَّاريخ فإنَّ معظم أعضاء

(٥٥) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/١/٧م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

الاعتلاف الآن وقبله المجلس الوطني من السُّوريين الذين لا يعرفون سوريا إلا علىٰ الخريطة رُبَّما. ومع ذٰلكَ يمكن أن نعصر بصلةً علىٰ أنوفنا ونقبل بهم ممثلين للثَّورة. ولٰكن كيف يمكن أن يتنطع محمد برمو، وهو من يعرف أهل ريف دمشق من هو، وهو ما زال عضو مجلس شعب إلىٰ الآن أن يتنطع لتشكيل معارضة تمثِّل الثَّورة؟

والأمر نفسه ينطبق علىٰ محمد حمشو وهو إلىٰ الآن شريك رجال النِّظام في تجارتهم وشركاتهم.

المعارضة السُّوريَّة بكلِّ مكوِّناتها تذكرني بحكاية ما زلت أرويها من سنين طويلة. يحكى أنَّهُ دنا الموت من أحدهم وعانى في موته، فشعر أنَّهُ رُبَّما اقترف ذنباً يجب أن يستسمح له. فطلب السَّماح من أهله فسامحوه. ولم يمت واشتدت المنازعة عليه صعوبةً. فوجَّه أبناءه إلىٰ أقاربه القريبين، ثمَّ أقاربه البعيدين، ولم يتغيَّر شيءٌ. فطلب الصَّفح من الجيران، ولم يتغيَّر شيءٌ، ثُمَّ إلىٰ جوار الجيران، ولم يتغيَّر شيءٌ... وأخيراً تذكَّر حيواناته فحملوه إليها، وبكى أمامهم، وطلب الصَّفح منهم والسَّماح إن قصَّر معهم.

علا خوار الثَّور وأومأ أنَّهُ سامح.

والحمار نَهَقَ أنَّهُ قد سامح.

والخرفان فعلت...

وعندما وصل إلىٰ الجمل هزَّ الجمل رأسه مستنكراً.

فقال له: ماذا هنالك؟

قال الجمل: حرثت الأرض عليَّ بَدَلَ الثَّور أو الحمار سامحتك عليها... عطَّشتني أكثر من كلِّ الحيوانات... سامحتك علىٰ ذٰلكَ...

كنت تطعم البقر والحمار أكثر مني، أيضاً سامحتك... وفعلت كذا وسامحتك، وكذا وسامحتك... شيءٌ واحدٌ لا أستطيع أن أسامحك عليه، وهو أن تربطني بذيل الحمار وتجعل الحمار يقودني، فهٰذا ما لا يمكن أن أسامحك عليه.

وهٰذه هي قصة الثَّورة مع الحمير الذين يتقدَّمونها ويقودونها.

ومن كان لديه اعتراضٌ فليقله لعَلَّنا أخطأنا.

الحقيقيَّة التي لا بُدَّ من التَّركيز عليها في هٰذه الآونة وكلِّ آونة هي أنَّ ما يسمَّى معارضة في العالم العربي، ومنذ عشرات السنين، لا ترقى أبداً إلىٰ استحقاق اسم المعارضة، ولا تستحقُّ شرف نيل هٰذا المهمة. فلقد أثبتت المعارضة العربيَّة في أقطار الوطن العربي قاطبةً أنَّها في الملمَّات والأزمات والمنعطفات السَّهلة والصَّعبة أعجز عن أن تصل إلىٰ أدنىٰ مستويات المقبول، وأدنىٰ مستويات الوطنية والحسِّ بالانتماء. وتوزعت ما بَيْنَ ثلاث أنواع رُبَّما لا رابع لها:

أولها العمالة الصريحة والارتهان لأعداء الوطن والقطر. أعداء الوطن أو القطر لا حاجة للتَّفصيل فيهم، ولٰكنَّ ما لا بُدَّ من الإشارة إليه هو أنَّ الأنظمة العربية بجملتها وتفاريقها تقريباً أعداء للوطن. وهٰذه الأنظمة اصطنعت أقنعةً لأناسٍ سمَّتهم معارضين، يقومون بدور المعارضة علىٰ أكمل وجه، بما في ذٰلكَ اعتقالهم وهروبهم ومطاردتهم... ولكنَّ هؤلاء كما بينا في غير هٰذا الموقع يصطفون مع النِّظام عند أيِّ تهديدٍ فعليٍّ للنِّظام مهما كان، علىٰ أساس أنَّهُم معارضة وطنيَّة شريفة غير مرتهنة للخارج!!

ثانيها الغباء والسَّطحيَّة المثيرة للتقيؤ. لا أريد أن أطيل هنا، ولٰكنَّ ما لا بُدَّ من أن توضع بعض النِّقاط علىٰ حروفه، أنَّ المعارضة التي كانت بارزةً في العالم العربيِّ، علىٰ قَدْرٍ محدودٍ من الذكاء، بعضهم علىٰ قدر من الثَّقافة كافية، ولٰكنَّ محدودية التفكير وقدراته تجعل منهم آفات أخطر علىٰ الوطن من الآفات الطبيعيَّة والكوارث الخطيرة. بمناسبات عديدة، وبحكم الضَّرورة الواقعيَّة، تواصلت مع كثيرٍ منهم في العالم العربي ومنهم والأكثر في سوريا. منذ سنين كثيرة قطعت الأمل منهم. وكنت أشفق علىٰ الوطن من أمثال هؤلاء المعارضين. وكان بالفعل ما توقَّعت عندما احتاج الوطن إلىٰ المعارضين.

ثالثها نظيفةٌ مشتَّتة مهمَّشةٌ وهي قليلة العدد والفعل.

أعود هنا إلىٰ الصِّنفين الأولين. كلاهما انغلق علىٰ ذاته ضمن مجموعاتٍ فئويَّةٍ حزبيَّةٍ أو طائفيَّةٍ أو مناطقيَّةٍ أو عشائريَّةٍ... وروَّج فقط لمن ينتمي إليه، وقامت بتهميش كلِّ من لا يعزف علىٰ أوتاره. كان من الطَّبيعي أن يكون هناك معارضون لا يريدون الانتماء إلىٰ أيِّ طرفٍ أو فريقٍ لأنَّ همَّهم أن ينتقدوا الأخطاء، أمثال هؤلاء قليلون عدداً، قليلون فعلاً. وهم محاصرون بالنظام وهياكل المعارضة.

والممارسة التي تجمعها هٰذه الأطراف كلها رُبَّما من دون استثناء هي الإقصائيَّة والتخوين، وتخيلوا ماذا يمكن أن يحدث عندما الخائن يقوم بتخوين الآخرين!!! أو أنَّ الغبي أو الجاهل يقوم باتهام الآخرين بالغباء والجهل!!! التَّخوين غالباً هو الذَّريعة الأكثر حضوراً لممارسة الإقصاء. كيف لا وعدم الإقصاء يكشف عوار الخائن والجاهل ويفضحه؟!!

تُمارسُ الإقصائيَّةُ علىٰ أسسٍ وخلفياتٍ متعدِّدةٍ متفرِّقةٍ أو رُبَّما مجتمعةٍ، فالذين يقومون بدور المعارضة، أقول يقومون بدور المعارضة لأنَّهُم لا يستحقُّون أن يكونوا معارضةً. تمترسوا في منغلقات فئويَّةٍ إمَّا طائفيًّا أو حزبيًّا أو عشائريًّا أو مناطقيًّا أو أيديولوجيًّا.

لقد كَشَفَ الرَّبيعُ العربيُّ عوار هٰذه المعارضة من المحيط إلىٰ الخليج. برز ذٰلكَ واضحاً في دول الربيع العربيِّ، ولٰكنَّ الدُّول التي لم تشهد الربيع حَتَّىٰ الآن لم تقل معارضها فجوراً عن معارضة دول الربيع العربيِّ فكلها تقريباً وقفت مع الطغيان والوحشية في واجهة الرَّبيع العربيِّ. وقبل الرَّبيع العربيِّ لم تكن أحسن حالاً في احتلال العراق مثلاً إذ كانت المعارضة هي جنود الاحتلال الأمريكي.

طبيعيٌّ، كلُّ ذٰلكَ طبيعيٌّ، المجتمع العربي مجتمع متخلف ولن تكون معارضته إلا نسخة منه. عندما ينزع المجتمع العربي رداء التخلف ستكون معارضته جديرة بأن تكون معارضة.

محمد حسنين هيكل لم يسقط(٥٦)

محمد حسنين هيكل لم يسقط، إِنَّهُ ساقط منذ أيَّام عبد الناصر، إِنَّهُ بطل الفبركات والتَّشويه والهوبرة منذ تلك الأيَّام.

هل ثَمَّة من يذكر ليلة هزيمة ١٩٦٧م عندما قال عبد الناصر للسَّادات لنذهب ونكمل السَّهرة، فقال له السَّادات: وماذا ستقول للشَّعب؟ فقال عبد الناصر: هيكل سيتصرف.

(٥٦) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/٩/٢٣م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

محمد حسنين هيكل منذ بداية الثَّورة السُّوريَّة وَقَفَ مع النِّظام السُّوري شأن أصنام الثقافة العربيَّة، وكان له النَّاصح الأمين. وقد مرَّ معنا الكثير من الموقف والتَّصريحات التي أطلقها منذ بداية الثَّورة، ولٰكنَّ وثيقةً مسرَّبةً ظهرت اليوم نشرها موقع الدُّرر الشَّاميَّة وموقع الخليج أون لاين، كشفت عن معلومات لقاءٍ جمع هيكل مع مندوب محطَّة المخابرات السُّوريَّة في بيته بالعاصمة المصريَّة القاهرة. في هٰذا اللقاء ألحَّ هيكل كثيرًا علىٰ ضرورة بذل كلِّ الجهود من أجل إخراج سوريا مما وصفه بالمؤامرة الدوليَّة (كذبة أولى)، وقال للمندوب الاستخباراتي إنَّهُ من دون إثبات الإرهاب علىٰ الجماعات المسلَّحة فإنَّ سوريا ستكون هدفًا لما وصفه بالغزو العسكري الغربي (كذبتان معاً).

وإلىٰ جانب النَّصائح السَّابقة وهي واضحةٌ، أضاف شارحاً بالأمثلة ما يجب علىٰ المخابرات السُّورية فعله، فقال: علىٰ المخابرات السُّوريَّة الاستفادة من تجارب عديدة من بينها الجزائر في مواجهة الإسلاميين، والتي نجحت، بحسب هيكل، في تحويل ما يجري من ثورة شعبية إلىٰ إرهاب يحاربه كلُّ العالم.

وهٰذا اعتراف صريح بالثَّورة والكذب في نعتها بما ليس فيها وتشويهها. وتابع هيكل مؤكِّداً هٰذه الحقيقة: بناء هيكليَّة التَّشويه والفبركة بوجوب العمل علىٰ المستوى السِّياسي والإعلامي والعسكري لإقناع المجتمع الدولي أنَّهُ لا توجد ثورةٌ شعبيَّةٌ بل جماعات إرهابيَّةٌ ومرتزقةٌ من السُّعوديَّة وقطر وتونس، ومواجهتهم تندرج ضمن مكافحة الإرهاب الدولي الذي تدَّعي أمريكا مواجهته، بحسب ما جاء في محتوى الوثيقة.

فهل من المستغرب أنَّ هيكل هو عرَّاب الانقلاب العسكريِّ السيسي علىٰ أوَّل نظامٍ منتخبٍ ديمقراطيًّا في مصر؟

لا رأي لمن لا يطاع[٥٧]

منذ أوائل الثَّمانينيَّات وإلىٰ الآن كتبت عشرات المرات عن سلبيَّة المبدعين العرب، عن صناعة الأنظمة لهياكل مبدعين، يمارسون دور المبدع؛ المعارض والموالي... وعندما يجدُّ الجدَّ يظهرون علىٰ حقيقتهم؛ فقاعاتٍ، رجال أمن... ويغدو من السَّهل علينا إدراك سبب ما نظنُّه مواقف سلبيَّة للمبدعين العرب تجاه القضايا الجوهرية والحاسمة في حياة الأمة... سبب تخاذلهم وعدم قيامهم بأيِّ فعلٍ أو سلوكٍ ريادييٍّ يرقىٰ إلىٰ مستوىٰ الحدث ومستوىٰ مكانتهم التي تراكمت لهم علىٰ مدار عشرات السنين...

هي إذن، في حقيقة الأمر، ليست مواقف سلبيَّة، هي مواقفهم الحقيقية؛ مواقف معظم من يبدون في واجهة المشهد الثقافي والإبداعي. قليلٌ ممن هم في واجهة المشهد مبدعون أصلاء بإبداعهم وموافقهم. وأكثر الأصلاء أمثالهم مغيبون عن واجهة المشهد، مهمشون...

حقيقة أن المبدعين هم مثلٌ عليا وقدوة في مجتمعاتهم وعند البشر عامة، هي حقيقةٌ تاريخيَّةٌ قديمةٌ وليست جديدةً، وقد أدركت الأنظمة العربيَّة لهذه الحقيقة لذلك عملت منذ الاستقلال عن الاستعمار علىٰ حرق المثل العليا وتحطيمها وإفقادها القدرة علىٰ تمثيل المجتمع، وإفقاد المجتمع الثقة فيها. ولذلك سارت الجموع خلف الأقوىٰ، خلف من يخيف، خلف من يقدم الرغيف، ولو أدَّىٰ إلىٰ هلاكهم، ولم تستمع للمبدعين، ولا للمثقفين...

(٥٧) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/٥/١٦م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

تحدثنا كثيراً عن سلبية المثقف والمبدع

ولٰكن من الغباء والحمق القول إنَّ المثقَّفين والمبدعين كلهم كذٰلكَ. لقد وجدنا كثيراً من المبدعين الذين غامروا وضحوا ووقفوا في الصفوف الأولى مع شعوبهم في سوريا ومصر واليمن والعراق... وكثير منهم قامات سامقة ورائدة في القراءة والتحليل والإبداع...

إنَّ سلبيَّة قامات كبيرةٍ في مواقفها وسلوكها أمرٌ استدعىٰ النَّظر في الأسباب وقد وجدنا من حفر في الأساسات وكشف عن الأسباب.

ولٰكن مهما كانت الأسباب فإنَّ ثَمَّة قضايا كبرىٰ لا تسمح بقبول التسويغات أبداً. التسويغات تكون في القضايا والأحداث الصغيرة والعادية والعابرة... أمَّا في القضايا الحاسمة والمصيرية فلا توجد منطقة وسطىٰ، ولا يوجد حياد... أما الوقوف في وجه تيار الحق الجارف، أقول تيار الحق الجارف وليس التيار الجارف، فهو موقفٌ مسؤولٌ لا يمكن أن يتم تمريره بسهولة.

علىٰ أيِّ حالٍ، الواقع والسياق يقتضي تأكيد حقيقة أنَّ المبدع والمثَّقف لم يكن سلبيًّا بالمعنىٰ الذي يتم التَّرويج له. لم يكن عدميًّا. هناك مواقف كبرىٰ من كبار وعددهم غير قليل.

لماذا لم تظهر هٰذه المواقف؟

لماذا لم تفعل هٰذه المواقف؟

إنَّ عجز المبدعين عن القيام بدورهم في كلِّ ما تحمله كلمة دورهم من دلالات وأبعاد ومعان... لا يرتد فقط إلىٰ المبدع، فما أظن إلا أنَّ المبدع أي مبدع لا يترك وسيلة إيصال الرسالة... ولٰكنَّ صندوق البريد مفقودٌ، لا يريد أن ينفتح، لا

يتلقى الرسائل... استخدموا من التعابير ما شئتم لوصف حالة الطَّلاق بَيْنَ المبدع والنَّاس.

ولٰكنَّ كلَّ هٰذه الأوصاف لا تكفي لإيصال حقيقة أنَّ الجمهور، الناس، الشعب... عاجزين عن التَّفاعل أي تفاعل مع النشاط الإبداعي الخاص بالمرحلة... عاجزين عن الإصغاء والتلبية... عاجزين عن تجاوز الوجع الراهن، اللحظة الراهنة والنظر إلىٰ الأمام أبعد من أنوفهم. هم يحكمون بما يرون لا بما يعقلون، يحكمون بما يفرض عليهم لا بما يجب أن يفكروا فيه، ينقادون لمن يضحك له أو عليهم ويهربون ممن يسلط أعينهم علىٰ الحقيقة فكيف بمن يعنفهم علىٰ أخطائهم أو تقصيرهم؟!

المبدع ليس ساحراً يسلب الناس عقولها. المبدع قائد متميز وليس قائداً عادياً، ولٰكن إن لم تكن أمامه أرضيَّةٌ مناسبةٌ فإنَّهُ لا يستطيع أن يفعل شيئاً. ومن يفوق علي بن أبي طالب علماً وحكمة في زمنه، وقد قال فيه عليه الصَّلاة والسَّلام: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». وكان من الرجولة والفروسيَّة من كان. ومع ذٰلكَ لم يستطع أن يفعل شيئاً مع شعب لا يستجيب، حَتَّىٰ قال: ولٰكن لا رأي لمن لا يطاع.

خاتمة

ننطلق في الخاتمة من هيكل. المشكلة ليست في الموقف علىٰ ما علىٰ بعض المواقف من سؤال ومسؤوليَّة. المشكلة في وعي الكذب وممارسة بإرادة وتصميم وتخطيط. هنا المصيبة. كتبتُ منذ أيام الثورة الأولى: من الممكن أن نبرر لك أن لا تقول الحق لأي سبب شئت، ولٰكن من غير الممكن أن نبرر لك أن تدافع عن الباطل.

يمكن القول تجاوزاً: من حق هيكل والتيزيني واللحام وغيرهم أن يقفوا مع النِّظام، هٰذه حريتهم وهم مسؤولون عنها. ولٰكنَّ ما لا يمكن قبوله هو أن يمارسوا الفبركة والكذب والتزوير عن وعي. هٰذا ما لا يمكن قبوله بحالٍ من الأحوال.

هٰذه مشكلتنا مع المثقفين العرب والمعارضين العرب كليهما. كلاهما يمارس هٰذه الازدواجيَّة بل الفصاميَّة إذا أحسنا الظنَّ. إذا أحسنا الظن في المثقف العربي والمعارض العربي فغننا نقول إنَّهُ يعاني من حالة انفصام شخصيَّة. ولٰكنَّ يبدو أنَّهُ ليس كذٰلكَ، يبدو أنَّهُ صناعة مخابراتية لتسويق الأنظمة، وعند الحاجة تعود إلىٰ عملها الحقيقي؛ مخبرين مهمتهم قمع الشَّعب.

الفصل الثامن

شعب يعيد إنتاج عبوديته

مقدمة
نـداء إلى الشعب العربـي
طريقة عرب اليوم الجهادية
لحرية الرأي والموقف حدود
هل سيظل العرب عبيد العبيد
شعب يعيد إنـتاج عبوديته
هل العقل العربـي مشلول إلى هذا الحد
المشكلة في الشعوب
الأقليات الخنـجرية
الشعب العربـي هو المشلول
خاتمة

مشـــكلة الأمـــة أنَّهـــا مشـــلولة الأطـراف كلهـا، تحـدثنا عـن الأنظمـة والسـلاطين والمثقفـين والمعارضـين وظللنـا نحسـن الظَّـن بالشَّـعب وهـا هـو الشَّـعب يعيد إنتاج عبوديته.

نـداء إلى الشعب العربي(٥٨)

إذا كـانوا الثَّـائرون السُّـوريون لا يقبلـون أيَّ تـدخُّلٍ خـارجيٍّ غـربيٍّ أو شـرقيٍّ فـإنَّهُم بالضَّـرورة لا ينتظـرون شـيئاً مـن الخـارج حَتَّىٰ لا تتلـوث ثـورتهم. ولٰكـنَّهُم في الوقت ذاته لا ينتظرون شيئاً من الأنظمة العربيَّة لأنَّهُم يؤمنون أنَّهَا فاسدةٌ خائنةٌ لشعوبها وسيأتيها الدَّور قريباً، وقريباً جدًّا.

ولـذٰلك نحـن سـألنا: أيـن الشَّـعب العـربيُّ مـن الثَّـورة السُّـورية؟ ولم نسـأل أيـن العرب حَتَّىٰ نغلق باب التَّأويل. ولٰكن لماذا هٰذا السُّؤال أصلاً؟

من شديد الأسف أنَّنا صرنا مضطرين للتساؤل: لماذا يجب أن يقف الأخ إلىٰ جانب أخيه في المحن؟

هـل نحتـاج فعـلاً إلىٰ أسـبابٍ أو سـببٍ لوقـوف الشَّـعب العـربيِّ إلىٰ جانـب بعضه بعضاً؟

هل نحتاج فعلاً إلىٰ ما يسوِّغ مؤازرة أشقائنا لنا؟

إذا كان الأمر كذٰلكَ فإنَّهَا مصيبةٌ فعلاً. وأيُّ مصيبةٍ.

(٥٨) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١١/٦/١٥م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

ليتذكر أشقاؤنا في المغرب أَنَّهُ عندما تآمرت عليهم البرازيل في كأس العالم ناموا هانئين بعد المباراة، ولٰكنَّ الشَّعب انتفض غضباً وظلَّ الليل معتصماً ومنددا أمام السَّفارة البرازيليَّة بدمشق.

هٰذا مثالٌ بسيطٌ ولا أريد أن أعدِّد الأمثلة الكثيرة. يجب أن يتذكر أشقاؤنا العرب في كل الأقطار العربيَّة أنَّ السُّوريين دائماً كانوا إلىٰ جانبهم، لقد خرج السوريون في مظاهراتٍ كثيرةٍ تأييداً للثَّورة التُّونسيَّة، وكذٰلكَ فعلوا مع الثَّورة المصريَّة...

نحن لا نرجو الشَّعب العربيَّ أن يقف إلىٰ جانب أشقائه في سوريا، نحن نطلب منهم ذٰلكَ. ونقول عليهم أن يخرجوا في مظاهرات كبرى في كلِّ الدُّول العربيَّة نصرة للشَّعب السُّوري الذي يتعرَّض لمحرقةٍ حقيقيَّةٍ، لأنَّهُم إذ يفعلوا ذٰلكَ فإنَّهُم ينصرون أنفسهم.

طريقة عرب اليوم الجهادية[٥٩]

يعتب علينا بعضهم من إظهار لوعتنا وفجيعتنا، ويستنكرون علينا عتبنا عليهم. لا أريد هنا خوض غمار كثير من التَّفاصيل التي تُبكي الحجر مثل البشر. لقد يئسنا من أن يصدِّق أهلنا مأساتنا التي يفقأ وضوحها عين أيِّ منكرٍ أو جاحدٍ.

الحقيقة المرَّة التي تحدَّثنا فيها كثيراً، وشكونا منها مراراً أنَّ العالم العربي، ولا يعنينا الغربيون، لم يكتفوا بعدم إمداد الثَّورة السُّوريَّة بما تحتاج إليه بل حاصروا الثَّورة من كلِّ الجهات ومنعوا عنها أيَّ دعمٍ تحتاج إليه، قدَّموا أشياء غير كثيرةٍ يمكن أن تستغني عنها الثَّورة، مثل الغذاء والدَّواء، ولٰكنَّهَا أقل بمليون مرَّة من

(٥٩) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٢/١١/٢٥م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

حاجة الجرحى، والدَّليل علىٰ ذَلكَ هو مئات نداءات الاستغاثة اليوميَّة من مختلف المناطق من أجل إيصال الأدويَّة والمعدات الطبيَّة....

لا أريد أن أطيل في ذَلكَ فمن لم يصدق كلَّ هٰذه الحقائق التي تعرضها الفضائيَّات، وهي أقلُّ من الواقع بألف ألف مرَّةٍ، فإنَّهُ لن يصدق من كثرة الكلام.

ولٰكن ثَمَّة حقيقة علىٰ الأرض يعيشها العرب اليوم ويتسامرون بها. هي الحقيقة التي تفلق رؤوسنا رأسنا افتخاراً بأنَّ العرب لم يجدوا طريقةً لدعم الثَّورة السُّورية إلا بإعلان أنَّ الزواج بالسُّوريَّات المهجَّرات الثَّكالي هو الجهاد...

تكبيررررررررررر

الله أكبر عليكم....

الجهاد عند العرب هو الاستمتاع بالسُّوريات لأنَّهنَّ لم يعد لهنَّ رجالٌ في سوريا...

هٰذا هو تصورهم عن حاجة السُّوريين اليوم. هٰذه هي حاجة المرأة السُّورية التي فقدت ابنها وأخاها وزوجها!!!

تخيلوا فرحة الشَّباب السُّوري الثَّائر بما ينتظر بناتهم وأخواتهم وأمهاتهم من أهلهم العرب، تصوَّروا فرحتهم بهٰذه النَّجدة وهٰذا الغوث.

أخبركم أنَّهُم يطيرون فرحاً وفرحة الأرض لا تسعهم من هٰذه الشَّهامة العربيَّة في نجدتهم وغوثهم ومساعدتهم في أفظع حرب أبشع عبر التَّاريخ.

الشَّعب العربيُّ الهادر من المحيط إلىٰ الخليج يتخذ من مأساتنا التي لا نظير لها في التاريخ موضوغ تسلية ولهو، واستغلال وابتزاز لظروف السوريين المهجرين المشردين الذي تركوا كلَّ شيء عزيز لينجوا بحياتهم

ويجدوا الأشقاء العرب في انتظارهم لابتزازهم واستغلالهم بأبشع الطُّرق وأقذرها. ولا أتحدث عن مدى الاستغلال الذي يعانيه السُّوريون المهجرون في الدُّول العربيَّة من دون استثناء من الجزائر والمغرب إلىٰ جزيرة العرب وضمنا دول الجوار.

أرجو أن لا يوجد من يعترض بقوله أنا لست كذٰلكَ فهو شخص ومعه أشخاص قليلون ولٰكنَّ هٰذا هو مزاج الشَّعب العربيِّ وهٰذه طريقته في الجهاد ونصرة السُّوريين المفجوعين المكلومين الثَّكالى.... ولا تستغربوا فليست أوَّل مرَّةٍ، ألم يكن مثل ذٰلكَ ما حدث مع العراقيين والعراقيَّات... ألم يصل الأمر بابتزاز الماجدات العراقيَّات إلىٰ حدٍّ يؤلمني ذكره وتذكُّره.

ومع ذٰلكَ يعتبون علينا عندما نحقرهم ونسفههم، ومعهم الحقُّ في ذٰلكَ، كيف يجوز أن نحقر جهادهم ونضالهم الأكبر، نضالهم وجهادهم الأعظم من أن يحتمله البشر؟؟؟ إنَّهُم يضحُّون ويتنازلون عندما يتزوجون السُّوريات خدمةً للثَّورة ومؤازرةً لها.

أعتذر فقط ممن يستحقُّ الاعتذار من أشراف العرب ونبلائهم فإنَّهُم أعزُّ وأكبر من أن يومىٰ إليهم بشيءٍ من هٰذا الكلام... وهم علىٰ أيِّ حالٍ قلَّةٌ قليلةٌ، وقلَّةٌ مثلهم عاجزون عن دعم الثَّورة أو مؤازرتها بأيِّ طريقةٍ ولٰكنَّهُم نبلاء أشراف لا يقبلون أيَّ إسفاف في الحديث عن الثَّورة السُّورية ولا عن السُّوريين الأحرار. ولٰكنَّ مئات ملايين العرب هم ما بَيْنَ نائمين بَيْنَ أحضان المسلسلات وكرة القدم وما بَيْنَ متسافهين في جهادهم علىٰ الطَّريقة سالفة الذِّكر. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

أقول من قلب مجروح، وعمق الجروح غير محدود: اللهم قدِّرنا نحن السُّوريين علىٰ ردِّ الجميل.

لحرية الرأي والموقف حدود[٦٠]

لم تختلف القيم في الرَّبيع العربي عما سبقه، ولٰكن رُبَّما مع الرَّبيع العربيِّ ظهرت المفارقات بوضحٍ أكبر.

ومما برز بوضحٍ كبيرٍ في الرَّبيع العربيِّ الدَّعوة إلىٰ احترام رأي الآخر. ولٰهذه وحدها في ثقافتنا العربيَّة مشكلةٌ عويصةٌ. لا بُدَّ من القول فيها كلمةٌ عابرةٌ على طريق وصولنا إلىٰ ما نريد قوله. وهي أنَّ العالم العربيَّ دون غيره من عوالم البشر شهد ظاهرة مضحكة هي:

أنَّ أكثر دعاة احترام الرأي الآخر هم أكثرهم احتقاراً للرأي الآخر وأشدهم رفضاً له...

وأكثر دعاة الديمقراطيَّة هم أبعدهم عن ممارستها وأشدهم رفضاً للتسليم بنتائج الدِّيمقراطيَّة إلا إذا هم الذين نجحوا.

وأشد دعاة الموضوعيَّة والفهم الصَّحيح للآخر هم أبعد النَّاس عن الموضوعيَّة وأبعدهم عن فهم الآخر علىٰ حقيقته... وأكثرهم تلبيساً له ما لا يلبس، وتقويلاً له ما لا يقول...

وكان أشدُّ المتفصحنين في القوميَّة هم أعداء القوميَّة، فالقوميون هم الذين كانوا يدعمون الحركات الانفصاليَّة والقوميون هم الذين يعرقلون الجهود الوحدويَّة...

والسِّلسلة في ذٰلكَ طويلة...

---

(٦٠) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٣/١٢/٢٣م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

ولٰكن في تلك السِّلسلة ظهرت تعبيراتٌ ترىٰ في العلاقة مع الكيان الصهيوني حريةً واختياراً ورأياً خاصًّا، وهٰذا من عجائب المنطق الأعوج لأنَّهُ المنطق الأعوج لا يقبل بذٰلكَ.

هنا نقول ما قاله المنطق، وكرَّره الكثيرون: الخيانة ليست وجهة نظر. نعم الخيانة ليست وجهة نظر ولا حريَّةً فرديةً ولا جمعيةً... الخيانة خيانة ولا يجوز تمريرها تحت أيِّ بندٍ أو تخريجةٍ.

في الرَّبيع العربي عادت النَّغمة ذاتها إلىٰ الظهور في السِّياق الجديد. عاد الفريق القديم المذكور نفسه إلىٰ إنشاء مقولاتٍ جديدةٍ في الظَّاهر، قديمةٍ في المضمون، تدور في فلك فكرةٍ واحدةٍ أساسيَّةٍ هي حريَّة الرَّأي والتَّعبير.

حريَّة الرَّأي والتَّعبير لا اعتراض عليها، ولٰكن عندما تكون وقفة ضدَّ الحقَّ فليست حريَّة رأي ولا حريَّة تعبيرٍ، إنَّها عدوان علىٰ الحقِّ يجب القصاص منه.

إنَّ من يقف مع القاتل تحت عنوان حرية الرأي والموقف والتعبير هو قاتل مثل القاتل تماماً. من الممكن اختلاف الرأي في الوصف بَيْنَ أن تقول إنَّهُ شريكٌ في القتل أو قاتل. ولٰكن من غير الممكن قبول أنَّ الوقوف مع القاتل المجرم ينطوي تحت باب حرية الرأي والتعبير.

حرية الوقوف مع السلطان أو ضده تكون في الانتخابات، في السِّياسة التي يمارسها، في القرارات التي يتَّخذها... ولٰكن عندما يقتل الحاكم شعبه فلا مجال لقبول حرية الوقوف مع الحاكم، ولا مجال للاعتراف بهٰذا الحق. هٰذا ليس موقفاً ولا حرية إنَّهُ اشتراكٌ في القتل ودعمٌ للقتل، وتأييدٌ للقتل... اختر ما شئت من ذٰلكَ.

إنَّ الذين وقفوا مع القذافي، مع حسني مبارك، مع علي بُدَّ الله صالح، مع بشار الأسد، مع السيسي، مع المالكي، مع حسن نصر الله... لا يجوز بحالٍ من الأحوال القول إنَّهُم يعبِّرون عن مواقفهم ولهم الحرية في ذَلكَ، أيُّ حرِّيَّةٍ لهذه التي عليَّ أن أقبلها وهي تعني محاربة الشَّعب وقتله؟!

ومن ذَلكَ نقول إنَّ موقف **فيروز وزياد الرحباني** مع القتلة ليس حريَّة، هو شراكة في القتل، تأييد للقتل... إذا كانت تجهل، هي أو الواقفين مع القتلة، ما يحدث فهذا ذنبهم وليس ذنب الأبرياء الذين يقتلهم السَّلاطين.

لفيروز وأيِّ مثقَّفٍ أو غير مثقَّفٍ أن يقف الموقف الذي شاء متى شاء وأينما شاء... ولٰكن كيف يمكن قبول أن تأييد القاتل ودعمه يندرج تحت باب حرية الرَّأي والموقف والتَّعبير؟؟!!

إنَّها معادلةٌ لا يمكن أن تتسق بحالٍ من الأحوال.

هل سيظل العرب عبيد العبيد[٦١]

الربيع العربي باي باي...

فهل سيظلُّ العرب عبيد العبيد؟

لا أريد الإطالة في التَّفاصيل

إنَّ الحقائق مدركةٌ من المتابعين

إنَّ تعاطف الغرب مع الربيع العربي كان في أوَّله غلطةٌ وفي أوسطه تردُّدٌ وفي آخره ندمٌ ظهر جليًّا في السَّنة الثَّانية من الثَّورة السُّوريَّة.

(٦١) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/١/٢٢م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

الأمرُ منطقيٌّ في سياق العلاقات التَّاريخيَّة بَيْنَ الغرب والشَّرق، ولا يمكن تخيل غير ذَلكَ.

ولٰكنَّ الذي يترافق مع ذَلكَ أنَّ الرَّبيع العربيَّ كان الشَّوكة التي نكشت عشر دبابير الأنظمة العربيَّة وتآلفت سرًّا علىٰ إجهاض هٰذا الرَّبيع مهما كلَّف ذَلكَ من ثمن. قد يظنُّ ظانٌّ أنَّ ذَلكَ ظَهَرَ في الثَّورة السُّوريَّة. الحقيقة ليست كذَلكَ أبداً. الأنظمة العربيَّة كلها تعاطفت مع الأنظمة التي ثارت عليها شعوبها. بدءاً من مصر علىٰ الأقل، فقد شهدت الولايات المتحدة ضغوطاً هائلة من أجل إجهاض الثَّورة المصريَّة والضَّغط علىٰ الولايات المتحدة لمؤازرة حسني مبارك. ولٰكنَّ حسني مبارك ورُبَّما المخابرات الأمريكيَّة لها بصمتها القويَّة في ذَلكَ، كانوا أشدَّ دهاءً عندما رتَّبوا أمور انتقال السُّلطة وإبقاء نظام الحكم بيد النِّظام مهما كانت نتائج الانتخابات المصرية، ولذَلك لم تصمد الدِّيمقراطيَّة أكثر من شهرٍ واحدٍ في مصر. وعاد الفلول، عاد نظام مبارك بأشدِّ مما كان من استبداد وتغييب للرأي الآخر... وكانت النَّتيجة: لا قيمة للثورة. بل لقد تَمَّ تشويه الثَّورة المصريَّة أصلاً، فهي في الإعلام المصري اليوم غلطة علىٰ الشَّعب المصري أن يندم عليها.

قبل ذَلكَ برز بوضوحٍ لمن يتابع كيف أجهضت الثَّورة اليمنيَّة وتَمَّ نقل السُّلطة نقلاً آليًّا ومكافأة الطَّاغية علي عبد الله صالح وتكريمه تكريم نهاية الخدمة... يجب أن لا يظهر ما كان علىٰ أنَّهُ انتصار للثورة.

والأكثر وضوحاً من ذَلكَ كلِّه هو محاربة الجميع للثَّورة السُّورية. قال بشار الأسد يجب أن تكون نهاية ما سمِّي بالربيع العربي. وقد سار

خلفه كلُّ الحكَّام العرب ودعموه سرًّا وحاربوا الثَّورة محاربةً خسيسةً؛ يظهرون على أنَّهُم مع الشَّعب السُّوري ومع الثَّورة السُّوريَّة في حين أنَّهُم قادوا الثَّورة من خطوةٍ إلىٰ خطوةٍ حَتَّىٰ أوصلوها إلىٰ الحلِّ الانتقالي علىٰ الطَّريقة اليمينة. هٰذا إذا نَجَحَ الحلُّ الانتقالي الذي يقوده المجتمع الدولي برمته. المجتمع الدُّولي كلُّه لا يريد للثَّورة أن تنتصر، ويضحي بالشَّعب السُّوري ولو كلِّه من أجل تربية الشُّعوب العربيَّة ومنعها من التَّفكير في الثَّورة. وفي النِّهاية سيقودون هٰذا الشَّعب إلىٰ الاستسلام للقدر... للقدر الذي خططوا له بدهاءٍ شديدٍ.

يريدون القول لجميع الشُّعوب العربيَّة:

وماذا بعد؟

ها قد عاد الشَّعب إلىٰ حضن النِّظام بعد كلِّ هٰذه الدِّماء!!

هل تريدون النَّتيجة ذاتها؟!

الربيع العربي في طريقه إلىٰ أن يوءد بكلِّ جبروت.

الجميع الآن في طريقه إلىٰ وأد الثَّورة السُّوريَّة، ولا أحد يجهل تخاذل الجميع عن نصرة الشَّعب السُّوري الذي أريد له أن يكون أضحية وأد الربيع العربي.

وفي مصر يسير الانقلاب بكلِّ ثقةٍ بعدما انقلب علىٰ الثَّورة وطحنها تحت عنوان محاربة الأخوان أو التَّطرُّف. والدُّول العربيَّة بل الأنظمة العربيَّة تضخُّ للانقلاب المليارات كي يصمد، ويقتنع العرب جميعاً بأنَّهُ لا داعي لسفك الدماء، فالأنظمة القائمة لا تزول لا تزول لا تزول...

كتبت عند الانقلاب السيسي، أحدِّد للفترة الزمنيَّة لا أكثر: إنَّ الفرصة المتاحة الآن أمام العرب كبيرةٌ وقويَّة وغنيَّة، إمَّا أن يستغلوها أو أن يصبحوا عبيداً عشرات السِّنين القادمة... العشرات علىٰ الأقل.

إنَّ وُئِدَ الرَّبيع العربيُّ فلن تقوم للعرب قائمةٌ.

والمشكلة الأعظم في ذَلكَ ليست في عبودية الشُّعوب لأنظمتها وحسب، بل في عبودية الأنظمة لأعداء الأمَّة. أي إنَّ العرب سيظلُّون عبيد العبيد.

فهل سيظل العرب عبيد العبيد؟؟؟؟

الحقيقة أنَّ مأساتنا تكمن في ضياع البوصلة(٦٢).

منذ ما سمي الاستقلال عن الدولة العثمانية والدخول تحت نير الاستعمار الأوروبي ضاعت البوصلة وصرنا كالغراب الذي راح يرى نفسه ببغاءً تارةً وتارةً طاووساً وأُخْرَىٰ حماماً حَتَّىٰ لم يعد يستطيع العودة إلىٰ أصله.

إنَّ ضياع البوصلة ليس مسألة سهلةً أبداً كما قد يظن من يحب الظَّن. إنَّ قصَّة الغراب عبرة خطيرةٌ وليست مثلاً سائراً وحسب. فإيجاد البوصلة لا يعني سهولة العودة إلىٰ الأصل. ضياع البوصلة ضياع للمقاييس والمعايير، أي ضياع كلِّ شيءٍ. ألم ترى غير مرَّةٍ صوصاً مرتمياً في حضن هرَّةٍ، وغزالاً مرتمياً في حضن سبع لا يدري أن في ذَلكَ الهلاك؟

إنَّ مأساة أمتنا منذ مطالع القرن العشرين إلىٰ اليوم هي ضياع البوصلة، وضياع الهوية ليس إلا جزءاً يسيراً من ضياع البوصلة؛ آمنا بالقوميَّة وحاربنا

(٦٢) . الكلام الآتي إلىٰ آخر هٰذا الجزء بعض من مقال آخر سابق.

القوميَّة، آمنا بالإسلام وجاربنا الإسلام، آمنا بالعلمانيَّة وحاربنا العلمانيَّة... دخلنا كلَّ المداخل وحاربنا أنفسنا في كلِّ شيءٍ... تناقضات عجيبة أفرزها ضياع البوصلة، صرنا بصراحة كما يقولون في الشَّام: مثل كلاب مدينة الهامة لا لحقت عرس قدسيا ولا عزاء دمر!!!

من تضيع بوصلته يصير مثل الكلب الذي يركض وراء اثنين كل منهما يسير في اتجاه مخالف للآخر. فلا يمسك لهذا ولا يمسك ذاك.

قرن كامل ونحن نلهث وراء كل الاتجاهات معاً وندخلها في صراع مع بعضها معاً، ونعتب على المؤامرة الغربيَّة ضدَّ الأمَّة، في حين أنَّ نصف هزيمتنا من نفوسنا. الغرب يسعى لتحقيق مصالحه فإلى ماذا كنا نسعى؟

شعب يعيد إنتاج عبوديته(٦٣)

طالما أنَّ الشَّعب لم يزل هو فلا جديد

وقع الانفصال بَيْنَ سوريا ومصر

وبعد الانفصال خطب عبد النَّاصر قائلاً:

. أرسلت الأسطول الحربيَّ إلى سوريا ليعيد الوحدة...

فقوطع كلامه بالتَّصفيق الحاد لمدة طويلة!!!

فاضطر إلى قطعه و تكملة كلامه:

ـ إلا أنَّني أعدت الأسطول من منتصف الطريق لأنَّ العربي لا يقتل أخاه العربي...

(٦٣) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/٢/١٣م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

فانطلق التَّصفيق بالحماس والحدَّة ذاتها!!

ما هٰذا الشَّعب الذي في دقيقةٍ واحدةٍ يعلن تأييده الحادَّ والحاسم للأمر ونقيضه في الوقت ذاته لمحض أنَّهُ صدر عن الزَّعيم القائد...

القصَّة ليست وحيدةً وليست مع عبد النَّاصر وحده، فبعد حرب تشرين/أكتوبر ١٩٧٣م وقف السَّادات علىٰ منبر مجلس الشَّعب وافتخر بانتصار حرب تشرين، فصفَّق المجلس له بحدَّةٍ وحماسٍ...

وتابع فقال: وسأذهب إلىٰ إسرائيل لتوقيع اتفاقيَّة سلام...

فصفق المجلس له بحدَّةٍ وحماس أكثر من السَّابق!!!

من يصدِّق هٰذا التناقض؟

صحيحٌ أنَّ للطُّغاة سطوةٌ، ولٰكن ليس إلىٰ هٰذا الحدِّ. إنَّ أحداً من الطُّغاة لم يحظ بمثل هٰذا الشَّعب من قبل ولا أظنُّ من بعد.

قالوا: شعوب لا تجيد إلا التَّصفيق!!

ولٰكنَّ حَتَّىٰ هٰذا التَّعبير أقلُّ قدرةً علىٰ وصف هٰذه الشُّعوب.

الحقيقة الأكيدة هي أنَّ شعباً بهٰذا الطَّبع شعبٌ ممسوح البصمات، لا بصمة له إطلاقاً لا نفسيَّة ولا ماديَّة... حَتَّىٰ الآلة الميكانيكيَّة لا يمكنها تقبل أمرين متناقضين، وإذا فُرِضَ عليها ذٰلكَ انفرط محرِّكُها وصار بحاجةٍ لإعادة تركيب من جديد، لأنَّهُ لا يستقيم معها أبداً أن تقوم بفعلين متناقضين.

الحقيقة الأكيدة هي أنَّ شعباً بهٰذا الطَّبع لا يمكن أبداً أن ينتج حضارةً ولا دولةً ولا ثورةً... لا يمكن أن ينتج أكثر من إعادة إنتاج عبوديته كلَّما اهترأت أو تعرضت للشَّمس أو لامستها أنسام الحريَّة أو حَتَّىٰ سمعت من بعيد أنغام الحريَّة...

ولـذلك لا تستغربوا أنَّ الربيـع العـربيَّ هـراءٌ، فـورة نفـرٍ حـرٍّ لم يسـتطع الآخـرون الصَّـبر علـىٰ روائـح الحريـة فـانقلبوا عليهـا. الرَّبيـع العـربيُّ لم يُسـرق مـن قِبَـلِ أحـدٍ، الرَّبيـع العـربيُّ لم يجهـض مـن قبـل أحـدٍ، الرَّبيـع العـربيُّ لم تتـآمر عليـه أمريكـا ولا إسـرائيل... وإنَّمَـا الشَّـعب العـربيُّ الـذي لا يجيـد إلا قبـول إمـلاءات الطُّغـاة مهمـا تناقضـت هـو الـذي لم يسـتطع أن يعـيش الحريـة والكرامـة... ولهٰـذا لم يتعـاطف أحـدٌ مـع السُّـوريين مـثلاً، بـل اتَّهمـوا السُّـوريين بتخريـب بلـدهم، وعـاملوهم بـازدراء لأنَّهُـم ثـاروا علـىٰ نظـام (المقاومـة والممانعـة)... وأنـا لا أتكلـم أبـداً عـن الأنظمـة... أتكلـم عـن الشُّعوب العربيَّة.

هٰذا ليس وهماً، ولا اتِّهاماً باطلاً وليس جلداً للذَّات.

منذ أكثر من ثلث قرن والكثير من العقول المسطحة تتهمنا بجلد الذَّات كلَّما انتقدنا عقليَّة أمَّتنا المتخلِّفة وخيانتها لذاتها.

ترى هل انتقادنا لأمتنا هو جلد للذات؟

منذ أكثر من عشرين سنة والأمَّة تتعرَّض لهجمة تلو هجمةٍ وتحطيمٍ تلو تحطيمٍ، وكلَّ مرَّةٍ أشد من سابقتها وأخطر، وها هي الأمة علىٰ حافة هاوية الانهيار الفظيع... ومع ذٰلكَ لم تتحرك الأمَّة إلا لترقص طرباً علىٰ أغاني الألم والقهر!!!

لا تتخيلوا أبدا أنَّ ما ينتظر الأمَّة شيءٌ سهْل أو قليلٌ...

إنَّ الأمة علىٰ حافة الانهيار التَّام... أكرر أكرر: الأمَّة علىٰ حافة الانهيار التَّام. وكلُّ البوادر لذٰلك واضحةٌ جليَّةٌ.

فمتى تتحرَّك الأمَّة؟

متى تكسر القمم وتخرج؟

إذا لم تخرجها هٰذه الزلازل الحاصلة في هٰذه الأيام فإنَّها لن تخرج أبداً أبداً ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد

هل العقل العربي مشلول إلى هذا الحد(٦٤)

كله كوم وأبو تلفيقة كوم مقابل.

بوتلفيقة مشلولٌ، إذا استطاع تحريك يمناه عجز عن تحريك يسراه، ويحتاج من يضع اللقمة في فمه، وهو منذ ست أشهر بالمشفى، والثَّورات العربيَّة علىٰ الأنظمة البائدة ما زالت مشتعلةً، والجزائر تغلي علىٰ بركان... بل قبل اندلاع الثَّورة السُّوريَّة كانوا يتوقعون أنَّ التَّالي هو الجزائر.

وتأتيك جهينة بالخبر اليقين: بوتلقيفة يريد أن يترشَّح للمرة الرابعة...

هل هٰذا الكلام معقول؟؟؟

ألهٰذه الدَّرجة تشلُّ كراسي الحكم العقول وتحرمها نعمة المنطق؟

هل العقل العربيُّ مشلولٌ إلىٰ هٰذا الحدِّ؟

عبد العزيز بوتفليقة:

عمره يقترب من التِّسعين إن لم يزد علىٰ التِّسعين...

منذ سنة علىٰ الأقل وهو رهين الإقامة في غرفة العناية المشددة في مشافي فرنسا والجزائر...

منذ نحو السَّنة وهو بَيْنَ الموت والحياة، بل لقد راج أكثر من مرَّةٍ أنَّهُ مات مات...

---

(٦٤) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/٢/٢٣م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

منذ سنة وهو مشلول شللاً نصفياً...

لا نعرف شيئاً عن حالته العقليَّة ولا النَّفسيَّة فلم نره منذ سنةٍ في أيِّ لقاء أو حديث...

منذ سنةٍ والخدم يحلمونه إلىٰ الحمام حملاً إذا أرد قضاء حاجة...

يضعون المريلة علىٰ صدره عندما يطعمونه...

ومع ذَلكَ كله يعلن الإعلام الجزائري وليس بوتفليقة أنَّ بوتفليقة يريد أن يترشح للرئاسة للمرَّة الرَّابعة... للمرَّة الرَّابعة!!!

أعلن الإعلام وليس هو، لأنَّهُ عاجزٌ ومشلولٌ ولا إمكانيَّة لظهوره وإعلانه ترشيح نفسه...

أيعقل أنَّ الاستهتار بالعقل العربيِّ وَصَلَ إلىٰ هٰذه الدَّرجة؟

أم أنَّ العقل العربيَّ هو المشلول إلىٰ الحدِّ الذي يجعل مثل هٰذه الظَّاهرة تحدث؟؟

المشكلة في الشعوب[٦٥]

كتبت منذ أكثر من شهر امتعاضاً صغيراً تعبيراً عن عمق مأساتنا في شعوبنا:

عندما كانت الأنظمة تتحكَّم بوسائل الإعلام كانت الشَّعْوب تصدِّقُ التَّضليل الإعلاميِّ بسهولة. وعندما صارت المعلومةُ الصَّحيحة متاحةً أمام الجميع بقيت الشَّعْوب تصدِّقُ التَّضليل الإعلاميَّ وتهربُ من الحقيقة.

(٦٥) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/١٠/٩م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

المشكلة في الشَّعْوب وليست في المعلومة.

بعيداً عن كون بعضهم مأجور لأجهزة المخابرات، فإن هٰذا المزاج عامٌّ وليس جديداً. هٰذا الصَّوت الاستنكاري علىٰ التَّدخل في الشُّؤون الدَّاخليَّة لا يظهر في المواسم وإنما يظهر في المناسبات، ما إن تنتقد أو تفضح استبدادية نظام أم عمالته حَتَّىٰ يتنطع كثير من الشعب للامتعاض قائلاً: لا تتدخل بشؤون بلدي، اذهب انتقد بلدك.

الطَّريف الغريب أنَّ هٰذا الاستنكار يوجَّه للعربي الذي يفضح الخلل أو الفساد في بلد عربيٍّ آخر ولا يوجَّه للصهيوني أو الأمريكي الذي يعيث فساداً وإفساداً وتشنيعاً في البلد ذاته...

الطَّريف الغريب أنَّ هٰذا الصَّوت لا يظهر ولا يرتفع إلا عندما تكون سياسة الدَّولة موغلةً في خللٍ ما.

الحقيقة أنَّ من يرفع مثل هٰذا الصَّوت مهما كان شريفاً ووطنيًّا فإنَّهُ لا يفعل أكثر من الهروب من الوقوف أمام ضميره لرؤية خيانة النِّظام في بلده... ولٰكنَّهُ علىٰ الأغلب شريكٌ للنِّظام في خيانة الوطن والأمَّة؛ شريكٌ بالفعل أو بالنِّفاق الذي يمارسه لنظام بلده الفاسد أو الخائن...

إنَّهُ لمن أتفه الأمور أن تجد من يقول لك لا تتدخل في شأن بلدي... لن نقول إنَّنا أمَّةٌ واحدةٌ، سنقول نحن أمم. فأيُّ منطقٍ أو عقلٍ أو أخلاقٍ أو سلطةٍ تمنع الكاتب أو المحلِّل أن ينظر فيما يحدث في أيِّ بلدٍ في العالم؟؟!!

فكيف ونحن أمَّةٌ واحدةٌ شاء من شاء وأبى من أبى؟!

أمن أجل حفنة من اللصوص والمارقين العابرين ومكاسب تافهة نكرس تفتيت الأمَّة؟!

الأقليات الخنجرية(٦٦)

علىٰ هامش سؤال الأقليات، قلت:

سؤال كان جزءاً من بحث كتبته منذ سنوات، أعيد طرحه فقط:

لماذا الأقليَّات في عالمنا العربيِّ خنجرٌ مسمومٌ دائماً؟

بينما الأقليات في العالم الغربي منبرٌ ونبراسٌ وقدوةٌ في العطاء والإخلاص والولاء؟

السُّؤال جارحٌ، ولٰكنَّهُ حقيقة.

علَّق علىٰ هٰذا الكلام شخص اسمه (دليل قره علي) قائلاً: لأنَّ عالمكم سَمَّمُوهم.

رددت معلقاً:

هٰذا الكلام أو الاعتراض قد يصحُّ لو اقتطعنا من عمر الزَّمان مشهد المرحلة المعاصرة التي تلت الاستقلال، هٰذا الكلام يصحُّ لو نظرنا إلىٰ ممارسات الأنظمة التي يؤكد الجميع ومنهم الأقليات أن هٰذه الأنظمة هي تاجرت بالأقليات وحاربت الأقليات... ولٰكن فيما مضى من التَّاريخ لا يمكن أن يصح ذٰلكَ بحالٍ من الأحوال. وحَتَّىٰ المرحلة التي تلت الاستقلال فإنَّ الأمر بحاجةٍ إلىٰ نظرٍ، وكل ما حدث لا يجيز لهم أن يكونوا جنجراً في صدر أو ظهر الأمَّة. فالمستبدون استبدوا بالجميع، وظلموا الجميع لا الأقليات وحدها، بل الحقيقة

(٦٦) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/١١/٢٧م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

الأكيدة هي أنَّ الأقليات معظمها كانت الأكثر حظوة علىٰ حساب الأمَّة عند الأنظمة الفاسدة لأنَّهَا الورقة الوحيدة الرَّابحة بيدها لتكذب علىٰ الدَّاخل والخارج.

الكلام في ذَلكَ في حقيقة الأمر طويلٌ، ومفجعٌ أكثر مما يتخيل الكثيرون. نحن لا نتحدث عن سوريا أبداً، نحن نتحد الدول العربيَّة كلها من دون استثناء بما فيها أصغرها أو أقصاها أو معاً. دائماً نقول لا نريد أن نفتح الجراح علىٰ أمل أن تنصلح النُّفوس، علىٰ أمل أن نكون مخطئين... ولٰكن عبثاً.

لا تحدثوني عن أفراد أنا أتحدث عن بُنية وعموم. ولا يسوؤني من لا يقتنع لأنَّ من لا يريد الاقتناع لن يقتنع. المشكلة مشكلة إرادة قبل المعلومة وقبل الدليل. تذكروا دائماً المروروذي بقوله: «والله لو خرجت من جلدك لما عرفتك».

الشعب العربي هو المشلول[٦٧]

لنكن واقعيين ولنبتعد عن التَّحليق في أوهام الأحلام وخيالات الرَّغبات. الحقيقة التي فرضت إيقاعها بما لا يقبل الشَّك هي أنَّ الشَّعب العربي هو المشلول، الشَّعب العربيُّ هو الذي يرفض الحريَّة ويرفض الدِّيمقراطيَّة، ويأبى الانتقال من تحت نير الاستبداد إلىٰ فضاء الحرية والدِّيمقراطية... وبالمحصلة: لا يستحقُّ أفضل من هٰكذا قادة.

(٦٧) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/١٢/٢٢م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي وأضيف إلىٰ الكتاب في اللحظات الأخيرة.

الأمثلة كثيرة جدًّا، ولا نلمسها نحن بل هي التي تفرض ذاتها علينا بوقاحة وخاصَّة في دول الرَّبيع العربيِّ الذي انقضى والذي هو قيد الانقضاء.

عندما يتناصف الباجي قائد السِّبسي أصوات الجولة الأولى مع المنصف المرزوقي فهٰذا يعني أنَّ العقل التُّونسي مشلولٌ، عاطلٌ عن التَّفكير الهادف إلىٰ التَّقدم إلىٰ الأمام، نادمٌ علىٰ ثورته علىٰ الاستبداد، راغبٌ في العودة إليها، بل مصر علىٰ العودة إليها.

أنا لا أقف مع المرزوقي ولا أدافع عنه ولا أقول هو الأفضل. ولٰكن أرى إلىٰ العقل التُّونسيِّ الذي صوَّت نصفه لامرئ خارج التَّغطية، عمره ٨٩ عاماً... حَتَّىٰ ولو لم يأكله الزهايمر وخرف الشَّيخوخة... سمتان فيه تجعلان المرء يشكُّ في نفسه أو يشك في الشَّعب كلَّ الشَّعب.

السِّمة الأولىٰ عمره الهرم جدًّا مع ملحقات الهرم من الزهايمر وخرف الشيخوخة وعدم القدرة علىٰ التركيز ولا الضبط ولا التحكم... وحَتَّىٰ الكلام المفيد.

والسِّمة الثانية أنَّه من أبرز رجالات نظام زين العابدين بن علي الذي ثار عليها التونسيون أنفسهم، التونسيون هم الذين ثاروا علىٰ بن علي وخلعوه وليس الزيمبابويين.

أستثني الدُّول الشُّموليَّة التي لا انتخابات فيها وأسأل: هل وجدتم في تاريخ الشُّعوب شخصاً بهٰذا العمر يرشح نفسه للرئاسة؟ وهل وجدتم شعباً يقبل أن يترشَّح لرئاسته شخص بهٰذا العمر؟

الشَّعب العربي وحده يضرب أمثله مدهشةً من هٰذا القبيل. فالشَّعب الجزائري الشَّقيق قبل أشهر قليلة ضرب مثالاً مشابهاً بقبوله برحابة صدرٍ شاملةٍ ترشُّح شخصٍ خارج التَّغطية وخارج السَّيطرة علىٰ الذات... لا يتكلم... ولٰكنَّهُ يفكر ...هكذا قال أطباؤه في فترة الانتخابات، قالوا: إنَّهُ يفكر، تفكيره سليم... ولٰكنَّهُ عاجزٌ عن الكلام.

علىٰ مضضٍ، سنعد التَّجربة الجزائريَّة تجربة تحت رماح الاستبداد. وكذٰلكَ علىٰ مضض سنقبل أن نعد انتخاب المصريين لحسني مبارك وهو بهٰذه المواصفات تقريباً، سنعد ذٰلكَ خارج السِّياق لأنَّه كان حاكماً.

ولٰكنَّ كيف يمكن أن نفهم أنَّ المصريين الذي ثاروا علىٰ مبارك أوصلوا أحمد شفيق إلىٰ التَّصفية النِّهائيَّة مع محمد مرسي علماً أنَّ أحمد شفيق هو رئيس وزراء مبارك في فترة الثَّورة، ومن أبرز رموز نظام حسني مبارك علىٰ مدار عشرات السَّنين الماضية التي حكم فيها مبارك كلها؟؟ ولا أتحدث عن تهم الفساد الموجهة له. وليس هٰذا فحسب بل لقد اقتسم الأصوات اقتساماً شبه تامٍّ مع محمد مرسي في التَّصفية النِّهائيَّة!!!

الأمر مع الشَّعب التونسي أشد إدهاشاً، الشَّعب التُّونسي وقد تحرَّر من قيود الاستبداد، ونضجت تجربته، واستطاع التَّحرر وأمضى ثلاث أعوامٍ علىٰ التَّحرر والاستقرار والبناء، وفجأة نجده بهٰذه العقليَّة إنَّهُ ما لا يمكن تصديقه.

كان يكفي أن يصل الباجي قائد السِّبسي إلىٰ المرحلة الثانيَّة ليكون الأمر مدهشاً وغير قابل للتَّصديق، ولٰكنَّ الأمر تجاوز ذٰلكَ كثيراً وكثيراً جدًّا. علىٰ الأقل في مصر فاز مرسي بفارق ضئيلٍ ضئيل، ولٰكنَّ السِّبسي فارز بفارق غير ضئيل.

فلول تونس أرادوا أن لا يقعوا خطأ فلول مصر الذين تأخروا قليلاً في إعلان فوز أحمد شفيق للتَّخريب علىٰ الفرز الحقيقي للأصوات فأعلنوا فوز الباجي قائد السِّبسي قبل فرز الأصوات لإثارة الفتنة سلفاً إذا كانت النَّتيجة عكس ذَلكَ. هكذا فيما يبدو كانت الرَّغبة لأنَّهُم استبقوا اكتمال الفرز بكثير. والحقيقة أنَّ هٰذا الإعلان ليس مصادفةً ولا تسرعاً إنَّهُ مخطَّطٌ مدروسٌ وبتمويلٍ عربيٍّ حريصٍ علىٰ انتصار الفلول.

وقد انتصر فعلاً الباجي قائد السِّبسي. بن علي عاد، بن علي عاد... هكذا صرخ الكثيرون قهراً.

إذا وقفنا هنا تكون المسرحيَّة كافيةً لإثارة الدَّهشة وإيصال الرسالة. ولٰكنَّ المصيبة تتجاوز ذَلكَ أكثر وأكثر مما يمكن تخيله. حقيقة إنَّهُ مشهدٌ يذهل العقل ويوقف شعر الرأس أن نعلم أنَّ الباجي قائد السِّبسي أحد أبرز رموز نظام زين العابدين بن علي قد حصل على ٦٨% من الأصوات في سيدي بوزيد... مهد الثَّورة التُّونسيَّة وشراراتها... المنطقة التي قام السِّبسي ذاته بنعت ساكنيها بالجوع.

يا للهول!!!

بل الهول سيبدو رحيماً أكثر أمام أن نعلم أنَّ والدة البوعزيزي صرَّحت لوسائل الإعلام بأنَّهَا انتخبت الباجي قائد السِّبسي.

شيء لا يصدق. نحن في بلاد العجائب بالتأكيد. وأشد ما أخشى أن يخرج علينا ذَلكَ الرَّجل الذي صاح: «هرمنا... هرمنا من أجل هٰذه اللحظة التاريخية». ويصرح بأنَّهُ انتخب الباجي قائد السِّبسي.

عندها لا يمكن أن تستقر لنا حال إلا بأخذ الشَّعب كله إلىٰ مصح الأمراض النفسية.

بعضهم يبرر فوز السِّبسي بالأموال الخليجية التي أنفقت له والتي قيل إنها تكفي لنجاحه في رئاسة أمريكا وليس تونس.

قد يكون ذَلكَ صحيحاً.

ولٰكنَّ الصَّحيح تماماً أيضاً وأكثر صحة هو أنَّ الشَّعب التُّونسي في تجربةٍ ديمقراطيَّةٍ خالصةٍ آثر إعادة النِّظام الذي ثار عليه... آثر انتخاب رجلٍ زهايمري هرم خارج التَّغطية.

لا تقولوا كانت المفاضله بَيْنَه وبَيْنَ المنصف المرزوقي الذي لا يريدونه. وهل وصل السِّبسي إلىٰ التَّصفية النِّهاية بأصوات الواق الواق أم يأجوج ومأجوج؟

لا أخفيكم

يحدث كلَّ يومٍ معي مرات...

أريد أن أضحك فأبكي وأريد أن أبكي فأضحك...

ما يحدث مربكٌ للعقل إلىٰ درجة أنَّهُ لا يعرف كيف يستجيب للحالة!!!

ولٰكن أحسب الآن أنَّنا نحن العرب، والمسلمين كذَلكَ، نسخة من ذَلكَ المجنون الذي حمل كيس موز وكيس سكر، يقشر الموزة ويغطسها بالسكر ويلقي بها في الزبالة!!!

سأله واحدٌ يراقبه: لماذا تفعل ذَلكَ؟!!

فقال المجنون: سبحان الله، أنا لا أحب الموز بالسكر.

نقطة لم ينته. فما إن تَمَّ إعلان النَّتائج حَتَّىٰ أعلن قادة حملة السِّبسي أنَّ السِّبسي والسِّبسيون سيصححون الجريمة الكبرى في تاريخ تونس ويعيدون الأمور إلىٰ نصابها، مثلما صحَّح السِّيسي والسِّيسيون الجريمة الكبرى في تاريخ مصر وأعادوا كلَّ الأمور إلىٰ نصابها؛ كلاهما أعاد رجال النِّظام القديم الذي قامت ضدَّه الثَّورة، كلاهما أعاد العلاقات مع النِّظام السُّوري ويعترف به ممثلاً شرعيًّا ودستوريًّا للشعب السُّوري، كلاهما دعم حفتر ليقوم الحفتريون بتصحيح المسار وإعادة الأمور إلىٰ نصابها في ليبيا...

كل ذَلكَ يا سادة بإرادة الشَّعب،

وتصميم الشَّعب،

وتنفيذ الشَّعب...

الشَّعب.

ويتحدَّثون عن مؤامرة خارجيَّة!!!

عجبي.

خاتمة

عندما كانت الأنظمة تتحكَّم بوسائل الإعلام كانت الشَّعْوب تصدِّقُ التَّضليل الإعلاميِّ بسهولة. وعندما صارت المعلومةُ الصَّحيحة متاحةً أمام الجميع بقيت الشَّعْوب تصدِّقُ التَّضليل الإعلاميَّ وتهربُ من الحقيقة.

هل فعلاً المشكلة في الشَّعْوب وليست في المعلومة؟

نحن أمام معادلة صعبة جدٍّ صعبة في حقيقة الأمر.

الشُّـعوب تحمـل الكثـير مـن العبـئ، هٰـذا صـحيحٌ. ولٰكـنَّ المقـود الأسـاس، حجـر الأسـاس في كـل المعادلـة هـو الأنظمـة الـتي تحكـم هٰـذه الشعوب.

لا يمكن إعفاء الشعوب من مسؤوليتها،

ولا رفع الوزر عنها،

ولٰكنَّ الأنظمة هي التي تحمل المسؤوليَّة الأساسيَّة والمحورية.

الفصل التاسع

التمدد الفارسي في المنطقة

مقدمة

الطاولة تنـقلب

الفرس يقاتلون العرب بـالعرب

إيران عينـها على الحرم

إيران تقول الأسد حامي إسرائيل

خاتمة

الشَّـهيَّة الفارسـيَّة للتَّمـدد في المنطقـة العربيَّـــة ليســـت جديـــدةً، ولا حديثـــة النَّشـأة، ولا هـي ناجمـةٌ عـن ضـرورة ملـئ الفـراغ في المنطقـة الـتي تبـدو فارغـة أو شـبه فارغــة... والأصــح المقبلــة علــىٰ الفــراغ في المستقبل القريب القادم.

هناك رغبةٌ وشهيَّةٌ فارسيَّةٌ للتَّمدُّد في المنطقة العربيَّة تحديداً منذ أيَّام القادسيَّة. رُبَّما بقي الفرس بضع سنوات في ظلِّ صعقة الفتح الإسلامي ودخول الإسلام، ورُبَّما علىٰ الفور نشأ لديهم دافع الثَّأر لانهيار إمبراطوريتهم. علىٰ أيِّ حال ما نحن متأكِّدون منه أنَّهُ بالكاد مضت سنوات لا تصل إلىٰ العقد الكامل حَتَّىٰ انقلب الفرس علىٰ إسلامهم ضمناً وراحوا يخططون ويعلمون علىٰ الثأر من العرب، ورُبَّما الثأر من الإسلام الذي هو السبب في انهيار إمبراطوريتهم، في هزيمتهم أمام العرب. هٰذه حقيقة لا يمكن الاقتناع بغيرها مهما بالغ المدافعون في الدفاع عن الفرس لأن الأدلة أكبر وأعز من أن تدحض.

لم تتوقف الحملات الفارسية عبر تاريخ الإسلام كله. ولٰكنَّهَا كانت دائما تصدم بتماسك الأمة وقوتها.

ليس طريفاً ولا غريباً أبداً أنَّهُ مع إعلان انتصار الثَّورة الإسلاميَّة الإيرانيَّة وإعلان قطع العلاقات مع إسرائيل وأمريكا كان الإعلان عن تصدير الثَّورة إلىٰ العالم العربي. لم يكن واضحاً حينها معنى تصدير الثَّورة... ولٰكنَّ بعد حينٍ راحت تتضح الأمور. تصدير الثَّورة هو التَّمدُّد الإيرانيُّ الفارسيُّ في المنطقة

باستغلال الطَّائفة الشِّيعية العربيَّة. الأمر يبدو واضحاً اليوم، وصرَّح به حسن نصر الله في خطابه الداخلي الشَّهير في بداية ترأسه الحزب، وأعلن انتماءه لهذه الإمبراطورية. وتبيَّن لنا رويداً رويداً أن قطع العلاقات مع إسرائيل وإعلان الحرب علىٰ إسرائيل لم يكن إلا ستاراً تختفي وراءه المساعي الفارسيَّة، إذ لم تنقطع العلاقات الإيرانية الإسرائيلية أبداً، بل كانت إسرائيل هي المزوِّد الحقيقي لإيران بالأسلحة منذ عام الثورة الأول إلىٰ يومنا هٰذا.

إيران الآن أصبحت لاعباً أساسيًّا في قلب المنطقة العربيَّة، وتمثِّل تحديًّا صارخاً للعرب وقبلهم وعلىٰ رأسهم الأنظمة العربيَّة. علىٰ أيِّ حال الموضوع الإيراني طويل، هنا لمسات فقط من كتابي الذي سيصدر قريباً تحت عنوان مبدئي هو عنوان هٰذا الفصل أو رُبَّما عنوان آخر قريب. وفقرات هٰذا الفصل جزء من هٰذا الكتاب، مرقومة بتواريخ نشرها حرصاً علىٰ التتبع الزمني من جهة، ووضع الأمور والتحليلات في سياقها الزمني.

الطاولة تنـقلب[٦٨]

التَّصريحات الأخيرة الصَّادرة من إيران وجهاز حزب الله الإعلاميِّ إلىٰ جانب بعض المعطيات علىٰ الأرض تقول إنَّ الطَّاولة انقلبت، وتغيَّرت المعادلة كلها، وستشهد المرحلة القادمة ورُبَّما في أيَّامٍ قريبةٍ معطياتٍ جديدةً وخطيرةً جدًّا.

وبألمٍ أقول، إنِّي منذ نحو ستة أشهر كتبت مقالاً في ذٰلكَ ونشرته نشراتٍ متعدِّدةً في كثيرٍ من المواقع أحذِّر فيه من هٰذه التَّطورات.

---

(٦٨) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/٥/٧م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

نحن أمام ثلاثة مؤشِّراتٍ ونتيجةٍ واحدةٍ يبدو أنَّها أكيدةٌ ورُبَّما ستكون قطعيَّةً:

أولاً: تصريحات إيرانيَّة متتالية بالسَّيطرة علىٰ الوضع في سوريا وآخرها إرسال جيش احتلال من مئة وثلاثين ألف من الباسيج، وكثير منهم علىٰ الأرض فعلاً.

ثانياً: إعلاميو حزب الله يكررون بأنَّ المقاومة أخذت قراراً بإنهاء الوضع في سوريا وحسم الموضوع. المقاومة هي إيران وليس حزب الله إلا جنديًّا لها وتابعاً.

ثالثاً: هروب العلويين أنفسهم إلىٰ أوروبا طالبين اللجوء إلىٰ أوروبا. وهؤلاء غالباً ما يستنكرون الاحتلال الإيراني أو يتخوَّفون من الصِّراع الذي سيمتدُّ بسبب سيطرة إيران علىٰ الوضع في سوريا.

النَّتيجة:

هي أنَّ إيران ستحتلُّ سوريا رسميًّا. رُبَّما علىٰ مقطع معين من سوريا، ورُبَّما علىٰ كلِّ سوريا. الأمر منوطٌ بتطوُّر الوضع علىٰ الأرض. وبذلك ستمتدُّ الإمبراطويَّة الإيرانيَّة من إيران إلىٰ العراق فسوريا ولبنان. وهٰذا يعني علىٰ نحوٍ مباشرٍ أنَّ إيران ستقضم دول الخليج العربيِّ كلُّها تقريباً بما فيها السُّعودية والمقدَّسات الإسلاميَّة، استناداً إلىٰ التَّصريحات الإيرانيَّة التي أطلقها بعض المسؤولين منذ نحو السَّنة بأنَّ الشَّاطئ الغربي من الخليج العربي (الفارسي عندها) هو جزءٌ تاريخيٌّ من إيران. واستناداً إلىٰ كثيرٍ من التَّصريحات الدِّينيَّة التي تقول بأنَّ الكعبة لهم وأنَّهَا مغتصبةٌ. راجعوا اليوتيوبات التي تكشف هٰذه الحقائق.

إذا لم تكن هناك ذي قار قريبةٌ وعاجلةٌ فإنَّ العرب سيكونون مستعمرةً فارسيَّة بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى:

ولن يستطيع المجتمع الدولي أن يفعل شيئاً

لن يستطيع المجتمع الدولي أن يفعل شيئاً

لن يستطيع المجتمع الدولي أن يفعل شيئاً حَتَّىٰ ولو أراد

افهموها، افهموا كذَلكَ أنَّ الحكام العرب لن يحرِّكوا ساكناً، ووالله والله والله لو هَدَمَ الفرس الكعبة لما حَرَّكَ الحكَّام العرب ساكناً.

الفرس يقاتلون العرب بالعرب[٦٩]

متى يمكن هزيمة الفرس؟

يوما ما كانت إيران تحارب العرب بالعرب...

حَتَّىٰ عندما جاء الإسلام كانت الجيوش الأولى التي تصدَّت للفتح الإسلامي هي من العرب الموالين للفرس.

اليوم إيران تفعل الأمر ذاته في الدِّفاع عن النِّظام السُّوري. تجمع المرتزقة من اليمن والعراق ولبنان وأفغانستان وتأتي بهم للقتال في سوريا...

الفرس مثل أمريكا لا يزجُّون بجنودهم إلا في معارك مضمونة النجاح أو إذا لم يبق أمامهم خيارٌ آخر إلا أن يخوضوا المعركة بأنفسهم.

اعلموا أنَّهُ عندما لا يكون أمامهم أيُّ خيار سوى أن يخوضوا الحرب بأنفسهم فإنَّهُم سينهزمون. ولهذا ما يبدو بعيداً فالعرب التابعون لإيران متفانون في الدِّفاع عن المصالح الفارسيَّة، للأسف متفانون في الدِّفاع عن المصالح الفارسيَّة علىٰ أساس أو تحت شعار أنَّهَم يدافعون عن العقيدة الشِّيعيَّة وهم في ذَلكَ

(٦٩) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/٥/١٩م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

واهمون واهمون واهمون... وسيشعلون حرباً طائفية تأكل الأخضر واليابس طالما ظلَّ رأسهم يابساً، ولن يهتدي منهم إلا أقلهم.

إيران عينها على الحرم(٧٠)

نقلت وكالة فارس الإيرانيَّة عن آية الله محمد علي موحدي كرماني قوله إن «أعمال الحج وبيت الله الحرام، أسيران بيد الوهابيين الذين لا يدعون الأمَّة الإسلاميَّة تؤدِّي مناسك الحج بالشَّكل المتوخى». جاء ذَلكَ في خطبة العيد، إذ احتفلت إيران بعيد الأضحى اليوم الأحد وليس السَّبت كما كلُّ الدُّول الإسلاميَّة (السنيَّة). وفي هٰذا البون وحده ما يصير علامة استفهام لا تشتفي بجواب: عيد الفطر له ما يسوغ الاختلاف فيه، ولٰكن كيف يمكن تسويغ اختلاف عيد الأضحى ولا وقفة إلا وقفة عرفة وحدها في الأرض، ولا محدِّد لها إلا بلاد الحرمين؟!!!

تابع كرماني قائلاً إنَّهُ «إذا أقيمت أعمال الحج بصورةٍ جيِّدة، فإنَّ الأمَّة الإسلاميَّة ستتبوأ مكانةً مرموقةً»، مضيفاً أنَّ الأمَّة إذا قدَّرت الحج حقَّ قدره واستفادت من بركاته المعنويَّة كما يجب، وصحت من غفلتها وعرفت سبل التَّصدي للعدو ومكائده، فإنَّها لن تذوق مرارة الذُّل والهوان».

والسُّؤال الذي لا بُدَّ من طرحه: من هو العدو في الفقه الشِّيعي؟

لا يغيب عن متابع ولا مهتمٍّ مدى التنسيق الإيراني الإسرائيلي والأمريكي منذ مطلع الثورة الإيرانيَّة، لا أحد يجهل أنَّ إسرائيل وأمريكا هما أهم مصدِّري السِّلاح لإيران إبان الحرب العراقية الإيرانيَّة... ولا أطيل في هٰذا البحر المتلاطم

(٧٠) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/١٠/٦م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

من المعلومات والمعطيات، وأجزم بأنَّ إسرائيل وأمريكا (الشيطان الأكبر، والموت لأمريكا والموت لإسرائيل) كلام لا أساس له من الصِّحَّة. فمن إذن هو العدوُّ؟

ثُمَّ عقَّبَ كرماني قائلاً بأنَّ «المؤسف هو أنَّ الحج وبيت الله الحرام أسيران بيد الوهابيين الذين لا يدعون المجال للأمَّة الإسلاميَّة كي تستثمر مزاياه المعنويَّة».

يبدو أن الوهابية هي الأعداء، وليست الوهابية وحدها بالتأكيد. ويبدو أن إيران تريد إدارة مراسم الحج بالطريقة اللطميَّة الشِّيعيَّة، وهٰذا ما تعتبره الإسلام، ولذلك تابع قائلاً: «إذا كانت الكعبة قائمة، فسيكون الدين قائماً، وسيصبح النَّاس قائمين ببركة الحج، ويقفون علىٰ أقدامهم ويستقلون ويتخذون قراراتهم بأنفسهم وينالون العزة، وكلُّ ذٰلكَ يحصل ببركة هٰذا التَّجمُّع العظيم الذي يتبلور في أطراف الكعبة».

وذكرت وكالة فارس أنَّ صلاة عيد الاضحى المبارك أقيمت صباح اليوم في طهران بمشاركة عددٍ كبير من كبار المسؤولين المدنيين والعسكريين في البلاد وحشود غفيرة من أبناء الشَّعب

المراقبون رأوا أنَّ هجوم كرماني هٰذا «يأتي بسبب الخلافات مع السعودية حول العديد من الملفات في المنطقة، وفي مقدمتها الملفان السُّوري والعراقي». وهٰذا تحليل مضحكٌ في حقيقة الأمر. إذا كان الخلاف مع السعودية لأي سبب هل يستدعي ذٰلكَ تكفير السعودية، علىٰ الأقل السعوديَّة؟ وفوق ذٰلكَ فإنَّ ما جاء كرماني ليس اختراعاً جديداً ولا فتوى جديدة، إنَّهُ عقيدة شيعية موغلة في القدم.

باختصار، إيران عينها علىٰ الحرم، عينها علىٰ السعودية، عينها علىٰ المنطقة العربية قاطبةً، وهٰذا ما يعيدنا إلىٰ ما كتبته كيهان العربي قبل شهر يوم الاثنين ٨ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤م. صحيفة كيهان الرسمية الإيرانية التي يملكها المرشد الإيراني علي خامنئي، وهي بطبيعة الحال تمثِّل رأي السُّلطة الإيرانيَّة والسياسة الإيرانية العليا، قالت: «بعد اليمن ونجاح الثَّورة الإسلاميَّة في صنعاء سوف يكون الدَّور القادم علىٰ سقوط حكومة آل سعود وتفكك هٰذه الدولة المفروضة علىٰ الحجاز».

وتابعت كيهان العربي: «إنَّ كلَّ الأدلة تشير إلىٰ أنَّ هٰذا القلق الإقليمي والدولي ليس علىٰ اليمن فحسب، بل علىٰ الثورة الإسلامية (الإيرانية) التي ستنتهي بإطاحة حكم آل سعود وتفكك هٰذه الدولة التي هي من القرون الوسطى، والتي أصبحت قاعدة لقوى الاستكبار العالمية في المنطقة، والثَّورة اليمنيَّة الإسلاميَّة تمضي قدماً، ولا يمكن لأيِّ طرفٍ أن يقوم بتثبيط هٰذه الثورة العظيمة».

وزادت كيهان في الأمور وضوحاً في قولها: «الثَّورة اليمنيَّة الإسلاميَّة، والتي يؤيدها الملايين من المسلمين في اليمن، والتي هي امتداد للثَّورة الإسلاميَّة في إيران أصبحت تهدِّد وجود السعودية. وإنَّ دولة آل سعود وحلفاءها باتوا يتخوفون من هٰذه النقطة المهمة، وجميع الأدلة والحقائق تشير إلى قرب سقوط الدولة السعودية. وآل سعود لا يبعدون سوى مسافة قليلة عن نقطة الانهيار ونهاية هٰذا النِّظام العائلي».

هل المشكلة الإيرانية مع السعودية وحسب؟

أبداً، اليقين أنَّ مشكلتها مع العرب كل العرب، ومع الإسلام كل الإسلام. وإسقاط آل سعود ليس لأنهم عملاء أمريكا وقوى الاستكبار العالمي كما يزعمون، فإيران حليف وشريك لأمريكا وقوى الاستكبار العالمي باعترافات كبار المسؤولين الإيرانيين: هم علىٰ الأقل قالوا علىٰ سبيل المثال: لولا إيران لما استطاعت أمريكا احتلال أفغانستان ولا العراق... لهٰذا مثال واحد فقط.

إسقاط آل سعود والسيطرة علىٰ الحرم ليست لإسقاط الوهابيَّة كما يزعمون، وإنما لإسقاط الإسلام وفرض اللطميات الشِّيعيَّة علىٰ الحج، ولعن صحابة الرسول. أي إن إيران، الشيعة وفق المنظور الإيراني، ترى أن المسلمين ليسوا مسلمين.

وهنا سيبرز السؤال: المسلمون يعدون الشيعية مسلمين، فلماذا يعدُّ الشيعةُ المسلمين مسلمين؟ وفوق ذٰلكَ تبرز علىٰ السطح الإعلامي العالمي، والشيعي عامَّةً أن المسلمين تكفيريين!!!

أليس في ذٰلكَ أعجوبة تضاف علىٰ رأس الأعاجيب؟

وحَتَّىٰ يكمل النقر بالزعور، في هٰذا اليوم ذاته، في اجتماع عشر دول في جدة، لمحاربة الدولة الإسلاميَّة، أعلن وزير الخارجيَّة الأمريكي جون كيري من قلب السُّعودية أنَّ «إيران سيوكل إليها أمر إدارة المنطقة وفق مخطَّط متَّفقٍ عليه».

هل قال ذٰلكَ حرفيًّا؟

لا، قاله تلميحاً يقترب من التَّصريح، قال: «من الآن فصاعداً يمكن لإيران أن تضطلع بدور في المنطقة». هٰذا ما قاله حرفيًّا، من قلب السعودية بقرار أمريكي إيران ستقود المنطقة.

وهل يعني ذَلكَ غير أنَّ إيران ستقود المنطقة بالوكالة؟

حلاوة هٰذا الدور والمهمة أنَّهَا أُعلن عنها رسميًّا لأوَّل مرَّةٍ من قلب السُّعوديَّة وليس من أيِّ دولةٍ أُخْرَىٰ في العالم.

وعاشت بلاد العرب أوطاني

إيران تقول الأسد حامي إسرائيل(٧١)

خرجت إيران بموقف ملفتٍ للانتباه في الوضوح والصَّراحة حيال التَّطورات في سوريا، فحقيقة الموقف وتلميحاته ليست بالجديدة. فقد أعلن حسين أمير عبداللهيان نائب وزير الخارجيَّة الإيراني للشُّؤون العربيَّة والإفريقيَّة أنَّ سقوط نظام الرَّئيس السُّوري بشار الأسد سيكون خطراً علىٰ أمن إسرائيل، فقال: «إذا أراد التّحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة ضدّ تنظيم الدّولة تغيير النِّظام السُّوري، فإنّ أمن إسرائيل سينتهي»(٧٢). وأكَّد من غير حياءٍ أو خجلٍ أنَّ بلاده قد أعلمت الغرب بذَلكَ... علىٰ أساس أو افتراض أنَّ الغرب لا يعرف ذَلكَ.

ونقلت وسائل إعلام إيرانيَّة رسميَّة عن عبداللهيان قوله أمس السبت، إنَّ بلاده قد تبادلت الرَّسائل مع أميركا حول الصِّراع الدَّائر مع تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة في سوريا والعراق. معترفاً بالتَّنسيق الذي ما فتئت أمريكا وغيران تنكرانه. تنكرانه لما كشفت عنه من أسباب في

(٧١) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/١٠/١٢م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

(٧٢) . التصريح بتفاصيله نقلته وكالة فارس الإيرانية السبت ٢٠١٤/١٠/١١م، وليس من أي وسيلة إعلام أخرى، وعن وكالة الأنباء الإيرانية تناقلته مختلف وسائل الإعلام وعلقت عليه كل وسيلة إعلامية بطريقتها... أما النص فهو واحد عند الجميع.

مقالات أُخْرَىٰ سابقة، مع تحليلات أُخْرَىٰ مختلفة حول الموضوع برمته لم تلق ما تستحق من الاهتمام، مثلما ستنتهي زوبعة تصريحات عبداللهيان بعد أيام وكأن شيئاً لم يكن.

علىٰ أيِّ حالٍ، أضحكني حسين أمير عبد اللهيان في هٰذا التَّصريح إضحاكاً مربكاً للحنك بسبب تعاكس التَّجاذبات ما بَيْنَ الاتجاهات. فهو في التصريح ذاته الذي أكَّد فيه أنَّ سقوط بشار الأسد سيهدِّد أمن إسرائيل ويؤدِّي إلىٰ فنائها، مع ما يترتب علىٰ ذٰلكَ من تحليلات تدور في حلقةٍ واحدةٍ لا تخرج عنها هي أنَّ إسرائيل تحمي نظام بشار الأسد، وحريصة علىٰ عدم سقوطه، وأنَّ نظام الأسد حامي حمى إسرائيل بطريقةٍ أو بأُخْرَىٰ... مع هٰذا الوضوح في ذٰلكَ سرعان ما يتابع الأسطوانة المحفوظة عن ظهر قلب ويكرِّرها تكرار «اكسري بيضة» فقال: «إنّ طهران لن تسمح للإرهابيين بإسقاط أحد حلفائها الحقيقيين في جبهة المقاومة».

أن يكون التَّناقض الصَّارخ بهٰذه الطَّريقة صادراً عن الشَّخص ذاته ولو علىٰ أزمنةٍ متباعدةٍ فهٰذا أمر لا يطاق ولا يقبل ولا يعقل... النُّقاد سيقولون: اختلَّ عقل الرجل... انحرف عن مساره... ولٰكنَّ أن يكون هٰذا التَّناقض الصَّارخ الصَّريح الواضح في التَّصريح ذاته: النِّظام السُّوري يحمي إسرائيل، والنِّظام السُّوري مقاوم لإسرائيل!!! فهٰذا ما لا يمكن تصديقه بحال من الأحوال. هو ليس الأوَّل من نوعه من مسؤول إيرانيٍّ أو مسؤولٍ سوريٍّ صاحب قرار. فكلُّنا يذكر تصريحات رامي مخلوف التي أدلى بها في واشنطن مع الأيام الأولى من الثَّورة السُّورية لصحيفة النيويورك تاميز إذ صرَّح في مؤتمر صحافي هناك قائلاً: «إنَّ أمن سوريا

مـن أمـن إسـرائيل وأمـن إسـرائيل مـن أمـن سـوريا... لا اسـتقرار في إسـرائيل إذا لم يكن هناك استقرار في سوريا».

السُّؤال الـذي يفـرض ذاتـه بقـوَّةٍ هنـا هـو لمـاذا يصـدر مثـل هٰـذا التَّصـريح الصَّريح الخطير من النِّظام أو عمود من أعمدة النِّظام وهو يعلم ما يحدث في سوريا ثورة من الشَّعب وإن كـان ينكـر ذٰلـكَ في وسـائل الإعـلام وهٰـذا الإنكـار طبيعـيٌّ ومتوقَّـعٌ؟ لا يمكـن تفسـير ذٰلـكَ إلا بأنَّـهُ إقحـام لإسـرائيل علـىٰ الخـط وتذكيرها بحقيقة الأمن المتبادل بالصُّورة التي ظهرت اليوم علىٰ لسان نائب وزير الخارجيَّة الإيراني، كي تمارس إسرائيل سحرها في حماية النِّظام وهي علىٰ ذٰلـكَ قديرةٌ.

تنكر النِّظام السُّوري لهٰذا التَّصريح واعتبره غير مسؤول، ولا يمثل السُّلطة، وهٰـذا محـض ادعـاء. فرامي مخلوف وإن لم يتقلَّد أيَّ منصبٍ رسميٍّ إلا أنَّـهُ محرِّك النِّظام وصانع قراره.

فالإعلام السُّوري وقع في هٰذا التَّصريح غير مرَّة، ومنها لقاء مع شخص علىٰ أنَّهُ محلِّلٌ سياسيٌّ قال بالحرف الواحد:

«هناك تنظيمات إسلاميَّة تريد دولةٌ إسلاميَّة. وهٰذه الدَّولة الإسلاميَّة في حـال تَمَّ ووصـلت إلىٰ الحكـم تحـت قـوَّة السِّـلاح ستشـكِّل خطـراً علـىٰ ربيبـتهم إسـرائيل بدايـة وعليهـم وعلـىٰ الآخـرين. وهٰـذا الموضـوع خطـر في سـوريا فسـوريا ليسـت مثـل مصـر ولا مثـل ليبيـا، سـوريا لهـم في موقـع جغرافيٌّ يخيفهـم، جنـب محبوبتهم إسرائيل... هٰؤلاء (الإسلاميون) بفتوى معيَّنةٍ من أحد (الإسلاميون) سيوجهون أسلحتهم إلىٰ إسرائيل... يكونون أمام النِّظام السوري يصبحون أمام

دولةٍ إسلاميَّةٍ بامتياز، هٰذه الدَّولة بعد أربع أو خمس أعوام ستكون وجهتها القدس!!!!»[٧٣].

هكذا قال بالحرف، هل يحتاج هٰذا الوصف الدَّقيق الصَّحيح إلىٰ أيِّ تعليق؟

بالعودة إلىٰ عبداللهيان تابع في تصريحه بالتَّهجُّم علىٰ تركيا. الهجوم علىٰ تركيا ليس من قبل إيران وحدها وإنَّمَا من قبل الدُّول العربيَّة الأمريكيَّة ولٰكنَّ لأسبابٍ مختلفةٍ. عبداللهيان وإيران شنَّا حملةً واسعة النِّطاق علىٰ تركيا عندما اشترطت إسقاط بشار الأسد للمشاركة في التَّحالف الدولي، وقبل ذٰلكَ أصلاً يوجد تنافس ظاهر وصراعٌ مخفيٌّ. الطَّريف حسب عبداللهيان أنَّ إيران تحارب تركيا وتحرِّض أمريكا عليها لأنَّهَا تسعى إلىٰ العثمانيَّة الجديدة، علىٰ أساس أنَّ إيران لا تسعى إلىٰ الصَّفويَّة بأيديها وأرجلها ولسانها وأسنانها، وعلىٰ أساس أنَّها لم تصرِّح أكثر من مرَّةٍ بأنَّهَا سيدة البحر المتوسط والبحر الأحمر، وبالطَّريق بحر العرب والخليج العربي الذي تسميه الخليج الفارسي!!!!

تصريح عبد اللهيان نقلته كالة الأنباء الإيرانية وتداولته وسائل الإعلام الإيرانيَّة وغيرها يوم السَّبت الماضي. وهٰذا اليوم الثَّالث يمرُّ وينصرم من دون أن يصدر أيُّ تصريحٍ أو تلميحٍ أو توضيحٍ عن أيِّ مسؤولٍ سوريٍّ تجاه الموضوع.

---

(٧٣) . اللقاء كان في أواخر عام ٢٠١٢م أو أوائل ٢٠١٣م، على التلفزيون السوري الرسمي في برنامج: حوار اليوم. عنوان الحلقة: برنامج الحل السياسي للأزمة السورية. وهو منشور على اليوتيوب وعلى مواقع التواصل الاجتماعي نشرات كثيرة تحت عناوين متشابهة منها يوتيوب: شبيح إعلامي يهدد بأن الثوار سيتوجهون إلى القدس بعد سوريا، منشور بتاريخ ٢٠١٣/١/١٢م.

الاحتفاظ بحقِّ التَّصريح محفوظٌ مثل الاحتفاظ بحقِّ الردِّ. فهٰذه ليست المرَّة الأولى التي يتعرَّض النِّظام السُّوريُّ فيها لصفعة تمرِّغ كرامته بالتراب من قبل إيران ولا أتحدث عن غيرها. فقبل سنتين أعلن المعمم الشِّيعي مهدي طائب، «أنَّ سوريا محافظة إيرانية»(٧٤)... وبشار الأسد بالضَّرورة محافظٌ إيراني علىٰ سوريا. ومع ذٰلكَ لم يصدر حَتَّى هٰذه اللحظة أيُّ اعتراض أو احتجاج، بل إنَّ المحلل السِّياسي الإيراني محمد صادق الحسيني قال إنَّ بشار الأسد كان يقول لمهنئيه علىٰ فوزه بالرئاسة: «التهنئة يجب أن تكون لإيران لأنَّهَا سبب بقائي»(٧٥).

نقطة انتهى.

خاتمة

يعول الكثيرون علىٰ حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «لا كسرى بعد كسرى». لا شكَّ في صدق رسول الله ولا اعتراض عليه أبداً. ولٰكن هل يتضمن الحديث ترك إيران تتمادى في غيها في العالم العربي؟

الحديث النَّبوي يضمن أن لا يكون كسرى بعد كسرى ولٰكنَّهُ لا يضمن ولا يتضمن السُّكوت علىٰ التَّمادي الفارسي وترك إيران تسرح وتمرح في العالم العربي علىٰ هواها.

العالم العرب ركن إلىٰ نتيجة الحديث وترك إيران تتمدد في العالم العربي وتفرض هيمنتها وسيطرتها ونفوذها وتدخلها وحَتَّىٰ ارتكابها الجرائم والمجازر

---

(٧٤) . قال ذٰلكَ يوم الخميس ٢٠١٣/٢/١٤م، وهو منشور على اليوتيوب وعلى مواقع التواصل الاجتماعي.

(٧٥) . قال ذٰلكَ في لقاء على قناة الميادين التي يديرها غسان بن جدو، المقطع منشور على عشرات مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت بتاريخ ٢٠١٤/٩/٢٧م تحت عناوين متعدد مقترنة باسم الحسيني وأسياد الجزيرة والبحر المتوسط.

الوحشية في سوريا والعراق واليمن... وليس هٰذا فحسب بل التَّصريح العلني والتَّفاخر الإيراني علىٰ ألسنة مختلف المسؤولين والشخصيات الاعتباريَّة بأنَّ إيران تسيطر علىٰ أربع عواصم عربيَّة وأنَّ حدود إيران تمتد إلىٰ البحر المتوسط وبحر العرب وخليج عدن.

العالم العربي بالعام والمطلق نائم نومة أهل الكهف. الأمر ليس متعلقاً بإيران وحدها وحسب، بل متعلق بكل شيء. لن نسأل متى تكون الصحوة. لن تكون صحوةٌ أبداً، ما سيكون هو الزلزال الذي سيبتلع الجميع بعدما تآكلت كل البنى؛ بنى النِّظام العربي بكل مكوناتها، وبنى المجتمع العربي بكل مكوناتها.

عندما يصبح الجميع في أتون البركان تعصف بهم صعقة الزلزال سيجدون أنفسهم مرغمين علىٰ إعادة بناء كل شيء من جديد. لم يتعلموا من كل دروس التاريخ، لم يتعلموا من كل صدمات القرن العشرين، لم يتعلموا من شيء أبداً، الإصلاح سيكون علىٰ رغم أنوفهم لا بإرادتهم، الزلزال هو الذي سيهدم أركانهم ليفرض عليهم أن يبنوها من جديد. أخشى أن يعيدوا بناءها كما كانت هياكل ينخرها السوس.

الفصل العاشر

الوجع المزمن فلسطين

مقدمة

أيها الفلسطيني قرر مصيرك

حماس خائنة لأنها تسير عكس التيار

إسرائيل تعشق المبادرة المصرية

أشياء لا تجعلك تضحك تجعلك لا

العرب يضمنون أمن إسرائيل

العرب في خدمة إسرائيل

خاتمة

فلسطين رُبَّما هي اللب والمحور والمتن والحاشية. فلسطين هي المؤشر والدليل والشاهد والشارح لحقيقة العربي أي عربي، وللأنظمة العربية علىٰ نحو الخصوص.

في فلسطين كلام وكلام، مع فلسطين يبدأ الكلام ولا ينتهي. نحو سبعين عاماً من الألم العضال. خيانة الأنظمة العربيَّة بدأت مع بوادر غرس الكيان الصهيوني في فلسطين، ولم تنتهي إلىٰ اليوم. في كل يومنا كنا نكتشف ما يدهش من خيانات السلاطين والأنظمة العربيَّة، لا يمكن عدُّ الخيانة وجهة نظر، ولا حرية موقف أو رأي.

في السنوات الأخيرة انكشفت الأقنعة انكشافاً مدهشاً فاق الحدود والتصورات... بل فاق في بعض الأحيان قدرة العقل علىٰ الاحتمال.

في الوجع الفلسطيني، في الوجع من ممارسات الحكام العرب ضدَّ فلسطين، في ممارسات الحكام العرب في خدمة إسرائيل... مئات بل آلاف المجلدات... كتبت الكثير في ذَلكَ علىٰ مدار نحو ربع القرن أو ثلثه... وكتب الكثيرون الكثيرون الكثير الكثير في ذَلكَ. لا يصعب بل يتعذر الإحاطة بكل هٰذه الخيانات والتخاذل. والأخطر من ذَلكَ أنَّهُ علىٰ الرَّغْمِ من ذَلكَ فإننا أمام مفارقات تصدع الرأس بل تشقه نصفين من صمت المجتمع العربي، من صمت الشعب العربي علىٰ هٰذه الخيانات التي تمرغ كرامة الأمة بالزبل. بل الأخطر من ذَلكَ بكثير وكثير لا حد له أنَّ مصر تحاكم الرئيس محمد مرسي بتهمة التَّخابر

مع المقاومة الفلسطينية ومساعدتها وتكافئ حسني مبارك علىٰ عمالته لإسرائيل!!! ولا تسأل عن النِّظام الجديد فمن كان حيًّا في هٰذا الزمن وسأل فهو أهبل أو خائن غاطس في الخيانة(٧٦).

في هٰذا الفصل نحن فقط أمام وقفة متزامنة مع الحدث والوقت والمرحلة لا أكثر، أشرت إلىٰ أن الكثيرين الكثيرين كتبوا الكثير الكثير في هٰذا الوجع، وأنا كتبت الكثير في فيه ومن ذٰلكَ علىٰ سبيل المثال: أعاجيب السياسة الأمريكية(٧٧). والأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقالة والترميم(٧٨)، وانهيار أُسطورة السَّلام(٧٩)، وبشرية عمياء عرجاء(٨٠)، وعالم مجنون(٨١)، والعرب أعداء أنفسهم(٨٢)، العرب جثة تنهشها الكلاب(٨٣).

أيها الفلسطيني قرر مصيرك(٨٤)

لا أستطيع إلا أن أبدأ بقول الشَّاعر الفلسطيني يوسف الخطيب:

---

(٧٦) . انظر كتابي علىٰ سبيل المثال: رئيس وأربعة فراعين . دار أفهار . بيروت . ٢٠١٤م.

(٧٧) . أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.

(٧٨) . الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقالة والترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.

(٧٩) . انهيار أُسطورة السَّلام؛ مصير السَّلام العربي الإسرائيلي . الطبعة الأولى: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. الطبعة الثانية: دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٣م.

(٨٠) . بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

(٨١) . عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.

(٨٢) . العرب أعداء أنفسهم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.

(٨٣) . العرب جثة تنهشها الكلاب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

(٨٤) . نشر هٰذا المقال في ٢٠٠٩/١٠/٩م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

أَكَادُ أُوْمِنُ مِنْ شَكِّيْ وَمِنْ عَجَبِي
أَنَّ هٰذِيْ الملايِيْنُ لَيْسَتْ أُمَّةَ العَرَبِ

ستون عاماً مضت على اغتصاب فلسطين وأكثر من نصف المسبَّة معلَّق على العرب والحكومات العربيَّة التي انتظرها الفلسطينيون آملين في دعمها أو عزيمتها على التَّحرير، وكلُّ عقد يمرُّ تتداعى دولةٌ حَتَّىٰ أتى العقد الأخير الذي شهد تداعي معظم الأنظمة العربيَّة... ولا بأس من القول كلها.

كانت الأنظمة العربيَّة تتقاتل فيما بينها بزعم أنَّ الخلاف من أجل فلسطين، وها قد اتَّفق معظم العرب على السَّير في ركاب المشروع الصهيوني وتأييد إسرائيل ومحاربة الفلسطينيين، فدخل الفلسطينيون أنفسهم في اختلاف داخليٍّ قام بعضهم بدور الأنظمة العربيَّة التي سلَّمت فلسطين وحمت الوجود الصهيوني، وظلَّ آخرون في رباطٍ حَتَّىٰ التَّحرير.

الأنظمة العربيَّة سلَّمت فلسطين للصهاينة وَحَمَت الوجود الصهيوني، وها هم بعض أبناء فلسطين يدافعون عن الوجود الصهيوني وحمايته من الفلسطينيين الذين يريدون الدِّفاع عن الكرامة الفلسطينيَّة فهل سينتظر الفلسطينيون العرب الآخرين حَتَّىٰ يحلوا مشكلاتهم وقد اتَّفقوا على حلِّها على حساب الحقِّ الفلسطينيِّ أم أنَّهُم سينهضون لحلِّ مشكلاتهم وقلع أشواكهم بأيديهم؟

إذا لم يتكاتف الفلسطينيون معاً، ويعملوا معاً ببوصلةٍ واحدةٍ واضحةٍ صحيحةٍ فإنَّ الواقع مرٌّ، والمستقبل علقمٌ، لأنَّ تكاتف الفلسطينيين وتوافقهم هو الذي يبطل ذرائع الحكَّام العملاء والخونة والذين فقدوا البوصلة، ويُسقط من

أيديهم ذرائع التَّعامل مع الكيان الصهيوني والولايات المتحدة فيما يخصُّ الشَّأن الفلسطيني.

فمتى يفرض الفلسطينيون علىٰ العرب أن يقوموا بالدور اللازم والصَّحيح؟

أيَّهُا الفلسطينيُّ

قرِّر مصيرك

مصيرك بيدك أنت

حماس خائنة لأنها تسير عكس التيار(٨٥)

لا تستغربوا هٰذا العنوان فهو الحقيقة التي لا يريد أن يراها الكثيرون. حماس خائنةٌ لأنَّهَا تسير عكس التيار، وعكس منطق العرب والمسلمين وحكامهم. إنَّها الكيان الوحيدُ في العالم العربي والإسلاميِّ الذي يرفض الاحتفاظ بحقِّ الرَّدِّ ويردُّ علىٰ العدوان فوراً ومن دون تصريح. إنَّهَا الكيان العربيُّ والإسلاميُّ الوحيد الذي لا يقبل ذل الخنوع للعدوان ويردُّ علىٰ العدوان فوراً بما ملك غير آبهٍ بانعدام توازن القوى.

لذَلكَ لا مكان لها بَيْنَ ظهراني العرب والمسلمين يجب القضاء عليها. يجب القضاء عليها سلوك حقيقيٌّ يمارسه العرب حكاماً وشعوباً. لا مبالغة في ذَلكَ علىٰ الإطلاق.

قبل المضي في الكلام لا بُدَّ من توضيح كيف ولماذا يجب القضاء عليها. لننظر في هٰذه القصة التَّاريخيَّة بدايةً، وقد نشرتها منذ فترة بعنوان: يحيا العار يحيا العار.

---

(٨٥) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/٧/٢٠م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

في أثناء الحروب الصَّليبية علىٰ العراق دخلت إحدى فرق الغزاة قرية من القرى بينما كان الرِّجال في الحقول، فنهب الغزاة الأموال واغتصبوا النساء. وبعد رحيل الغزاة جلست النسوة يشكين لبعضهن ما أحدثه الغزاة بهن من المهانة والعار.

سألت إحداهن: أين أم بكر؟

لم تكن أم بكر موجودةً بينهم.

فقالوا: لعَلَّ أحد الجنود أصابها أو قتلها...

وليطمئنوا عليها ذهبوا إليها فوجدوها تجرُّ جثَّة الجندي الذي حاول الاعتداء عليها. سألوها كيف قتلته؟!

قالت: وهل كنتنَّ تنتظرن مني أن أُفرِّط في عرضي قبل أن أموت!

خرجت النسوة من دارها وهنَّ وقد طأطأن رؤوسهنَّ... ثمَّ اتَّفقن علىٰ حيلة خبيثة شيطانية...

رجعن إلىٰ دار أم بكر، وهجمن عليها علىٰ غفلةٍ... قتلنها... قتلن الحرَّة الشَّريفة بأيدي الجبن والخسَّة والنَّذالة... قتلنها حَتَّىٰ لا تفضحهنَّ أمام أزواجهن... حَتَّى لا يشعرن بالخزي أمامها... قتلن الشَّرف من أجل أن يحيا العار... قتلنها لأنَّ وجودها يذكرهنَّ دائماً بأنَّهَا لم تسمح لأحدٍ أن يعتدي علىٰ شرفها، بينما هن استسلمن ورُبَّما استمتعن بانتهاك شرفهن.

هٰذا ما يفعله العرب حكومات وشعوباً اليوم مع الشُّعوب العربيَّة الحرَّة الشَّريفة الأبيَّة في سوريا وفلسطين والعراق ومصر.... لأنَّ وجود الشُّرفاء والأحرار يفضح خنوعهم وعهرهم.

ولٰكنَّ الغزاويين المساكين . مثل المساكين العرب الشرفاء الآخرين . لأنَّهُم محاصرون بمصر أكثر من إسرائيل، مضرون للقول:

. نريد مصر أن تتكلم، نريد مصر أن تتصرف

يا أحبائي الغزاويين

نصيحتي طالبوا بسكوت مصر فسكوتها خير من كلامها وعدم تصرفها أفضل من تصرفها بألف ألف مرة.

ألم تلاحظوا أنَّ العدوان الإسرائيلي علىٰ غزة نهاية عام ٢٠٠٨ بدأ بوجود تسبي ليفني في القاهرة وهي تتصهصهن مع أبو الغيض ومبارك؟

والعدوان الإسرائيلي علىٰ غزة اليوم بدأ بوجود رئيس الاستخبارات المصرية في تل أبيب وهو يتصهصن مع وزير الدفاع الإسرائيلي؟

هل هي مصادفة؟

يبدو أنَّ غاية العدوان علىٰ غزة اليوم هي استغلال وجود السيسي من أجل التعاون معه علىٰ نزع سلاح المقاومة، وجود السيسي فرصةٌ لا تعوض من أجل هٰذا الغرض. فوضع السيسي قلقٌ وقد يسقط نظامه في أيِّ وقت، ولذٰلك يجب استغلاله في تحقيق أفضل انتصار.

تذكَّروا الاجتماع الوزاري الإسرائيلي المصغر أمس في ٢٠١٤/٧/١٤م عند خرج بنتيجةٍ واحدةٍ تقول لن نقبل إلا بالوساطة المصرية... لن نقبل إلا بالوساطة المصرية...

يعرفون الوكيل الحصري لمصالحهم

وكما توقعنا تماماً، مصر تقدِّم مبادرة لوقف إطلاق النَّار. ولٰكن ليس أيِّ وقف لإطلاق النَّار، إنَّهُ وقف إطلاق النَّار بشرط نزع سلاح المقاومة!!!!

الجهد المصري يتركَّز علىٰ تجريد المقاومة من السِّلاح.

لمصلحة من أيَّهُا السيسيون؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

هٰذه المبادرة هي بنود اقترحها محمود عباس، محمود عباس رئيس الشَّعب الفلسطيني كما يفترض، الذي أقسم اليمين المعظم فيما يفترض علىٰ حماية الشعب الفلسطيني، والمقاومة حَتَّى إخراج الاحتلال من الآراضي الفلسطينيَّة... هٰذا الشَّخص نفسه هو مهندس المبادرة المصرية التي تفرض علىٰ حماس تفكيك منظومة أسلحتها!!

ولٰكنَّ الكثير يتساءل:

لماذا وقد تمت المصالحة وفوضتك حماس بكلِّ شيءٍ؟

يموت الزَّمار ويده تظلُّ تلعب.

هٰذا وحده ما يفسِّر سلوك محمود عباس. موشيه مخمود خباس عميل إسرائيل بامتياز كما يشهد تاريخه الطويل. ولذٰلك كان من وجهات النَّظر المطروحة لتفسير العدوان في هٰذا الوقت هي استغلال وجود عباس قبل أن يترك الرئاسة، علىٰ أساس أنَّهُ سيترك الرئاسة وفق بنود المصالحة. إذن عاملان أساسيان تريد إسرائيل استغلالهما لتحقيق أفضل الشروط لأفضل انتصار هو وجود السيسي ووجود محمود عباس فكلاهما مؤهل للرحيل قريباً.

ترى إسرائيل اليوم أنَّهَا أمام فرصةٍ تاريخيَّةٍ لفرض شروطها علىٰ حماس بتفكيك منظومتها الصَّاروخيَّة. فهل ترى حماس أنَّ الظروف معها هي وليست مع إسرائيل؟

علىٰ عكس ما تتوهم إسرائيل وشركاؤها العرب فإنَّ الظُّروف الراهنة تخدم حماس أكثر بكثير من إسرائيل... كلُّ المعطيات معها وبإمكانها هي أن تفرض

شروطها التي تريد وليس إسرائيل. والمجتمع الدولي يدرك هٰذه الحقيقة ولذٰلك فإنَّ كلَّ جهود المجتمع الدولي اليوم منصبَّةٌ علىٰ إنقاذ ماء وجه إسرائيل ونصرتها في هٰذه الظروف الاستثنائيَّة. والموقف العربي في حقيقة الأمر أكثر قذارة من الموقف الدولي بالمجمل والتفاصيل.

الموقف المصري يفوق حدود الخيال، فوزارة الأوقاف المصرية تصدر بياناً مدموغاً بأنواع البصمات والأختام تقول فيه بكل وقاحة:

إسرائيل دولة جارة ولا تجوز محاربتها أو الجهاد ضدها

كبروا علىٰ الشَّعب المصري

طبعاً بقية العرب ليسوا أحسن حالا بكثير. ولٰكن لا تظنوا أنَّ الشُّعوب العربيَّة أحسن حالاً أبداً. يكفيني تمييزاً بَيْنَ الأنظمة الشعوب، هٰذا التَّمييز الأخرق الذي يمدُّ في عمر الغباء والبلاهة. ماذا فعلت الشُّعوب العربيَّة لفلسطين وسوريا؟؟؟ نستثني القلة القليلة من كلِّ الشعوب ونمضي في التعميم من دون حرج.

ومع ذٰلكَ يجب وضع نقاط علىٰ الحروف. إنَّ الإعلاميين المصريين علىٰ مختلف القنوات المصرية الذي يطالبون الجيش المصري بقصف غزة، ويسمُّون قتلى الصهاينة بشهداء الإرهاب الفلسطيني... ليسوا من الفراغ إنَّهُم صوت السيسي ولسانه فمعظمهم علىٰ الأقل ممثلوا وزارة الإعلام المصريَّة، أي وسائل إعلام رسميَّة وليست شخصيَّة أو خاصَّةً.

الغريب أنَّ الجيش المصري الذي يطالبه الإعلاميون والمثقفون المصريون بقصف غزة، وفي ظاهرةٍ غير مسبوقة تاريخيًّا، هو الجيش الوحيد في العالم المتفرغ

للتِّجارة الدَّاخليَّة والخارجيَّة وتصنيع المواد الغذائيَّة والأثاث المنزلي والشيبس وألعاب الأطفال والكلاسين النسواني...

المؤامرة واضحةٌ أكثر مما يحتمل... الوضوح هو الذي لا يحتمل.

حقًّا، كما قالوا وكرروها منذ سنين: الجيوش العربيَّة لا مهمة لها إلا اقتحام المساجد وحماية إسرائيل.

حَتَّى الآن، في اليوم السابع من العدوان، لا يوجد أي تحرك عربي لوقف العدوان علىٰ غزة. لأنَّ في حقيقة الأمر العرب يأملون في أن تنجح إسرائيل في القضاء علىٰ حماس كما أملت في عدوان ٢٠٠٨/٢٠٠٩. الأنظمة العربيَّة خدام إسرائيل وعبيدها من دون أيِّ مبالغةٍ، وأستعير هنا قول أحد تلاميذي:

متى سينطقها الحكام العرب بصراحةٍ مطلقةٍ ويقولون:

«تل أبيب يا كنز أحلامي ومروحتي».

وما زال شرفاء العرب القليلون يصرخون مستنجدين بالحكام العرب. وا أسفاه.

لنعد إلىٰ أنشتين. المقصود من قول أنشتين الذي كرَّرته مئات المرات وكرَّره غيري آلاف المرات:

الغباء هو فعل الأمر نفسه مرتين بالطَّريقة نفسها وتوقع نتائج جديدة.

هو يعني أشياء كثيرة

ولٰكن فيما يعنيه أنَّ الأنظمة العربيَّة هي ذاتها منذ احتلال فلسطين، تكرر العدوان الصهيوني عشرات المرات، وكان سلوك الحكام العرب نفسه في كلِّ المرات، ومع ذٰلكَ نجد الناس نفسها تنتظر من الحكام العرب سلوكاً جديداً!!!

يا للعجب

أكثر من إحساس

الأمَّة في تراجع مضطرد

يعني القادم أسوأ من القائم

أكرِّر ثانيةً إنَّهُ أكثر من إحساس

إسرائيل تعشق المبادرة المصرية(٨٦)

إسرائيل ترفض المبادرة الأمريكيَّة وتصرُّ علىٰ المبادرة المصريَّة

إسرائيل ترجو مصر أن تخفِّف من حدة المبادرة ومصر ترفض

سؤال يفرض ذاته:

لماذا مصر حصراً هي التي يجب أن تقدِّم مبادرةً؟

ولماذا الحكومة الأمنيَّة الإسرائيليَّة أعلنت مع صوغ المبادرة المصريَّة أنَّهَا لن تقبل إلا المباردة المصرية؟

في ٢٣ من الشَّهر الحالي قال مصدر مسؤول في الرِّئاسة المصرية (شكري): «ما يقال عن نيَّة مصر تعديل المبادرة المصرية لوقف العدوان علىٰ غزة لا أساس له من الصحة!!...».

وفي اليوم التَّالي الرئاسة المصرية تؤكِّد تمسُّكها بمبادرتها من دون أيِّ تعديلٍ. مصر إذن مصرَّة علىٰ تجريد المقاومة الفلسطينية من سلاحها واستسلامها لإسرائيل من دون شروط.

(٨٦) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/٧/٢٨م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

وحَتَّى يزداد وضوح تورط الدور المصري وخيانته وضوحاً فاقعاً يفقأ عين الجاحد، رفضت إسرائيل في ٢٥ من الشهر الحالي المبادرة الأمريكيَّة التي حملها جون كيري وأصرَّت على قبول المبادرة المصرية وفقط المبادرة المصرية.

كم أنت أيها السيسي إسرائيلي أكثر من الإسرائيليين؟!

تخيلوا أنَّ الراعي الأوَّل وشبه الوحيد لإسرائيل أكثر رأفة من السيسي بالفلسطينيين علىٰ حساب الإسرائيليين

تخيلوا كم هو النِّظام المصري أكثر خدمة لإسرائيل من أمريكا!!!

والأخطر من ذَلكَ كله أيضاً حسبما نقلت فايننشال تايمز فيما يستحق أن يكون فضيحة العصر بل كل العصور :

إسرائيل تطلب من مصر تقديم عرض يمنح غزة فرصة للتنفس.

ولٰكنَّ مصر مصرَّةٌ علىٰ عدم التراجع وعدم التنازل.

إسرائيل ترجو مصر أن تخفف من حدَّة المبادرة ومصر تصرُّ علىٰ عدم التَّخفيف.

يا لطيف!!!

كان حسني مبارك أكثر أفضل بألف ألف مرَّةٍ من السيسي.

تخيلوا أنَّ إسرائيليين لم يستطيعوا تقبل هٰذا الخطاب الإعلامي المصري الوقح في اتهام حماس ومناصرة إسرائيل. وفي حوار علىٰ الهواء مباشر على قناة فرنس ٢٤ كان منسق حملة السيسي في فرنسا يدافع إسرائيل ويهاجم حماس بطريقة أغضبت الإعلاميَّة الإسرائيليَّة المشاركة في الحوار. جننها وهو يدافع عن إسرائيل في قصفها لغزة.

لم تصدق أنَّهُ حاقدٌ علىٰ غزة إلىٰ هٰذه الدَّرجة حَتَّىٰ يدافع عن إسرائيل بهٰذه الطريقة...

هي تقول إسرائيل ترتكب جرائم حرب... جرائم حرب... وهو يقول لازم تقصفها...

رُبَّما كادت تبصق في وجهه لولا أنَّهم علىٰ الهواء، فقالت له باستحقار: عيب، عيب واحد عربي يقول هيك.

نقطة لم ينته

نصيحة إلىٰ أهالي غزة

مصر أشد وحشيَّة عليكم من إسرائيل

احفروا نفقاً إلىٰ أيِّ دولةٍ أوروبيَّة وستقدِّم لكم كلَّ شيء

لا تقولوا صعب

صار عندكم خبرة بحفر الأنفاق

أشياء لا تجعلك تضحك تجعلك لا[٨٧]

أردوغان يصدر تعليمات بنقل الجرحى الفلسطينيين لتلقي العلاج في المشافي التركيَّة... ولكنَّ الحكومة السيسية ترفض إخراجهم من غزة بزعم عدم وجود جوازات سفر بحوزتهم!!!

رئيسة الأرجنتين تسقط الجنسية عن متطوعين أرجنتينيين يهود بالجيش الصهيوني.

(٨٧) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/٧/٢٨م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

رئيسة البرازيل تسحب سفيرها من إسرائيل احتجاجاً علىٰ عدوانها الهمجي علىٰ غزة.

والدُّول العربيَّة لا تكرم سفراء إسرائيل فقط بل تناضل إمَّا كي تقبل منها إسرائيل تمويل العدوان علىٰ غزة... أو لإثبات أنَّ الإرهاب الفلسطيني يقتل الأبرياء الإسرائيليين وعلىٰ العالم أن يتدخل لوقف الإرهاب الفلسطيني(٨٨)...

بل إنَّ في مصر رجال يطالبون الجيش المصري بمساعدة الجيش الإسرائيلي في ضرب غزة.

هل نقول: هزلت؟

لا، أبداً ...

هزلت كلمة أقل بمليون مرَّةٍ مما نحن فيه.

ليس النظام السيسي وحده متفرداً في عشق إسرائيل وإدانة غزة.

الشرق الأوسط اللندنية تنقل عن رئيس المخابرات السعودي السابق الأمير تركي الفيصل قوله:

حماس هي المسؤول الوحيد عن المذابح الجارية في غزة.

وأضاف: إنّ الصواريخ التي تطلقها حماس علىٰ إسرائيل لا تهدِّد أيَّ احتلال حَتَّىٰ لو وصلت لقلب تل أبيب.

---

(٨٨) . نحن هنا أما مشهد صغير خاطف عابر من مشاهد لا تنتهي من الخزي والعار العربي في التعامل مع القضية الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية منذ نشأتها وليس مع حماس وحسب. قبل أن تولد حماس كان هٰذا موقف النظام العربي ولم يتغير؛ كانت المقاومة علمانية فحاربوا لأنها علمانية، صارت المقاومة إسلامية فحاربوها لأنها إسلامية.

احترنا يا أقرع من أين نمسكك، إذا كانت صواريخ حماس ورقية وتافهة ولا قيمة لها حَتَّىٰ لو وصلت تل أبيب فكيف إذن هي المسؤولة عن المذابح الجارية في غزَّة؟!

من جهة أُخْرَىٰ نشر موقع روترنت الإسرائيلي في ٢٠١٤/٧/٢٨م أنَّ الاستخبارات السوريَّة تزوِّد إسرائيل بمعلوماتٍ عن نُظُم صواريخ حماس، في مقابل معلومات تحركات (المسلحين) في درعا والقنيطرة.

لا تسخروا من هٰذا الكلام

ولا تجعلوه يمر هكذا من دون تفكير

إِنَّهُ كلام خطير أكثر مما تتخيلون بكثير

العرب يضمنون أمن إسرائيل[٨٩]

شيء مثل الكذب

شيء يدعو للجنون

نتن ياهو يريد ضمان الأمن الكامل لشعب إسرائيل:

لا يكون ذَلكَ إلا بقتل الفلسطينيين واستسلامهم الخانع.

أوباما يريد ضمان أمان ورفاهية الشَّعب الأمريكي:

لا يكون ذَلكَ إلا بقتل العرب وقصفهم وعلىٰ حسابهم.

إيران تريد أن تكون دولةً عظمى قادرة علىٰ حماية ذاتها:

لا يكون ذَلكَ إلا بتقليم أظافر العرب وجعلهم تابعين لها.

روسيا تريد أن تقف أمام الغرب بنديَّة وتثبت أنَّها دولةٌ عظمى:

---

(٨٩) . نشر لهذا المقال في ٢٠١٤/٨/٢٠م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

لا يكون ذَلكَ إلا بمنع الشَّعب العربي من أن يكون صاحب قرار.

الاتحاد الأوروبي يريد أن يضمن أمان الأوروبيين ورفاهيتهم:

لا يكون ذَلكَ إلا بضربات استباقية لأمتنا وسرقة خيراتنا.

ونحن يا سادة

وأمتنا تريد ما يريد الجميع أيضاً

أمَّتنا أيُّهَا السَّادة، حكومات وشعوباً، تريد أن يعيش الإسرائيليون والأمريكيون والأوروبيون والروس والإيرانيون برفاه وأمان علىٰ حساب كرامتنا وعزَّتنا وشرفنا ودمائنا...

نحن أيها الأعداء متفقون معكم بالأهداف والطرق والنتائج

فاطمئنوا واستمروا فيما أنتم فيه مستمرون

وهٰذا هو تنديد دولي بمقتل الصحافي الطيار الأمريكي

وتصفيق دولي للقصف الأمريكي للعراق

والعرب ينددون مع المنددين ويصفقون مع المصفقين

عادي

فقتلنا خدمة للإنسانية ونكش شعورهم جريمة لا تغتفر

وهٰذا نتن ياهو الآن يقول صراحة وبوضح لا لبس فيه: العالم العربي والإسلامي كلُّه ضدَّ حماس، ويحارب حماس باستثناء قطر وتركيا.

هل ستردُّ دولةٌ عربيَّةٌ أو إسلاميَّةٌ علىٰ هٰذا الافتراء والكذب؟

أم أنَّ أحداً لن يكذب هٰذا الكلام لأنَّهُ هو الحقيقة عين الحقيقة؟؟

إنَّهُ الحقيقة عين الحقيقة وقد رأينا وتابعنا فضائح الأنظمة العربيَّة الممولة لقصف غزة من أجل القضاء علىٰ حماء في ٢٠٠٩م واليوم.

نعم العرب والمسلمون كلهم ضدَّ أيِّ حركةٍ أو قوَّةٍ تريد لهم الكرامة.

العرب في خدمة إسرائيل(٩٠)

العرب في خدمة إسرائيل كلام لم يعد جديداً بل الأغرب أنَّهُ لم يعد مستغرباً. المصيبة اليوم أنَّ إسرائيل لم تعد تجد حرجاً ولا عيباً ولا خوفاً من التَّصريح بذَلكَ أيضاً.

منذ نحو عشر سنوات بدأت السياسة الأمريكية والإسرائيلية تعمد إلىٰ الوضوح في مثل هٰذه المسائل، وفي مخططاتها تجاه المنطقة لأنها أدركت أنَّ خيوط العنكبوت لا تستر عورة، ولأنها تريد صدم الشعب العربي بهٰذه الحقيقة وتعويده عليها لتصير عاديَّة، وهٰذا ما ناقشته لدى مناقشتي مشروع الشرق الأوسط الكبير(٩١). وفي هٰذا السياق علىٰ يوسي بيليين علىٰ القرار السعودي بحظر الأخوان وعدهم جماعة إرهابيَّة قائلاً إنَّ هٰذا القرار يصبُ في صالح إسرائيل بشكل مباشر وغير مباشر. والأهم من ذَلكَ والأخطر قوله: «في الماضي كانت الدُّول التي تشكل محور الاعتدال تضطر إلىٰ اتخاذ خطوات مجاملة لأطراف معادية لإسرائيل، لَكنَّهَا الآن تشن حرباً لا هوادة فيها عليها». لا خوف وحياء ولا أدب ولا دين...

هٰذه النقطة هي مشهد مهم وخطير يستحقُّ أن يحمل عنوان الحكام العرب في خدمة إسرائيل. هي في ظاهرها حظر الأخوان المسلمين ومحاربتهم، ولَكنَّهَا معلمٌ لسياسة وحقائق في غاية الخطورة.

---

(٩٠) . نشر هٰذا المقال في ٢٠١٤/٤/٢٢م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي.

(٩١) . البحث منشور في كتابي: قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.

في نيسان ٢٠١٤م صرَّح رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو خلال كلمته أمام مؤتمر منظمة آيباك الصهيونيّة في الولايات المتحدة قائلاً:«صدِّقوني أنَّ حكَّاماً عرباً كثرين أخبرونا أنَّهُم لا يرون في إسرائيل عدوًّا، ونحن معنيون بأنْ نوفر الظُّروف التي تسمح بأن تخرج علاقاتهم معنا للعلن».

وفي السياق ذاته وفي هٰذه الآونة صرَّح رئيس شعبة الاستخبارات العسكريَّة السَّابق في الجيش الإسرائيلي، الجنرال عاموس يدلين، قائلاً: «إنَّ قرار السُّعودية باعتبار جماعة الإخوان المسلمين تنظيمًا إرهابيًّا، هو قرارٌ تأسيسيٌّ، يفتح الباب علىٰ مصراعيه أمام تحولات إيجابيَّة جدًّا تؤدِّي إلىٰ تحسن البيئة الإستراتيجيَّة لإسرائيل، علىٰ اعتبار أنها تضيق الخناق علىٰ أطراف تمثِّل تهديدًا للدَّولة العبريَّة، وفي مقدّمتها الحركات الإسلاميَّة السنيَّة» علىٰ حدِّ تعبيره.

وتابع الجنرال يدلين، الذي يرأس حاليًّا مركز أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي: «إنَّ القرار السُّعودي يعني أنَّ حكومة الرياض عاقدة العزم على دعم سلطة الانقلاب في مصر، وهٰذا يعني أنَّ السُّعوديَّة تؤكِّد التزامها بتوفير الظروف التي تدعم بقاء هٰذه السلطة، وهو ما يعد مصلحة استراتيجيَّة من الطراز الأول لإسرائيل. وهناك في تل أبيب من احتفى بهذا القرار، علىٰ اعتبار أنَّهُ سيؤدِّي إلىٰ تكثيف الحصار علىٰ المقاومة الفلسطينيَّة، سيَّما في قطاع غزة».

قرار السعودية بحظر الأخوان المسلمين وعدهم جماهة إرهابية، وهو ما لم تقبل أن تفعله دولة في العالم بما فيها إسرائيل والولايات

المتحدة وغيرهم... لقي احتفاء مدهشاً في إسرائيل، فإلىٰ جانب الجنرال يدلين لم يستطع دوري چولد كبير المستشارين السياسيين لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو الذي تجاوز الفرح بالقرار السعودي إلىٰ اقترحات ومطالب وجهها علىٰ صيغة آمال للسُّعودية فقد قال: «إنَّ إسرائيل تأمل أن يسفر القرار السُّعودي عن تشديد إضافيٍّ علىٰ وصول الأموال لحركات المقاومة الفلسطينيَّة، تحديدًا في قطاع غزة».

بل إنَّ چولد يعترف بأنَّ السُّعودية ودول الخليج قد قطعت شوطًا طويلاً في فرض رقابةٍ صارمة وقيود شديدة علىٰ تحويل الأموال من الخليج إلىٰ قطاع غزة . كما فعلوا في دعم الثورة السورية . ومع ذٰلكَ فإنَّ چولد يعرب عن أنَّ « تل أبيب تأمل أن يسفر القرار الأخير عن سد منافذ الدَّعم المالي للقطاع بشكل مطلق».

ولا يختلف ما يراه چولد عمَّا يراه كل المحللين الموضوعيين من أنَّ السلطة المصرية تحكم الحصار علىٰ غزة خدمة لإسرائيل، ويتابع بأنَّ القرار السعودي يكمل إجراءات إحكام الحصار علىٰ القطاع، بما سيؤدِّي إلىٰ إلحاق ضربةٍ قويَّةٍ لحركة حماس والمقاومة الفلسطينيَّة.

الأخطر من ذٰلكَ كلِّه علىٰ الإطلاق من وجهة نظري هو ما أفصح عنه أمنون لورد المحلل الشَّهير في صحيفة معاريف الإسرائيليَّة تحت إطار دعوة، الدَّعوة دعوةٌ، ولٰكنَّهَا في ظل كل ما سبق تبدو إفصاحاً عن ترتيبات سرية قائمة أو ستقوم، فقد دعا أمنون لورد دوائر صنع القرار الإسرائيلي إلىٰ جس نبض قيادات السُّعودية خاصَّةً ودول الخليج عامَّةً للنظر في شنِّ عمليَّات عسكريَّة مشتركةٍ علىٰ نحوٍ سريٍّ

لمواجهة المخاطر المشتركة المتمثلة بتنامي الجماعات الاسلامية في دول الربيع العربي.

خاتمة

أكرِّر مرَّةً ثانيةً أن هٰذه الفقرات أو المقالات المقتضبة التي تشكل مادة هٰذا الفصل ليست هي كلَّ الوجع، ولا هي صورة عنه، ولا جانباً منه... إنَّهَا فقط بعض مقالات ألقت الضَّوء علىٰ أربع مشاهد عشناها اليوم وما زلنا نعيشها.

الحقيقة التي لا بُدَّ من المرور بها هنا هي أنَّ هٰذا الوجع المزمن هو الذي فضح النظام العربي فضيحة بل فضائح مجلجلة علىٰ مجار ربع القرن الأخير في الحدود الدنيا، وفي الوقت ذاته فإن ممارسات الأنظمة العربيَّة جملة وتفصيلاً علىٰ مدار ربع القرن الأخير هٰذا علىٰ الأقل هي التي شرخت قارب النظام العربي وجعلته ملطشاً للرياح تخبط به الصخر حيناً وحيناً الجبال، والشاطئ الرمليَّ حيناً... حَتَّىٰ اهترئ وتخلع وتحطم ولم يعد من الممكن أن يبقى...

قلت في لقاء تلفزيوني عام ٢٠٠٠م: الفرصة متاحة الآن أمام الأنظمة العربية لتدراك الانهيار، فإذا ضاعت هٰذه الفرصة عليهم أن يتحملوا الطوفان.

لم يعد من الممكن أن يبقى النظام العربي مهما فعل من ترقيع أو ترميم... ولا مجال أبداً للإصلاح، كانت فرص الإصلاح متاحةً طيلة السِّنين الماضية كلها، ومنذ ربع القرن بدأت دائرة فرص الأنظمة تضيق وتضيق حَتَّىٰ لم يعد أمام الأنظمة العربية أيَّ فرصة إلا الموت نحراً أو انتحاراً.

بذل السلاطين العرب كل ما استطاعوا لقمع الثورة السورية ووضع حدٍّ للطوفان العربي. وبعضهم صار يقول لشعبه: انظروا ماذا حدث للسوريين، هل تريدون أن يحدث لكم مثلهم؟ ظنوا أنهم بذلكَ سيوقفون البركان، سيوقفون الانهيار. ولٰكن هيهات.

الطواغيت العرب حرقوا الثَّورة السُّورية ودمروا سوريا وشردوا الشَّعب السوري ليجعلوا من مأساة الثَّورة السُّورية بعبعاً يخيفون به شعوبهم. هٰذه حقيقة كررنا عشرات المرات منذ بداية الثورة.

ولٰكن قريباً وقريباً جدًّا، كما كرَّرت أيضاً، ستكون الثَّورة السُّورية كابوساً يقض مضاجع الطواغيت العرب. وسترون.

الفصل الحادي عشر

الحرب على الذات

مقدمة

الحرب على الإسلام قبل داعش

أكبر تحالف دولي عبر التاريخ

أوباما نويل يلبي طموحات العرب

أشعر بالزهور لحرص الغرب على الإسلام

لماذا لا يريدون إشراك إيران

من سيدفع فاتورة ضرب داعش

خاتمة

قد نتَّفق وقد نختلف علىٰ طبيعة الدَّولة الإسلاميَّة، قد نتَّفق وقد نختلف علىٰ تشددها أو تطرفها أو صوابها أو خطئها... ولٰكن تبقى هناك حقائق فوق الطعن.

الحقيقة المرة الكبيرة هي أنَّ الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة هي معلم بارز إن لم يكن أبرز معالم انهيار النظام العربي، بل رُبَّما تكون هٰذه الحرب هي الضربة القاصمة للنظام العربي لأنَّ الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة هي حرب علىٰ الذات بامتياز.

الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة حرب علىٰ الذات لا أكثر، حرب علىٰ الذات بكل ما تحمله الكلمة من معنى. بل الأدهى والأخطر والأشنع أنَّها علىٰ الذات علىٰ الذات وتمويل الأجنبي للعدوان علىٰ هٰذه الذات، يصح هٰذا الكلام مهما كانت طبيعة الدَّولة الإسلاميَّة ومهما كان الموقف منها.

للغرب مصالح في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة هٰذه حقيقة لا يمكن نكرانها، ولٰكنَّ الحقيقة التي تعلو ذٰلكَ هي أنَّ الأنظمة العربيَّة هي التي تقود الحرب وتمولها وتقوم بها، تقوم بهٰذه الحرب بكل تفاصيلها تحت زعم محاربة التطرف ومحاربة الإرهاب، وإنما هي في الحقيقة حرب علىٰ الإسلام، أي حرب علىٰ الذات، حرب علىٰ الإسلام بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وما هاب كثيرون قوله في هٰذا الشأن قاله محللون إسرائيليون.

في نيسان ٢٠١٤م عندما حظرت السعودية جماعة الأخوان المسلمين وحاربتها وصنفتها قوى إرهاب وظلامية، كان هناك الكثير من الفرح في إسرائيل، وردود الفعل الابتهاجية علىٰ مختلف المستويات. الجنرال السَّابق الإسرائيلي رون تيرا، الذي كان يشغل مواقع مهمة في شعبة الاستخبارات العسكرية، ويعمل باحثاً رئيساً في مركز أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، قال في دراسة أعدَّها ونشرها علىٰ موقع المركز الالكترونيِّ: «إنَّ العائلة الحاكمة في الرياض تناصب جماعة الإخوان المسلمين العداء لأنَّهَا تخشى أن تنتزع منها هٰذه الجماعة تمثيل الإسلام السني في العالم». علىٰ اساس أنَّ هٰذه السعودية راعية الإسلام (السني)، وعلىٰ أساس أنَّها تمثله، وعلىٰ أساس أنَّها تحميه... ولن نوغل في التشريح وعرض حقيقة الوضع الإسلامي في العالم وما فعلت السعودية فيه.

ويتابع الجنرال تيرا قائلاً: «إنَّ ما زاد من دافعيَّة السُّعودية للتصدي لجماعة الإخوان المسلمين هو تفجر ثورات الربيع العربي، ووصول جماعة الإخوان المسلمين للحكم في عدد من الدَّول العربية، سيما في مصر، الأمر الذي كان يؤذن بتحقق أكثر الأحلام سوداوية بالنسبة للعائلة المالكة بشأن اضطلاع (الإخوان المسلمين . الإسلاميين) بدور راعي الإسلام (السني)».

الأخطر من ذَلكَ كلِّه، في السياق ذاته، هو ما أفصح عنه أمنون لورد المحلل الشَّهير في صحيفة معاريف الإسرائيليَّة تحت إطار دعوة، الدَّعوة دعوةٌ، ولٰكنَّهَا في ظل كل ما سبق تبدو إفصاحاً عن ترتيبات سريَّةٍ قائمةٍ أو ستقوم، فقد دعا أمنون لورد دوائر صنع القرار الإسرائيلي إلىٰ جس نبض قيادات السُّعودية خاصَّةً ودول الخليج عامَّةً للنظر في شنِّ عمليَّات عسكريَّة مشتركةٍ

علىٰ نحوٍ سريٍّ لمواجهة المخاطر المشتركة المتمثلة بتنامي الجماعات الإسلاميَّة في دول الربيع العربي.

الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة لهذه الأسباب وليس لأي سبب آخر. فيما سيأتي من الفقرات وقفة عند بعض المحطات والمفاصل من الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة. بعض المحطات والنفصل لا أكثر لأن الموضوع كبير أفردت له كتاباً مستقلاً صدر في هٰذا العام بالتزامن مع هٰذا الكتاب تحت عنوان الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة. ومادة هٰذا الفصل مقتطفات من هٰذا الكتاب.

الحرب على الإسلام قبل داعش(٩٢)

يخطئ من يظن أنَّ الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة هي علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة ذاتها من أجل ذاتها أو بسبب وحشيتها التي ظهرت بها في وسائل الإعلام العربية والعالميَّة، أو بسبب قتل الأمريكيين أو غيرهم كما بدا سياق الإعلان عن التحالف الدَّولي وبدء الحرب ومسيرها حَتَّىٰ الآن.

دعونا نعد قليلاً لا كثيراً إلىٰ الوراء. العودة كثيراً إلىٰ الوراء مربكة لكثرة ما فيها من معطيات وحقائق وممارسات، وقد كتبت فيها الكثير في كثير من مقالاتي وكتبي المنشورة علىٰ مدار أكثر من ربع قرن مضىٰ تقريباً. وفي الحرب علىٰ الإسلام كتابات كثيرة أكثر من أن تعد أو تحصى. ومنها كتابي الذي يصدر بالتزامن مع هٰذا الكتاب تحت عنوان: العالم في مواجهة الإسلام، وكذلكَ كتابي خطر نجاح الإسلام في السُّلطة.

---

(٩٢) . هٰذا المقال جزء من مقال تحت عنوان الحصان الأبيض والحصان الأخضر، نشر في ٢٠١٣/١١/١٦م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي. وهو فصل من كتابي الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة الصادر بالتزامن مع هٰذا الكتاب.

ولذلك لن أوغل في العودة إلىٰ الحقائق والمعطيات. ولن أكثر منها، سأكتفي بوقفات سريعة مع الموقف الأمريكي من الثَّورة السُّورية وعلاقته بالحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة وتبيان أنَّ الحرب هي حرب علىٰ الإسلام قبل أن تكون حرباً علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة. وأنَّ هٰذه الحرب كان يعدُّ لها قبل ظهور الدَّولة الإسلاميَّة علىٰ السَّاحة. أمريكا كانت تخطط لضرب الإسلاميين في سوريا قبل ظهور الإسلاميين أصلاً علىٰ السَّاحة السُّورية.

بما أنَّ الحرب حرب علىٰ الإسلام أبدأ بحقيقة يجب أن تكون واضحة، لما لها من علاقة بالمفارقات التي تبدو في السِّياسة الأمريكيَّة والغربيَّة من سكوت علىٰ أشنع الجرائم التي ترتكبها أطراف مختلفة ضد المسلمين ووقف أمريكا معهم ضد المسلمين. المسلمون هم السنة، والسنة هم المسلمون. السنة ليست طائفة، السنة هم الأمَّة، هم الإسلام.

لقد بدا جليًّا منذ البداية أنَّ أمريكا لا تريد أن تنتصر الثَّورة السُّورية وتتهرب من دعمها بل صرحت غير مرة بعدم دعمها، وراحوا يتهربون بمختلف الطرق والسبل، في ٢٠١٢/٧/١٨م قال الأمريكيون بوضوح: «لن نتخذ أيَّ إجراء قبل نهاية الانتخابات الأمريكية»، وأضفت قائلاً: «ولن يتخذوا أيَّ إجراءات بعد الانتخابات».

في ٢٠١٢/١١/٢٥م وقفت أمريكا والعالم كله مع محمد البرادعي الشَّخصيَّة العالميَّة الشهيرة، أحد أكبر المؤمنين بالحوار في العالم، فر رفضه الحوار مع الرئيس المصري محمد مرسي، إذ أعلن أنَّهُ لن يقبل أيَّ حوارٍ مع الرَّئيس المصري محمد مرسي لأنَّ الأخير أعلن إعلاناً دستوريًّا هو مطلب الشَّعب أو معظمه لمحاكمة القتلة وفلول النِّظام السَّابق... في حين أنَّ هؤلاء جميعاً يريدون

أن يفرضوا علىٰ السُّوريين الثائرين الحوار مع النِّظام. الأمر له دلالات كثيرة في سياق الموضوع.

ففي ٢٠١٢/١٢/١٢م برزت ملامح الطبخة الأمريكيَّة الروسيَّة التي يريدون فيها فرض حكومة وفاق من النِّظام والمعارضة وبقاء كلِّ شيء علىٰ ما هو عليه.

كل ذٰلكَ كان خوفاً من وصول الإسلاميين إلىٰ السلطة في حال انتصار الثَّورة. وكل ذٰلكَ وغيره كان قبل وجود داعش أو النصرة أو أي تشكيل أو جماعة إسلاميَّة علىٰ الساحة السُّورية، باستثناء الأخوان المسلمين الذين آثروا أن لا يظهروا علىٰ الساحة بشكل من الأشكال حرصاً علىٰ عدم تذرع النظام والعالم بأنهم يحاربون متطرفين إسلاميين.

في ٢٠١٣/٢/٩م أعلن الرَّئيس الأمريكيُّ باراك أوباما قائلاً: «لن نسمح بوصول أسلحةٍ نوعيَّةٍ للمعارضة تهدِّد أمن إسرائيل وأمريكا». وكان هٰذا التصريح أول تصريح واضحٍ، فيما كان مسبوقاً بالسُّلوك والتَّلميح من بَيْنَ السُّطور. ولا يمكن فهم هٰذا التصريح بعيداً عن الفهم السَّابق الذي أشرنا إليه ولم تخفه أمريكا.

وفي ٢٠١٣/٢/٢٤م بدأت أمريكا ذاتها تتحدث عن استحالة الحسم العسكري وضرورة الحلِّ السِّياسي لتبعد شبح فوز الإسلاميين بالسُّلطة، ولم تكن النُّصرة في هٰذا الوقت شيئاً مذكوراً سوى بشعبيتها علىٰ قلة عددها وحضورها علىٰ السَّاحة الثَّورية والسُّورية. وفي اليوم التالي أعلنت أمريكا عن استعدادها لتدريب الجيش الحر، هٰذا التَّصريح الذي لقي من السُّخرية ما لاقى، غير مدركين التخطيط الأمريكي لصنع جيش بديل يحارب الإسلاميين ويقف أمامهم.

لم يطل الأمر كثيراً أبداً فما هي إلا أيام ثلاثة، أي في ٢٠١٣/٢/٢٨م أعلن وزير الخارجية الأمريكي جون كيري قائلاً بوضوح لا لبس فيه: «لن نسلح المعارضة السُّورية حَتَّىٰ يتمَّ تطهير الجيش الحرِّ من الإسلاميين». ولم يكن الإسلاميون حينها سوى جبهة النصرة التي كانت كما قلنا قليلة العدد والقوة والحضور. ولذلك لم تكن هي المقصودة بالتصريح أكثر من غيرها ممن يمكن أن يحسبوا علىٰ الإسلام.

أول تصريح يصرح فيه باسم النصرة ويعلن الأمريكان والغرب ضرورة الحرب عليها كانت في ٢٠١٣/٣/٥م، إذ أعلن ناطق باسم البيت الأبيض أنَّ «الغرب يتخوَّف من الصِّراع بَيْنَ جبهة النُّصرة والجيش الحر بعد الثَّورة، ولذلك يجب البدي الآن بالقضاء علىٰ جبهة النُّصرة». جبهة النصرة التي كانت ذات رصيد كبير لدى الشَّعب السُّوري لما لها من سمعة حسنة وأخلاق عالية رفيعة، حَتَّىٰ سمَّت الثَّورة السُّورية جمعة باسم جبهة النصرة تمثلني. ولم يكن للدَّولة الإسلاميَّة أي حضور أو ذكر علىٰ السَّاحة السُّورية ولا حَتَّىٰ العراقيَّة.

وتكتمل دائرة الحدث هنا بعد شهر تقريبا في ٢٠١٣/٤/١٣م عندما صرَّح رئيس المخابرات الأمريكية جون برينان قائلاً: «لقد انتهينا من مرحلة جمع المعلومات عن الجماعات الإسلاميَّة في سوريا وننتظر موافقة الإدارة الأمريكيَّة لضربها بطائرات من دون طيار...».

مع هٰذا التَّصريح الذي لا لبس فيه، وكما هو بالحرف يبدو جليًّا أن الحرب مخطط لها قبل ظهور الدَّولة الإسلاميَّة علىٰ الساحة وقبل وجودها أصلاً بصيغة الدَّولة الإسلاميَّة في العراق والشام أو داعش أو الدَّولة الإسلاميَّة أو الخلافة الإسلاميَّة.

كيف بعد هٰذه الحقائق التي لا تقبل الشك يمكن قبول أنَّهُ لولا الدَّولة الإسلاميَّة لما كان التحالف الدَّولي، ولولا الدَّولية الإسلاميَّة لما كانت هناك حرب عالمية علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة، ووحشية الدَّولة الإسلاميَّة هي التي جرت الحرب عليها وعلىٰ المنطقة... وغير ذٰلكَ كثير من الترهات والسخافات التي لا تساوي قشرة بصلة عفنة. الحرب موجودة وقائمة ومخطط لها سواء أَوِجدت الدَّولة الإسلاميَّة أم لم توجد... سواء أكانت وحشية أو ملائكية.

ولذٰلك كتبت في ٢٠١٣/١١/١٦م:

الحصان الأبيض والحصان الأخضر

نبت الشعر علىٰ ألسنة المحذرين منذ سنين وهم يكررون:

أكلت يوم أكل الحصان الأبيض

أكلت يوم أكل الحصان الأبيض

أكلت يوم أكل الحصان الأبيض

من يجب أن يفهموها ظنوها دندنةً لتأليف أغنية:

«بحبك يا حصان بدل بحبك يا حمار»

في سياق الحصان الأبيض والحصان الأخضر

بدأ بعض السُّوريين المحسوبين علىٰ الثَّورة يتذمَّرون من وجود جبهة النَّصرة وداعش، ويتبرؤون منهما، لأنَّ دول العالم العربيَّة قبل الغربيَّة متذمِّرة منهم، وتحاربهم، وتتنكَّر للثَّورة السُّورية بسبب وجودهم فيها...

يا ترى، لولا وجود النصرة وداعش في الثَّورة السُّورية، ألم تكن الولايات المتحدة والدَّول الأوروبيَّة والعربيَّة قد اجتاحت سوريا بملايين الجنود لتخليص الشَّعب السُّوري من هٰذا النظام؟؟؟

ما أكثر ما قالوا: «ومن الهبل ما قتل...».

ألا تذكرون أنَّهُم كلُّهم من أمريكا إلىٰ أوروبا إلىٰ الصِّين والمحيط العربيِّ والإسلاميِّ كانوا منذ البداية قد:

اعترضوا علىٰ خروج المظاهرات السِّلميَّة من المساجد...

وعندما يذكر اسم الله في اسم جمعة يتأففون ويتسآلون: لماذا يقولون الله أكبر، لماذا يقولون يا الله؟؟؟

وأقاموا آلاف النَّدوات والأبحاث للنَّظر في: لماذا يوم الجمعة وما هي دلالته الأصوليَّة؟!

وعندما كانوا يقولون الله أكبر لدى تلقِّي رصاص أسلحة النظام كانوا يحتجُّون ويستغربون...

وعند تشكيل كتائب الجيش الحر توقفوا عند أسماء الكتائب والألوية: لماذا الفاروق، ولماذا سيف الله المسلول...؟!

متى لم يخترع الغرب ومعه الأنظمة العربيَّة ألف ذريعةٍ وذريعةٍ لتسويغ وقوفهم مع النِّظام ضدَّ الثَّورة ولتسويغ محاربتهم الإسلام؟؟؟

وَمَازَالَ الكَثِيْرُ مِنَ الغَنَمِ يُؤْمِنُ أَنَّ الذِّئْبَ حَيَوَانٌ نَبَاتِيٌّ!!!

وفي الخامس من تشرين الثاني ٢٠١٣ عرضت قناة العربيَّة تقريرا عجيباً جاء فيه:

المجاهدون يجلبون الشُّهداء معهم بعد المعركة ويصورونهم وهم عابسون بائسون ثُمَّ يذهبون إلىٰ الفوتوشوب ويحوِّلون الثَّغر البائس إلىٰ ابتسامات عريضة!!!

سنقول: ممكن...

ولٰكن كيف يمكن تحويل العبوس إلىٰ ابتسامة في الفيديو؟؟؟

سنخدع عقلنا ونقول: ممكن...

ولٰكن كيف يمكن فلترة العيون التي ترى ابتسامة الشَّهيد وهو مسجى أمامهم؟؟؟

أرجو ممن يتواصل مع قناة العربيَّة أن يهمس بل يصرخ في آذانهم: عيب عليكم...

وَمَازَالَ الكَثِيْرُ مِنَ الغَنَمِ يُؤْمِنُ أَنَّ الذِّئْبَ حَيَوَانٌ نَبَاتِيٌّ...

إذن

إيَّاك أن تبتسم وأنت تستشهد. فقناة العربية والصحافة الأمريكيَّة ترى أن ابتسامتك وأنت شهيد دعاية تجارية... يعني ماركة غير مسجلة تفرض عليك دفع ضرائب باهظة.

فإذا استشهدت مبتسماً أوص رفاقك أن يمكيجوا ابتسامتك لتبدو عبوساً. كي لا تلاحقك مصلحة الضَّرائب لدفع غرامة ابتسامةٍ تجاريَّةٍ غير مرخَّصةٍ.

وَمَازَالَ الكَثِيْرُ مِنَ الغَنَمِ يُؤْمِنُ أَنَّ الذِّئْبَ حَيَوَانٌ نَبَاتِيٌّ.

سبقت الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة حربٌ إعلاميَّةٌ لا أقول استثنائيَّة ولا أقول غير مسبوقة، ولٰكنَّهَا كانت بالتَّأكيد تدار من غرفٍ مظلمةٍ موحَّدةٍ توزع الأدوار والمهمات والوظائف علىٰ أعضاء الفريق جميعاً بطريقةٍ ذكية جدًّا، وكان الفريق المختص الذي يعمل في هٰذه الحملة الإعلاميَّة كبيراً جدًّا استطاع أن يفرض إيقاعه علىٰ وسائل التَّواصل الاجتماعي إلىٰ حدٍّ كبيرٍ جدًّا حَتَّىٰ لقيت الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة تعاطفاً كبيراً من السُّوريين علىٰ نحو خاصٍّ الذين

كانوا رأس الحرب في الحملة الإعلاميَّة كون الدَّولة الإسلاميَّة تتحرك علىٰ الأرض السُّورية بل تحركت علىٰ الأرض السُّورية قبل تحركها في العراق بالصيغة التي كانت الحرب العالميَّة عليها. ليس تناقضاً مع الواقع، أعني ما قلته، فالدَّولة الإسلاميَّة موجودةٌ منذ عام ٢٠٠٦م، ولٰكنَّ ظهورها بالطَّريقة الجديدة برز في سوريا بداية علىٰ رغم أنَّها موجودةٌ اصلاً في العراق وتدار من العراق. والحرب عليها بدأت من الجبهة السُّورية.

الدَّولة الإسلاميَّة التي حارب الاستعمار الأمريكي وأجبرت أمريكا علىٰ مغادرة العراق تمت شيطنتها في العالم الإسلامي وصارت عميلة أمريكا بقدرة قادرة... أمريكا تحاربها ومع ذٰلكَ هي عند المسكليم عميلة أمريكا!!! وصارت عميلة إيران، غيران تحاربها بكل قوتها ومع ذٰلكَ هي عند المسلمين عميلة إيران!!! وصارت عميلة النظام السوري، النظام السوري يعاني منها ويحاربها بكل الوسائل والسبل ومع ذٰلكَ هي عند السوريين عميلة النظام السوري!!!

أكبر تحالف دولي عبر التاريخ(٩٣)

قال جون كيري اليوم ٢٠١٤/٩/٩م: علىٰ كلِّ دول في العالم (كل دولة في العالم) أن يكون لها دورٌ في القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة... بالمال، بالسِّلاح، بالرِّجال، بالإغاثة... وكاد يقول: ومن لم يستطع شيئاً من ذٰلكَ فعليه بالدُّعاء وهو أضعف الإيمان. ولولاء الخوف من السخرية لقال: وسنركِّب حسَّاسات مراقبة لمعرفة من لا يريد أن يشارك في هٰذه الحرب.

(٩٣) . هٰذا المقال جزء من مقال بالعنوان ذاته نشر في ٢٠١٤/٩/٩م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي. وهو فصل من كتابي الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة الصادر بالتزامن مع هٰذا الكتاب.

هٰذه هي فكرة قريش ذاتها في قتل الرسول إذ جمعت من كلِّ قبيلةٍ رجلاً حَتَّىٰ يضيع دم الرسول بَيْنَ قبائل العرب ولا يُطَالبَ أحدٌ بدمه.... وقريش اليوم أيضاً هي صاحبة الفكرة وليست أمريكا. ناهيكم عن جورج بوش الأب وقف مثل هٰذا الموقف في حربه علىٰ دولة الخلافة الإسلاميَّة في أفغامسنتان عندما أعلن بوضوح: من لم يقف معنا في حربنا فهو ضدنا... وأعلن في الخطاب ذاته: إنَّهَا الحرب الصليبية الجديدة.

ولٰكن يا ترى، إذا نظرنا في هٰذا الإجماع العالمي ذاته، بَيْنَ الأديان والقوميات والشُّعُوب التي كلها متناقضة مع بعضها ورُبَّمَا متحاربة... أليس فيه ما يقود إلىٰ ردة فعل عند الشُّعُوب الإسلاميَّة، وحَتَّىٰ عند كثيرٍ من الشُّعُوب التي ستفكِّر بهدوء... تؤدِّي إلىٰ ولادة جيل أكثر تعصُّباً وأكثر تطرفاً من شباب الدَّولة الإسلاميَّة التي اجتمع عليها العالم في تحالف غير مسبوق عبر التاريخ.

لا مبالغة أبداً في ذٰلكَ. إنَّهُ تحالفٌ غيرُ مسبوقٍ في التَّاريخ. التَّحالف الدَّولي الرَّاهن ضدَّ الدَّولة الإسلاميَّة يضمُّ حَتَّىٰ الآن أربعين دولةً[٩٤] مؤكَّدةً بَيْنَهَا معظم الدَّول العربيَّة[٩٥]. وكيري يطالب كلَّ دولةٍ في العالم بأن يكون لها دور.

حسناً لنترك تصريح كيري اليوم. يكفينا الأربعين دولة. تحالف الأربعين دولة هو أكبر من تحالفات الحربين العالميتين بكلِّ تأكيد. أكبر

---

(٩٤) . وصل عدد الدَّول المشاركة في التحالف بعد كتابة هٰذا المقال بفترة قصرة إلىٰ اثنتين وستين دولة حسب تصريحات جون كيري ووسائل الإعلام العربية والعالمية.

(٩٥) . اكتشفنا لاحقاً أنَّ الدَّول العربية هي الفاعل الأساسي والحقيقي في القصف بينما دور طيران التحالف المساندة العلوية والخلفية والإمداديَّة لا أكثر.

من التَّحالف الدَّولي مع أمريكا للثَّأر من طالبان إثر اتِّهام القاعدة الجائر بأحداث الحادي عشر من أيلول. هٰذا التَّحالف اليوم ضدَّ الدَّولة الإسلاميَّة داعش أكبر من التَّحالف الدَّولي لتحرير الكويت والعدوان الأوَّل علىٰ العراق. هٰذا التَّحالف الدَّولي اليوم أكبر من التَّحالف الدَّولي لاحتلال العراق... وقبل هٰذه التَّحالفات لم يعرف التَّاريخ تحالفات بمثل أقل أقلها أضعافاً.

لن نتحدث عن الغباء العربيِّ والإسلاميِّ فهو مقرفٌ وغير محدودٍ. ولٰكن أذكر أنَّهُ ليس في هٰذا الحشد ما هو مستغربٌ من أمريكا أو الغرب. لقد قالها باراك أوباما صراحة: «لن نسمح بقيام الدَّولة الإسلاميَّة». قالها بهٰذا النَّص وحرفيًّا في خطاب له إثر سيطرة الدَّولة الإسلاميَّة علىٰ مناطق واسعةٍ من العراق وإعلان الخلافة الإسلاميَّة وتغيير اسم الدَّولة من دولة الإسلام في العراق والشام إلى الدَّولة الإسلاميَّة. ومنذ ما قبل ذٰلكَ الحين والغرف الاستخباراتيَّة تعمل علىٰ قَدَمٍ وساقٍ للقضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة. ولٰكن بعد التَّجارب القاسية لأمريكاً في حروبها في المنطقة قررت أن تفكر مليًّا في الحروب الجديدة. فكانت النتيجة كما أعلنها أوباما وكيري وغيرهم من كبار المسؤولين الأمريكان هي أن أفضل وطريقة للقضاء على الدَّولة الإسلاميَّة هي أن يحاربها المسلمون (السُّنَّة) أنفسهم، وقد صدر غير تصريح يقول: لا يمكن القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة إلا بالإعلام... يجب نزعها من صدور المسلمين، يجب تشويهها في نفوس المسلمين، وهٰذا ما تمَّ برعاية وإدارة خليجية معيَّنة وأيدي سوريَّةٍ لأنَّ سوريا هي التي شوَّهت الدَّولة الإسلاميَّة منذ أكثر من سنة، وتكرَّس كثيراً في نفوس السُّوريين أن داعش هي السُّوء عينه ولو حرَّرت بيت المقدس، ولو رفعت راية

الإسلام فوق البيت الأبيض. كان هٰذا بعد سلسلة اتهامات متتالية تغير بتغير انفضاح الاتهام من عميلة للنظام إلىٰ عميلة لإيران إلىٰ عميلة لأمريكا إلىٰ عميلة لإسرائيل وأخيراً الخوارج... الخوارج الذين يريدون تشويه الإسلام... وتخيلوا كيف أنَّ أمريكا تحشد أربعين دولة لمحاربة الخوارج الذين يريدون تشويه الإسلام. أمريكا تريد محاربة من يشوه الإسلام...

يا سلام.

أيُّ حمق هٰذا وأيُّ غباء؟!

بل إنَّ جون كيري في خطاب اليوم ذاته قال: «نريد أن نحارب هٰذه الجماعة لأنَّهَا تشوِّه أكثر الأديان سِلميَّة». والطَّريف كذٰلكَ في الأمر أنَّ زعماء العالم المسيحي في هٰذه الفترة يشنُّون حملةً بعنوان: «لا يجوز الرَّبط بَيْنَ الإرهاب والإسلام». كل زعماء الغرب لا ينسون هٰذه العبارة في خطاباتهم في هٰذه الأيام.

الحملة في وقتها المناسب واللازم. كلَّما شنَّ الغرب حملةً علىٰ الإسلام ترافقت الحملة مع حملة تصريحات تمدح الإسلام، وتعلن أنَّهُ لا يجوز الرَّبط بَيْنَ الإسلام والإرهاب.

هم يريدون إقناع المسلمين بأنَّ القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة ليس لأنَّ الإسلام إرهابيٌّ، بل لأن الدَّولة الإسلاميَّة تشوِّه الإسلام.

طبعاً الشَّعب المسلم من دون هزٍّ ينام، لا يحتاج من يقنعه بالحملة، لأنَّهُ تقريباً مشارك فيها عن بكرة أبيه وأبيها... بل الأنظمة العربية رأس الحرب والفاعل الحقيقي فيها.

أوباما نويل يلبي طموحات العرب[٩٦]

الإئتلاف الواطني السُّوري لقوى المعارضة اليوم قال علىٰ لسانه ولسان كثيرٍ من أعضائه في لقاءات وتصريحات: «إنَّ قرار أوباما بضرب الدَّولة الإسلاميَّة يلبي طموحات الشَّعب العربي».

ليست قيادة الإئتلاف السُّوري وحدها في هٰذا التَّرحيب والتَّصفيق الصَّفيق الصَّفيق بل معظم زعماء العرب ومفكرين عرب أبدو ارتياحهم الشَّديد لقرار أوباما، وقالوا بأنَّ هٰذا القرار يلبي طموحات شعوب المنطقة.

إذن، أوباما نويل يلبي طموحات الشُّعوب العربيَّة والمسلمة...

ولٰكن الفايننشل تايم اليوم أي ٢٠١٤/٩/١١م عنونت بالخطِّ العريض أن: «الإدارة الأمريكيَّة تواجه عدم ثقة العرب في جديتها بالقضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة...». هٰذا العنوان ليس بالجديد، فقد تواترت بعض الأنباء منذ أيام بأنَّ العرب لن يشاركوا في الحملة الأمريكيَّة حَتَّىٰ تقدِّم الإدارة الأمريكيَّة ضماناتٍ بعدم تراجعها عن القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة.

يبدو أنَّ العرب لا يستطيعون التَّعايش مع الإسلام ولا مع الدَّولة الإسلاميَّة وهم يشكُّون في أنَّ الإدارة الأمريكيَّة جادَّة في القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة... يبدو أنَّ العرب يظنُّون أنَّ أمريكا عميلة للإسلام ولا تريد أن تحاربه... عميلة للدولة الإسلاميَّة ولا تريد القضاء عليها، يعني عكس كل ما كان يروج لها الإعلام من أنَّ الدَّولة الإسلاميَّة عميلة لأمريكا، طلعت أمريكا

---

(٩٦) . هٰذا المقال جزء من مقال بالعنوان ذاته نشر في ٢٠١٤/٩/١١م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي. وهو فصل من كتابي الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة الصادر بالتزامن مع هٰذا الكتاب.

هي العميلة للدولة الإسلاميَّة... هكذا رُبَّما تظن الأنظمة العربيَّة التي تشكُّ في جديَّة أمريكا في حربها ضدَّ الدَّولة الإسلاميَّة... الدَّول العربيَّة لا تحب المزح، ولا تقبل بالوعود الغامضة، تريد ضمانات أكيدة بأنَّ أمريكا ستقضي علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة.

ولٰكن مع كلِّ شكوكهم في الإدارة الأمريكيَّة وميلهم إلىٰ عدم جدية الأمريكان في القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة فإنَّهُم لم يستطيعوا تفويت فرصة الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة لعَلَّهَا تأتي بنتيجة، فقد قام اليوم وزير الخارجيَّة الأمريكي جون كيري بتدشين مؤتمر مكافحة الإرهاب أي مكافحة الدَّولة الإسلاميَّة بعشر دولٍ عربيَّة ومعهم تركيا، ومكان المؤتمر جدة.

أتى هٰذا المؤتمر تلبية لدعوة أوباما نويل وتنفيذاً لاستراتيجيته التي أعلنها أمس بأنَّ محاربة الدَّولة الإسلاميَّة يجب أن تكون بأيدي المسلمين أنفسهم (السُّنَّة)، وأنَّ أمريكا لن ترسل أي جنديٍّ لمحاربة الدَّولة الإسلاميَّة، علىٰ اعتبار أنَّها لا ناقة لها ولا جمل في القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة، المسلمون هم من يريد القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة، المسلمون هم من يريد محاربة الإسلام، بسبب حساسيتهم الزائدة من الإسلام، وليس المسيحيون ولا غيرهم، ولذٰلك علىٰ المسلمين أنفسهم أن يقتلوا أنفسهم بأيديهم، لا مصلحة لأمريكا في تلويث أيديها بدماء المسلمين.

أمريكا والغرب عامَّة لا مصلحة له بقتل المسلمين، أمريكا والغرب حريصون علىٰ الإسلام، حريصون علىٰ الصُّورة الحسنة للإسلام، ولذٰلك سعت أمريكا والغرب إلىٰ حشد دوليٍّ كبيرٍ لمحاربة الدَّولة الإسلاميَّة لأنَّ الدَّولة الإسلاميَّة لا تمثِّل الإسلام، بل إنَّهَا تشوِّه الإسلام، وهٰذا لا يرضي أمريكا ولا يسرها،

ويزعجهـا، ويعكـر مزاجهـا، ويجعلهـا تقلـق ولا تعـرف كيـف تنـام لأنَّ الدَّولـة الإسلاميَّة تشوِّه صورة الإسلام.

أشعر بـالزهور لحرص الغرب على الإسلام(٩٧)

هل بقي قائدٌ أو زعيمٌ غربيٌّ لم يبك كلُّ يوم ثلاث مرَّات ألماً علىٰ تشويه الإسلام علىٰ يد داعش؟

أليس مما يدعو إلىٰ الفرح أن يكون قادة الغرب أكثر حرصاً علىٰ الإسلام من المسلمين، إلىٰ درجة أنَّهُم لا ينامون الليل وهم يخطِّطون لمحاربة الخوارج أعداء الإسلام الذي يقدِّمون صورةً سيئةً ومسيئةً للإسلام؟

أشعر بالزهور الافتخاري بهٰذا الاندفاع الأمريكي الفرنسي البريطاني الهولندي البلجيكي الدنماركي الإسباني الإيطالي... للدِّفاع عن الوجه المشرق للإسلام.

لقد تكركبت أمريكا والغرب من الصُّورة السَّيئة التي تقدِّمها داعش للإسلام، ولم يستطيعوا النَّوم أبداً من شدَّة القلق من هٰذه الصُّورة المشوَّهة للإسلام التي قدمتها الدَّولة الإسلاميَّة. وظلُّوا يعملون بدأبٍ ونشاطٍ وحماسٍ حَتَّىٰ استطاعوا أن ينشئوا تحالفاً دوليًّا جراراً، هو الأكبر عَبْرَ التَّاريخ، من أجل القضاء علىٰ حملة تشويه الإسلام التي تقودها الدَّولة الإسلاميَّة...

لا يجوز تشويه الإسلام...

هٰكذا يكرِّر قادة الغرب جميعاً اليوم.

---

(٩٧) . هٰذا المقال جزء من مقال بالعنوان ذاته نشر في ٢٠١٤/٩/١٢م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي. وهو فصل من كتابي الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة الصادر بالتزامن مع هٰذا الكتاب.

إنَّهُم يتطيَّرون ضجراً من سلوكات الدَّولة الإسلاميَّة التي تسيء للإسلام، ولن يهدأ لهم بالٌ حَتَّىٰ يضعوا حدًّا لحملة تشويه الإسلام ويقضوا علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة.

وهٰذا فرانسوا أولاند يقول: «داعش مجرمة، لا تمثل الإسلام... داعش تخير النَّاس إمَّا معي أو ضدِّي... هٰذا لا يجوز... يجب القضاء عليهم...».

حسناً سيد أولاند، عندما قال جورج بوش الصَّغير ذٰلكَ قبل ثلاث عشرة سنة صفقتم له ورأيتهم أنَّ عين الصَّواب ما قاله بوش الصغير: إما أن تكون مع أمريكا أو تكون مع الإرهاب. وذهبتم جميعاً معه في محاربة الإرهاب الذي كان هو الإسلام، وقد أعلنها بوش الصغير بوضوح: إنَّهَا الحرب الصليبية...

بعد أن لمس العرب تحديداً والمسلمون عامَّة هٰذا الحرص الأمريكي الأوروبي علىٰ الإسلام تبدَّدت المخاوف من تراجع أمريكا عن القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة. ولذٰلك تزايد إقبال الدَّول العربيَّة والمسلمة علىٰ تقديم الخدمات للتَّحالف من أجل القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة.

أمريكا اليوم أعلنت، تقريباً، عن تمديد باب التَّطوع لتقديم الخدمات للتَّحالف الدَّولي للقضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة بسبب الإقبال الشَّديد من الدَّول العربيَّة والإسلاميَّة علىٰ تقديم الدَّعم والمؤازرة للتَّخلص من الدَّولة الإسلاميَّة. هٰذا الأمر الذي ألجأ وزير الخارجية الأمريكي جون كيري قائد هيئة الأركان الأمريكية علىٰ القول:

لم يتم تحديد دور كلِّ دولةٍ في الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة... بانتظار انضمام المزيد من الدَّول. أمريكا لن تفعل شيئاً أكثر من تنظيم الدور وتوزيع الأدوار والمهمات والقصف الجوي.

أربعين دولة وضعت نفسها تحت تصرف الولايات المتحدة الأمريكية في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة، ومع ذَلكَ تعلن الإدارة الأمريكية عدم رضاها عن الإقبال علىٰ التَّحالف... تكرر منذ أمس أنَّ التَّحالف لا يكفي، وأنَّها بحاجة إلىٰ مزيد من الدَّول.

لستم الملومين أيُّها الغرب

اللوم علىٰ أمَّةٍ:

فوقها بَلَهٌ

وتحتها بَلَهٌ

وحولها بَلَهٌ...

كلها بَلَهٌ في بَلَهٍ

لماذا لا يريدون إشراك إيران(٩٨)

لماذا لا يريدون إشراك إيران؟

إيـران لم تتلـق أيَّ طلـبٍ للمشـاركة في التَّحـالف الـدَّولي ضـدَّ الدَّولـة الإسـلاميَّة. ولٰكـنَّ إيـران تعلـن رفضـها المشـاركة في هٰـذا الحلـف مـن جهـة أولى، وتسـتفز أمريكـا للمضـي في القضـاء علـىٰ الدَّولـة الإسـلاميَّة مـن جهـة أُخْـرَىٰ. فهـذا خـامنئي أمـس يسـتفزَّ الغـرب مـن أجـل عـدم التَّراجـع عـن ضـرب الدَّولـة الإسـلاميَّة، قـال إنَّـهُ: «يشـكُّ في جديَّـة الغـرب في القضـاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة».

(٩٨) . هٰذه المقال جزء من مقالين أولهما كتب ونشر في ٢٠١٤/٩/١٦م تحت عنوان: لماذا لا يريدون إشراك إيران؟، والثاني كتب ونشر بتاريخ ٢٠١٤/٩/١٨م تحت عنوان: التمنع الإيراني الكاذب. وهو فصل من كتابي الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة الصادر بالتزامن مع هٰذا الكتاب.

قال ذَلكَ لأنَّهُ فيما يبدو استشعر أنَّ الغرب أدرك عواقب التَّورط في استعداء المسلمين (السنة يعني)، وهٰذا ما حاولت الصحافة البريطانية تبيانة علىٰ مدار الأيام الثَّلاثة الماضية، التي أدركت خطورة هٰذه الورطة التي وقع فيها الغرب بمحاربة الدَّولة الإسلاميَّة، وبعضهم وجه تحذيرات شديدة لأوباما من مخاطر هٰذا التَّورط.

لهٰذا تحديداً علىٰ الأقل لا تريد أمريكا والغرب ضمَّ إيران ولا النِّظام السُّوري إلىٰ الحلف؟

ولٰكن قبل الجواب والتوضيح يجب أن نعلم أنَّ إيران مشتركة في التحالف، ومساهمة في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة أكثر من غيرها بكثيرٍ، وهي أشدُّ من يحرص علىٰ القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة... رُبَّما يفوق حرصُها ذَلكَ حرصَ الأنظمة العربيَّة.

يعني اعترفت إيران أم لم تعترف هي موجودة بقوَّة علىٰ الأرض بمختلف أنواع الوجود في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة.

ولٰكن لماذا لا تريد أمريكا والغرب إشراك إيران ولا النِّظام السُّوري؟

لا يجوز القول إنَّها لا تريد إشراكهما وإنما يستحسن القول: لماذا لا تريد الإفصاح أو فضح مشاركتهما في التَّحالف والتَّنسيق معهما علىٰ الملأ؟

الحقيقة أنَّ أمريكا والغرب أدركوا الخطورة الشَّديدة من هٰذه الورطة في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة، فهي تعلن بذَلكَ أنَّهَا تحارب الإسلام (السنة) دون غيره، وبطريقةٍ مباشرةٍ ومقصودةٍ. غاضين الطَّرف عن جرائم الشِّيعة ضدَّ السُّنة في العراق وسوريا ولبنان وإيران.

لقد أدركت أنَّ إشراك إيران علناً في التَّحالف سيزيد أحقاد الإسلام (السنة) ويقلب كفَّة الموازين ضدَّهم، إن لم يكن اليوم علىٰ يد هٰذا الجيل الغائب عن الوعي فعلىٰ يد الجيل القادم، لأنَّ الحرب ستبدو ضدَّ السُّنَّة بوضوحٍ فاجر، وليست ضدَّ الإرهاب كما يزعمون، ولا ضدَّ الدَّولة الإسلاميَّة وحسب كما يزعمون.

الحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع هي أنَّ أمريكا نسَّقَتْ مع إيران علىٰ كلِّ الخطوات في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة، ورسمت إيران لنفسها دورها وقدرتها علىٰ الفعل وأبلغت الإدارة الأمريكيَّة بنسق مما ستفعله، وأمريكا موافقة علىٰ ذٰلكَ، وراضية به ومسرورة، وستكشف الأيام القادمة هٰذه الحقيقة. وكل ما يقال عن عدم رغبة أمريكا بمشاركة إيران في التَّحالف، أو رفض إيران المشاركة في التَّحالف ليس إلا كذباً صريحاً خالصاً، ولٰكنَّهُ كذب أحمق من الطَّرفين لأنَّ الحقائق علىٰ الأرض، والمعلنة سابقاً تثبت عكس ذٰلكَ.

ينطبق الأمر نفسه علىٰ النِّظام السُّوري، وهنا صار من السَّهل أن نفهم المغازلة المضحكة بَيْنَ النِّظام السُّوري وأمريكا. فأمريكا تحذِّر النِّظام السُّوري من استهداف طائراتها إذا قصفت داعش في سوريا. وهي تعلم تمام العلم أنَّ النِّظام السُّوري أصلا لن يرد ولا يمكن أن يرد.

ولٰكنَّ التَّصريح الأمريكي يقول بوضوح ومباشرة: نحن حريصون علىٰ الحفاظ علىٰ القوى العسكرية للنِّظام السُّوري، ولن نضربها، ولن نعطلها...

التمنع الإيراني الكاذب

كتبت قبل أيَّام عن سبب عدم إشراك إيران في التَّحالف الدَّولي لضرب الدَّولة الإسلاميَّة. ولٰكنَّ الأمور علىٰ درجة من السُّخونة والتَّحدي والمصيريَّة ما

يجعل ثَمَّة مستجدات كل يوم وكل ساعة. لم يتغير شيء في حقيقة الموقف، ولٰكنَّ معطيات جديدة تتكشف.

هل يصح قول: يتمنعن وهن الراغبات؟

المسألة أبعد من ذٰلكَ وأخطر بكثير. والتَّناقضات في التَّصريحات الإيرانيَّة تجعلها مهزلةً. فقد صرَّح المرشد الأعلى خامنئي ولا أعرف كيف صرَّح وهو علىٰ فراش الموت أنَّ إيران تريد الاشتراك في التَّحالف، وكذٰلكَ فعل رئيس الجمهورية روحاني. وكلاهما ومعهما قيادات الحرس الثَّوري الإيراني صرحَّوا بأنَّهُم لن يقبلوا بالمشاركة حَتَّى ولو دعوا إلى ذٰلكَ.

استضافت قناة العربيَّة الحدث أمس ٢٠١٤/٩/١٧م المحلِّل السِّياسي الذي يعد يحكم الناطق باسم السلطة الإيرانية، أمير الموسوي وسألته عن سر هٰذا التَّناقض، فقال:

«ليس هناك تناقض. هناك سوء ترجمة كلامٌ وتصريحات عن الموقف الإيراني. إيران تقول: الضربات الجوية غير مجدية، يجب أن يكون هناك اجتياح بري، وإيران مستعدَّة لذٰلك».

هٰذا هو التَّعبير الحقيقي، والصَّادق عن الموقف الإيراني. ويؤكِّد خطاب روحاني المطوَّل قبل أسبوع تقريباً أو أكثر قليلاً، إذا قال: «إنَّ محاربة الدَّولة الإسلاميَّة تحتاج إلىٰ تحالفٍ دوليٍّ كبيرٍ، وتنسيق جهود كبير».

يعني ذٰلكَ بوضوح وصراحة ومباشرة أنَّ إيران تريد ضربةً ساحقةً ماحقةً ماحيةً للدولة الإسلاميَّة، وتريد أن تكون هي التي تجتاح وتحتل المناطق التي تسيطر عليها الدَّولة الإسلاميَّة، ويأتي اقتراحها هٰذا بناء على معطيات واقعيَّة

تفرض ذاتها، وتجعل إيران هي الوحيدة تقريباً المؤهَّلة لهذه المهمَّة في ظلِّ هٰذه الظُّروف، وأبرز هٰذه المعطيات:

أولاً: استغلال حقيقة أنَّهُ لا يمكن حسم المعركة جوًّا، وأنَّ القصف الجويَّ مهما طال وكان فإنَّهُ لا يمكن أن يقضي علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة. ولا بُدَّ من الاجتياح البريِّ لتطهير الأرض والقضاء علىٰ الوجود الفعلي للدَّولة الإسلاميَّة. وفي هٰذا التَّصور والتَّصوير ابتزازٌ لأمريكا والتَّحالف من جهةٍ، وتحريضٌ وتوضيحٌ للتَّحالف لما يجب أن يفعله بعد التَّركيز الكبير علىٰ أنَّ الحرب ستكون بالضَّربات الجويَّة فقط والاعتماد علىٰ الجيش العراقي والكردي فقط، وهما كلاهما عاجزٌ عن مواجهة الدَّولة الإسلاميَّة، وعاجزٌ عن حسم المعركة حَتَّى في ظلِّ الغطاء الجويِّ الغربيِّ.

ثانياً: أنَّهُ لا يوجد غيرها في الجوار يستطيع القيام بهٰذه المهمة، من ناحية عدد الجند والكفاءة العسكريَّة والقتاليَّة. لأنها لا تريد ولن تسمح بدخول الدَّول العربية إلىٰ المنطقة ولا تركيا... تريد أن تتفرد هي بالسِّيادة عليها.

ثالثاً: الغرب كلُّه رافض تماماً للاشتراك في أيِّ حرب برية في المنطقة، تخوفاً من ذوق الويلات التي ما زال يتجرَّعها منذ احتلال أفغانستان.

رابعاً: عجز الدَّولة العربيَّة عن خوض هٰذه المعركة لأسباب أخلاقيَّة أمام شعوبها، خوفاً من تحريضها علىٰ التَّعاطف مع الدَّولة الإسلاميَّة، وخوفاً من انشقاق هٰذه الجيوش والتحاقها بالدَّولة الإسلاميَّة.

وبذلك تكون العراق كلها تحت السِّيادة الإيرانية، وهي أصلاً تحت سيطرتها، كونها تسيطر على المناطق الشِّيعيَّة وعلىٰ السلطة السياسيَّة. فإذا احتلت المناطق الأُخْرَىٰ فلن يستطيع أحدٌ إخراجها منها.

وبذلك يستتب الأمنُ وَفْقَ الرُّؤية الإيرانيَّة. يعني يصبح الهلال الشِّيعي الذي حذر منه الملك عبد الله منذ أكثر من عشر سنوات حقيقةً دامغةً مئة بالمئة.

إذن لا يوجد تمنُّعٌ ولا دلالٌ، وإنَّمَا المسألة توزيع أدوار في التَّصريحات بَيْنَ الإيران والأمريكان. فالتَّنسيق قائمٌ علىٰ قَدَمٍ وساقٍ... وقد أقرَّ الموسوي ذاته بوجود هٰذا التَّنسيق السِّري، ناهيكم عن الاعترافات الصَّريحة لمختلف القادة الإيرانيين بوجود قوَّاتهم ومليشياتهم علىٰ الأرض في مقاتلة الدَّولة الإسلاميَّة... فكيف لإيران هٰذا الوجود القوي والكبير علىٰ الأرض ما لم يكن هناك تنسيق مشترك علىٰ أعلىٰ المستويات؟

من سيدفع فاتورة ضرب داعش[٩٩]

مع الإعلان عن تشكيل التَّحالف الدَّولي لمحاربة الدَّولة الإسلاميَّة وبدء العمليَّات كثر الكلام عن تكاليف هٰذه الحرب التي استقر الكلام فيها علىٰ أنَّها نحو خمسة مليارات دولار.

ليس الرَّقم دقيقاً ولا صحيحاً بكلِّ تأكيدٍ. إنَّهُ رقمٌ ألقي جزافاً رُبَّما علىٰ أساس تصوُّرٍ مقارن مع حروب سابقة ورُبَّما من أجل ذرِّ الرَّماد في العيون ورُبَّما من أجل وضع حدٍّ للنِّقاش في مثل هٰذا الموضوع ورُبَّما لغير ذٰلكَ.

إنَّ تتالي التَّصريحات في الحرب وخاصَّة مدتها وطبيعتها يقطع دابر أيِّ شكٍّ بيقينٍ واحدٍ وهو أنَّ تكلفة هٰذه الحرب أكبر بعشرات ورُبَّما

(٩٩) . هٰذا المقال جزء من مقال بالعنوان ذاته نشر في ٢٠١٤/١٠/١٠م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي. وهو فصل من كتابي الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة الصادر بالتزامن مع هٰذا الكتاب.

مئات أضعاف الرَّقم الذي ألقي جزافاً. ولذلك ليس من باب الاختراع ولا الابتداع القول بأنَّ الآراء قد تضاربت وتناقضت وتداخلت حول تكلفة هٰذه الحرب. والسُّؤال الذي راح يتردَّد بعيداً عن كلِّ أنواع وسائل الإعلام هو: من سيدفع هٰذه الفاتورة؟

مع بدء الحملة بطلعات جويَّةٍ مكثَّفةٍ بلغت حَتَّىٰ الآن، حسب بعض التَّصريحات، أكثر من ثلاثمئة طلعة، ونحو مئة طلعة في اليوم الواحد في بعض الأحيان... بما يعني أنَّ رقم الثَّلاث مئة أيضاً غير صحيحٍ، وإلىٰ جانبها ضربات صاروخيَّة من البحر الأحمر والأبيض والخليج العربي فإنَّ المحللين العسكريين قدروا بأنَّ تكلفة هٰذه الحرب سترتفع ارتفاعاً كبيراً، وستزيد أكثر بكثير من التَّقديرات المتوقَّعة إذا ما قرَّر التَّحالف نشر قواتٍ بريَّة. ستكون التَّكلفة أعقد بكثير من أن يتمَّ تقديرها... كلُّ ذٰلكَ ونحن نتحدث في المدى القريب فقط، لا نتحدَّث عن الأمدية الأسطوريَّة التي حدَّدها الأمريكيون علىٰ نحو خاصٍّ من سنة إلىٰ سنتين إلىٰ ثلاث وأكثر من ذٰلكَ بكلِّ تأكيد وَفْقَ التَّخطيط الأمريكي.

علىٰ الرَّغْمِ من النَّفي الأمريكيِّ المتكرِّر لاشتراك الجيش الأمريكي في المعارك البريَّة حاليًّا أو مستقبليًّا فقد أكَّد تقريرٌ صادرٌ عن مركز التَّقويمات الاستراتيجيَّة والميزانيَّة (CSBA)، أنَّ العمليات ضِدَّ الدَّولة الإسلاميَّة لن تقتصر علىٰ الضَّربات الجوية الحاليَّة، وإنَّما ستضمُّ قوى بريَّة أمريكيَّة ما يزال نطاق مهمتها غير واضحٍ ولا محدَّدٍ.

في إطار السِّيناريوهات المتوقَّعة للحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة قدَّر المركز ثلاث تقديرات لثلاث سيناريوهات:

السِّيناريو الأوَّل في حال شنِّ عمليَّةٍ جويَّةٍ منخفضةٍ الكثافة، تتراوح تكلفتها بَيْنَ ٢٠٠ و٣٢٠ مليون دولار شهريًّا، أي ما بَيْنَ ٢,٤ و٣,٨ مليار دولار سنويًّا، ويتضَّمن ذَلكَ نشر ألفي جندي من القوات البرية.

السِّيناريو الثاني في حال شنِّ عمليَّةٍ جويَّة أعلىٰ كثافة، مع نشر خمسة آلاف من القوَّات البريَّة، وعلىٰ هٰذا الأساس ستتراوح تكلفة تلك العمليات بَيْنَ ٣٥٠ و ٥٧٠ مليون دولار شهريًّا، أي ما بَيْنَ ٤,٢ و٦,٨ مليار دولار سنويًّا.

السِّيناريو الثالث في حال نشر خمسة وعشرين ألف جنديٍّ أمريكي علىٰ الأرض بجانب الضَّربات الجويَّة المكثفة، ستتراوح تكاليف تلك العملية بَيْنَ ١,١ إلى ١,٨ مليار دولار شهريًّا، أي ما بَيْنَ ١٣ و٢٢ مليار دولار في السَّنة.

علىٰ ضوء المعطيات المتاحة بَيْنَ أيدينا فإنَّ الجيش الأمريكي يدخل تدريجيًّا إلىٰ العراق وربَّما يزيد عن ثمانية آلاف جنديٍّ خلال الأيام القادمة، بما يعني احتمال السِّيناريو الثَّالث، وإن كانت أمريكا مصرَّةً علىٰ عدم الظُّهور في واجهة المعارك بحال من الأحوال. ولا نتحدَّث عن جنودٍ غير أمريكيين. بما يعني ما أكَّدناه من كذب الإعلان عن تقدير التَّكلفة بخمسة مليارات دولار.

علىٰ أيِّ حالٍ، حسب تقديرات المركز ذاته فقد بلغت تكلفة العمليَّات العسكريَّة الجويَّة حَتَّىٰ ما قبل أسبوعين من الآن تقريباً، أي حَتَّىٰ يوم ٢٤ أيلول/ سبتمبر٢٠١٤م نحو مليار دولار، وبالضَّبط وَفْقَ المركز ما بَيْنَ ٧٨٠ و٩٣٠ مليون دولار. نحو مليار دولار في نحو شهر للطلعات الجويَّة فقط وفقط للطَّلعات الجويَّة وبعض الضَّربات الصَّاروخيَّة. فكم ستكون التَّكلفة مع تصاعد العمليَّات وتنوعها؟

المسألة ليست مزحاً ولا لعباً علىٰ الإطلاق. وعلىٰ الإطلاق يجب تذكر أنَّ كلَّ هٰذه الأموال لا تعني شيئاً أمام تحقيق المصالح الاستراتيجيَّة الأمريكيَّة وبقاء الأنظمة العربيَّة الأمريكيَّة علىٰ رأس السُّلطة.

أمريكـا لا تـدفع أصـلاً، لم تـدفع فيمـا قـد سـلف مـن أمثـال هٰـذه الحـروب، ولـن تـدفع. في عـودة إلىٰ الحـربين علـىٰ العـراق؛ تحريـر الكويـت مـن العـراقيين، وتحريـر العـراق مـن العـراقيين، لم تـدفع أمريكـا شـيئاً مـن خزانتهـا، أخـذت تكـاليف حربهـا علـىٰ العـراق واحـتلال العـراق مـن العـراقيين والكـويتين والسُّـعوديين والإمـارتيين علـىٰ نحـو خـاص... ورُبَّمـا لم تنفـق دولاراً واحداً من خزينتها في محصَّلة الأمر.

حسناً، ويظهر السُّؤال من جديد: من سيدفع تكاليف الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة؟

لا يوجد أي تصريحات من قبيل تحديد من سيدفع تكاليف هٰذه الحرب. ولٰكن قياساً إلىٰ ما سبق، ومع الانتباه إلىٰ أنَّ خطورة تنظيم الدَّولة علىٰ الأنظمة العربيَّة أشد وأكبر بألف مرَّةٍ من أسباب الحروب التي مولتها، وبالنَّظر إلىٰ الحماسة التي تبديها الدَّول العربيَّة لهذه العربيَّة والتَّحريض عليها والدَّفع لها... فإنَّ اليقين يقول إنَّ كلَّ التُّكلفة ستدفع من الدَّول الماجدة الثَّلاث: العراق والسُّعوديَّة والإمارات العربيَّة المتَّحدة. ليس من الضَّروري أن يكون الدَّفع نقداً، أمريكا تسهِّل طرق التَّسديد علىٰ العملاء، وتقدِّم لهم أكثر من خيار.

هٰذا ليست تنبؤاً ولا توقُّعاً. هٰذا حقيقة لا تقبل الشَّك. ليس من الضروري أن تدفع هٰذه الدَّول كل التَّكاليف، قد يحمل معها غيرها بعضاً من هٰذه التكلفة. ولٰكنَّ الحمل أخف بكثير من أن يقارن بما ستدفعه هٰذه الدَّول.

صحيحٌ أنَّ من مصالح الأنظمة العَربيَّة القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة، ولٰكنَّ المصلحة الحقيقيَّة والأساسيَّة والكبرى هي للولايات المتحدَّة التي تشنُّ هٰذه الحرب، الولايات المتحدة تشن الحرب لتحقيق مصالحها والأنظمة العربيَّة تدفع لها تكاليف حربها لتحقيق مصالحها وتدمير بلادنا وقتل شعوبنا.

عَاشَتِ الصَّدَاقَةُ العَرَبِيَّةُ العَرَبِيَّةُ...

عَاشَتِ الأُخُوَّةُ العَرَبِيَّةُ الأَمَرِيْكِيَّةُ...

خاتمة

من أوائل التَّصريحات أنَّ الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة ستستغرق سنة، سنتين، ثلاث سنوات... والباب مفتوح علىٰ التَّمديد بأريحيَّة. واليوم كانت التَّصريحات من نوعٍ جديدٍ، فيها مزيد من تأكيد أنَّ الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة طويلة المدى مفتوحة الآفاق.

ستجدون الكثير من التَّأويلات. ولٰكنَّ أغبى التأويلات تلك التي ستقول لأنَّ داعش عميلةٌ أو صنيعةٌ لأمريكا. وفي الدَّرجة ذاتها من الغباء تلك التي ستقول: من أجل تجميع المجاهدين والقضاء عليهم جميعاً معاً.

المسألة مبدئياً مسألة طبخ علىٰ نارٍ هادئةٍ وامتصاص الغضب الإسلامي (السني) رويداً رويداً كلَّما دعت الضَّرورة إلى ذٰلكَ. كلَّما دعت الضَّرورة إلى ذٰلكَ، لأنَّ ما يبدو حَتَّىٰ الآن من المسلمين هو نوم أهل الكهف، فإذا استمرَّ النوم صعَّدت الولايات المتحدة الحرب والضرب والإبادة، وكلَّما استيقظ المسلمون تصرَّفت أمريكا بما يناسب.

الأمر الآخر هو أن الولايات المتحدة تهيئ المنطقة لصراع مفتوحٍ المدى، كما فعلت في سوريا وقادت الثَّورة بهٰذا الاتجاه. لا يوجد ما ينهي المنطقة

والإسلام في نظرها ونظر الأنظمة العربيَّة مثل هٰذا الصِّراع المفتوح، لن يكون الشِّيعة بمنأى عن ذٰلكَ، ولٰكنَّ الغرب حريص علىٰ استبعاد الشِّيعة حالياً قدر الإمكان، فإذا نجح الصِّراع السني السني فلن يكون للشيعة دور حالياً، وإذا لم ينجح هٰذا الصِّراع سيُدخلون الشِّيعة بقوَّة، لأنَّ أمريكا والغرب لا يريدون أبداً الدخول الرسمي في المعركة البرية إلا إذا انسدَّت الأبواب كلها ولم يبق أمامهم إلا أن يقلعوا شوكهم بأيدهم. ولٰكنَّ إيران في تلهف لتقود هي المعركة، ورُبَّما لن تسمح لغيرها أن يقود المعركة البريَّة.

وأرجو أن تلاحظوا جيِّداً هنا، أنَّهُ في حين أنَّ الولايات المتحدة تريد أن تخلص من هٰذه الحرب خلال ثلاث سنوات حدًّا أقصى، كما أعلنت في تصريحاتها الأولى، فإنَّ أنظمةً عربيَّةً طالبت بأن تطول الحرب أكثر من عشر سنوات، علىٰ أمل أن يبقوا علىٰ عروشهم وتبقى النِّيران في سوريا والعراق فقط، ولا تنتقل إلىٰ بلدانهم. لا تنتقل إلىٰ بلداهم ليس حرصاً علىٰ شعوبهم وإنَّما حرصاً علىٰ بقائهم علىٰ كراسييهم فقط.

عندما حمل يوسف العظمة سيفه ومعه عشرات من الجند لمواجهة الاحتلال الفرنسي المدجج بالدَّبابات والأسلحة البنادق والمصفَّحات... قال له بعضهم ساخراً:

- إلى أين أنت ذاهب يا يوسف؟ هل تظن أنَّك ستنتصر؟

قال يوسف: أعرف أني لن أنتصر... ولٰكنَّ لا أريد أن يسجل التاريخ أن فرنسا دخلت وطني من دون مقاومة.

وفعلاً ذهب ولم ينتصر ودخل الاحتلال.

قادة الثورة اليوم في وسوريا واليمن ومصر والعراق وليبيا وتونس بتشرذمهم واختلافهم ووصوليَّة بعضهم وتسلق بعضهم الآخر وعمالة بعضهم الآخر... لا يختلفون عن يوسف العظمة الذي واجه الدبابة بالسيف، سوى في أنَّ يوسف العظمة أدرك أنَّهُ لن ينتصر وذهب ليموت بشرف، وقادة اليوم مصرون علىٰ أنَّهُم بالسيف منتصرون علىٰ الدبابة والصاروخ ولا يريدون الموت لا بشرف ولا بلا شرف. ولذلك ضاعت ثوارات الربيع العربي في الدول التي انتهت فيها الثورة وفي الدولة التي ما زالت ثورتها مشتعلة.

الثورة لا تنتصر بكثرة العدة والعتاد ولا بكثرة الرجال، وإنما تنتصر بالتنظيم والصدق والإخلاص.

كلُّ ما تمتلكة الثورة من أسلحةٍ لا قيمة له إذا لم يكن هناك مخ، مخ صادق ومخلص فوقها، وإلا فإن كلَّ الأسلحة لن تكون أكثر من كومة حديد يلهو بها قرد...

إذا وضعنا قرداً وراء مقود الشيلكا فإنَّه يمكن أن يدمِّر كلَّ الأهداف الموجودة أمامه...

ولٰكن يا ترى: هل يمكن لأحدٍ في الدنيا أن يقول إنَّ القرد انتصر؟؟!!

أخطر ما ساد في الثورات العربية هو حضور السلاح وقوة السلاح وغياب العقل وغياب التخطيط وغياب الكفاءات القيادية الفكرية والسياسية والعسكريَّة. ولذلك صارت الشعوب والثورات ريشة في مهب ريح الإشاعات والحرب النفسية التي تقودها وتدعمها الأنظمة ذاتها ووسائل إعلام مأجورة وأشخاص أغبياء بلهاء يظنون أنفسهم محللين سياسيين أو منظِّرين أو سياسيين... وضاعت الثورات بعد انتصارها.

اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً

واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً

هٰذا كلام خطير من النَّاحية النفسية، لا أحد فيما يبدو يريد أن يدرك خطورته ولا الدرس الأساسي المتضمن فيه.

بدأت تروج بَيْنَ مختلف الأوساط أن الأزمة السورية ستكون طويلة، وقصتنا طويلة... النظام القديم انتهى في حين أنَّهُ قائم بقوة، المصالحة والمسامحة

وطيبة القلب وغير ذٰلكَ كثير من الأفكار التي يزج بها بهدوء وذكاء وحنكة في كل ثورة حسب طبيعتها وما يراد لها...

أمثال هٰذا الكلام وهٰذه العبارات علىٰ درجة من الخطورة كبيرةٍ جدًّا، ذٰلكَ أن البنية النفسية للناس وخاصة العاملين، ستتحدد آفاق تفكيرها وتخطيطها علىٰ أساس هٰذه الأفكار التي يتم ترويجها لأغراضٍ محدَّدةٍ، فينقطعون عن العمل وعن التَّفكير الصحيح، وعن التَّخطيط الصَّحيح، ويعملون ويخطِّطون علىٰ أساسها، فتضيع فرص الحلِّ السَّريع، والحسم السَّريع، والخلاص السَّريع، تحصين الثَّورة، وقطع دابر الفلول... وغير ذٰلكَ.

إنَّ انهيار النظام العربي أمر محتوم، النظام العربي لا يقف علىٰ رجليه ولا علىٰ رجل واحدة بل يقف علىٰ عكاز مستعار واحد لا عكازات. ولا يمكن أن يبقى إلا بمثل ضروب التخاذل والغباء التي تحدثنا فيها قبل قليل في هٰذه الخاتمة. فهل سيبقى النظام العربي قائماً بعد كل اهترائه؟

قد يبقى ولا أظنه سيبقى ولٰكنَّ إن بقي فلن يبقى إلا هيكلاً يزداد ظلامية واستبدادية ومحاربة للأمة ودين الأمة وثقافة الأمة، وماضي الأمة ومستقبل المة.

٢٠١٤/١١/٢٢م

صَدَرَ لِلمُؤَلِّف

- أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحو نظرية عربية في التوثيق . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.

- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.

- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العالم على البركان . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- العرب أعداء أنفسهم؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.
- العرب جثة تنهشها الكلاب؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال الإعلاني . دار حدوس وإشراقات . عمان/ الأردن . ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأَصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.

- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .

- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هـؤلاء أَساتذتي : مـن رواد الفكـر العـربي المعاصـر في سـوريا – دار الثقافـة – دمشـق – ١٩٩٤م.
- هـؤلاء أَسـاتذتي : مـن رواد الفكـر العـربي المعاصـر في سـوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.

فهرس

- **الإهداء** ٠٠٥
- **مقدمة الكتاب** ٠٠٧
- **الفصل الأول**: ملة الاستبداد واحدة ٠١٣
  - ★ مقدمة ٠١٥
  - ★ ملة الاستبداد واحدة ٠١٥
  - ★ الشعب كله مخابرات ٠١٨
  - ★ زعماء العرب لا يعرفون الهزيمة ٠١٩
  - ★ خاتمة ٠٢١
- **الفصل الثاني**: انهيار النظام العربي ٠٢٣
  - ★ مقدمة ٠٢٥
  - ★ انهيار النظام العربي ٠٢٦
  - ★ وهم جلد الذات ٠٣٢
  - ★ سلاطين العرب ومأساة السوريين ٠٣٣
  - ★ سلاطين العرب يكافئون روسيا ٠٣٥

★ حقوق الأمة ليست ملك أشخاص ٠٣٦
★ خاتمة ٠٣٧
■ **الفصل الثالث**: هكذا يفكر الحكام العرب ٠٣٩
★ مقدمة ٠٤١
★ هكذا يفكر الحكام العرب ٠٤٢
★ السباق العربي الياباني ٠٤٥
★ طرق العرب في معالجة الأزمات ٠٤٦
★ كرمال (هالشوارب) ٠٤٨
★ حتى تعرفوا كيف ضاع العرب ٠٥١
★ حكاية حقيقية لا تصدقوها ٠٥٢
★ الكلام في المؤامرة لا ينتهي ٠٤٥
★ ومن الغباء ما يسيل اللعباب ٠٥٧
★ خاتمة ٠٥٨
■ **الفصل الرابع**: خرافة الانتخابات عند العرب ٠٥٩
★ مقدمة ٠٦١
★ خرافة الانتخابات عند العرب ٠٦١
★ مهزلة الترشيحات ٠٦٣
★ الانتخابات العربية ٠٦٥
★ ثورات العرب أعجب من العجب ٠٦٥
★ متى يتعلم الغرب الديمقراطية من العرب ٠٦٨
★ خاتمة ٠٧٢

■ **الفصل الخامس**: أمة بلا بوصلة ٠٧٣
★ مقدمة ٠٧٥
★ عندما يركب السلاطين النمر ٠٧٥
★ حكام عرب أخطر من الماسونية ٠٧٦
★ إذن انتظروا أيها السلاطين ٠٧٧
★ خربت وضاعت الطاسة ٠٧٩
★ أمة بلا بوصلة ٠٨٢
★ المفاضلة بين حكامنا وإسرائيل ٠٨٥
★ هل مصر بيضة القبان؟ ٠٨٦
★ خاتمة ٠٩١

■ **الفصل السادس**: الأمة التي تفرح بالهزيمة ٠٩٣
★ مقدمة ٠٩٥
★ جيوش العرب غير مختصة بالقتال ٠٩٥
★ عندما تكون الخيانة وجهة نظر ٠٩٦
★ الفرح بالهزيمة ٠٩٩
★ ضع عقلك في الخرج وارفس الحمار ١٠٠
★ الأسد يناضل لتقديم خدماته لأمريكا ١٠٤
★ نظام يهلل للعدوان على وطنه ١٠٧
★ خاتمة ١٠٩

■ **الفصل السابع**: خيانة المثقف والمعارضة العربية ١١١
★ مقدمة ١١٣
★ لماذا اليسار العربي عدو الشعب والحرية؟ ١١٣
★ مثقفو السلاطين ١١٧
★ الهزال من المثقف إلى الشعب ١١٨
★ معارضة أعجب من العجب ١٢١
★ معارضة أم مصافعة ١٢٥
★ محمد حسنين هيكل لم يسقط ١٢٩
★ لا رأي لمن لا يطاع ١٣١
★ خاتمة ١٣٣

■ **الفصل الثامن**: شعب يعيد إنتاج عبوديته ١٣٥
★ مقدمة ١٣٧
★ نداء إلى الشعب العربي ١٣٧
★ طريقة عرب اليوم الجهادية ١٣٨
★ لحرية الرأي والموقف حدود ١٤١
★ هل سيظل العرب عبيد العبيد ١٤٣
★ شعب يعيد إنتاج عبوديته ١٤٧
★ هل العقل العربي مشلول إلى هذا الحد ١٥٠
★ المشكلة في الشعوب ١٥١
★ الأقليات الخنجرية ١٥٣

★ الشعب العربي هو المشلول ١٥٤
★ خاتمة ١٩٥
■ **الفصل التاسع**: التمدد الإيراني في المنطقة ١٦١
★ مقدمة ١٦٣
★ الطاولة تنقلب ١٦٤
★ الفرس يقاتلون العرب بالعرب ١٦٦
★ إيران عينها على الحرم ١٦٧
★ إيران تقول الأسد حامي إسرائيل ١٧١
★ خاتمة ١٧٥
■ **الفصل العاشر**: الوجع المزمن فلسطين ١٧٧
★ مقدمة ١٧٩
★ أيها الفلسطيني قرر مصيرك ١٨٠
★ حماس خائنة لأنها تسير عكس التيار ١٨٢
★ إسرائيل تعشق المبادرة المصرية ١٨٨
★ أشياء لا تجعلك تضحك تجعلك لا ١٩٠
★ العرب يضمنون أمن إسرائيل ١٩٢
★ العرب في خدمة إسرائيل ١٩٤
★ خاتمة ١٩٧
■ **الفصل الحادي عشر**: الحرب على الذات ١٩٩
★ مقدمة ٢٠١
★ الحرب على الإسلام قبل داعش ٢٠٣

★ أكبر تحالف دولي عبر التاريخ ٢١٠
★ أوبامانويل يلبي طموحات العرب ٢١٤
★ أشعر بالزهور لحرص الغرب على الإسلام ٢١٦
★ لماذا لا يريدون إشراك إيران ٢١٨
★ من سيدفع فاتورة ضرب داعش ٢٢٣
★ خاتمة ٢٢٧
■ **خاتمة** ٢٢٩
■ **صدر للمُؤَلف** ٢٣٣
■ **المحتويات** ٢٣٩

الدكتور عزت السيد أحمد

CRUMBLE OF ARABIC REGIME

BY PROF.DR. EZZAT ASSAYED AHMAD

Published By DAR ANHAR

Beirut. 2014

Emil: sameah3@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة
دار أنهار للنشر
ALL RIGHTS RESERVED

CRUMBLE
OF ARABIC REGIME

BY PROF. DR.
EZZAT ASSAYED AHMAD

2014

THE CRUMBLE OF ARABIC REGIME

BY PROF. DR.

EZZAT ASSAYED AHMAD

الدكتور عزت السيد أحمد

انهيار النظام العربي

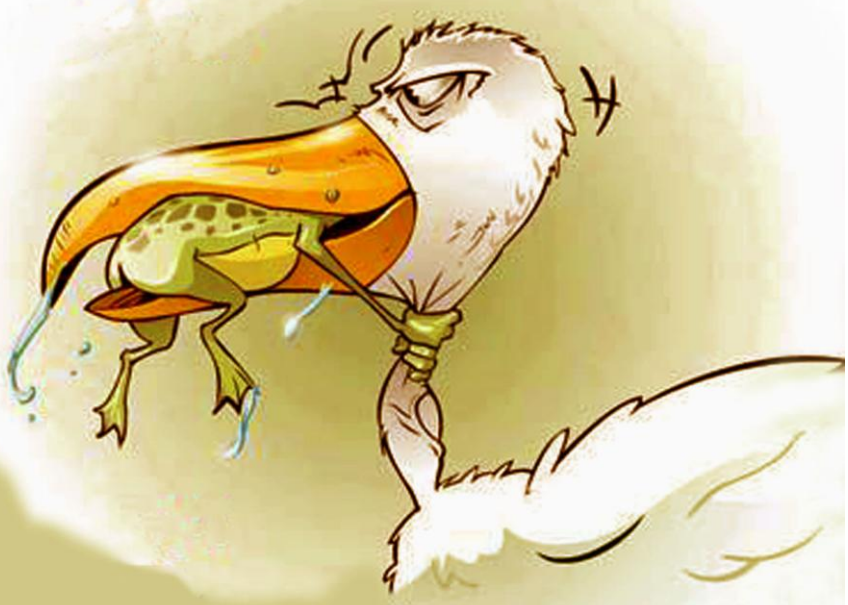

النظام العربي في حالة انهيار منذ عشرات السنين في حقيقة الأمر وما يحدث اليوم ليس إلا الفكفكة والترحيل على الرغم مما يبدو من انقلاب النظام القديم على الربيع العربي. الربيع العربي ليس إلا خطـــوة أو وجها من أوجه تفكيك النظام العربي المنهار أساساً منذ الانتفاضة الفلسطينية الأولى... ومنذ ذلك الحين والنظام العربي يتآكل من دون الإقدام على أي خطوة للترميم أو تصحيح الأخطاء.

دار النهار
2014